AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف - فلسطين - العدد 62 (1536) - آب / أغسطس 2024

الذكرى الثالثة والعشرون على استشهاد الرفيق الأمين العام

أبو علي مصطفى

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P.F.L.P.

مع وقف العدوان، ولكن ليس بأي ثمن!!!

بعد عشرة أشهر من القتال والصمود والثبات، ورغم كل التضحيات والدمار والآلام، إلا أن المقاومة لن تسلم ولن تقبل الشروط التي يقدمها الإسرائيليون والأمريكان عبر الوسطاء، ورغم ما حصل من مجازر وجرائم ومآسٍ بحق شعبنا إلا أن المقاومة ما زالت تملك عناصر القوة التي تمكنها من تحقيق شروطها ومطالبها ولو بالحد الأدنى.

إن الرضوخ للشروط الإسرائيلية هزيمة وتسليم بالسيطرة الإسرائيلية الكاملة، وخاصة الأمنية والعسكرية على قطاع غزة، وهذا دونه الموت أو الشهادة ولو استمر العدوان أشهراً، أو سنوات أخرى، لا خيار أمام المقاومة إلا الصمود والقتال نعم «إنه لجهاد نصر أو استشهاد».

إن مستقبل قطاع غزة يقرره الفلسطينيون فوقف العدوان والانسحاب الكامل لقوات العدو الصهيوني منه، وعودة النازحين إلى بيوتهم رغم الدمار ومن دون شروط، وفتح المعابر، وتبادل الأسرى، وتوفير كل مقومات الإغاثة والإيواء والشروع بتهيئة البنية التحتية، وإعداد خطط وتوفير مقومات إعادة الإعمار، كل هذه القضايا هي مطالب عادلة لا مساومة عليها ولا تراجع عن أي منها، وما تبديه المقاومة من مرونة هي بالآليات والمدد الزمنية وفي الصيغ المتعلقة بأعداد الأسرى والنسب المقدمة لعملية التبادل.

رغم احتلال العدو الصهيوني لقطاع غزة إلا أنه وحتى هذه اللحظة فشل بتحقيق أي من أهدافه التي حددها، بتهجير الفلسطينيين، وتحرير أسراه، واجتثاث المقاومة، وخلق قيادات محلية عميلة تابعة له، والإبقاء الدائم لسيطرته الأمنية والعسكرية على القطاع والمعابر، وخلق مناطق أمنية في داخله وعند المعابر وفي محيطه.

نعم العدو رغم هشاشة وضعه الداخلي وتآكل وتفكك عناصر قوته البنيوية إلا أنه يستقوي على الفلسطينيين بالمزيد من الجرائم والقتل والذبح والتشريد والتنكيل، وبقوة التحالف الغربي الإمبريالي بقيادة أمريكا، رغم أن هؤلاء أميل إلى عقد صفقة يستعيدون فيها هيبتهم وهيبة الكيان الصهيوني، عدا عن الحاجة الانتخابية الأمريكية لذلك، ولتجنب الانزلاق إلى حرب إقليمية وشاملة هم بغنى عنها الآن وتكفيهم مشاغلة الروس بالحرب القائمة في أوكرانيا، ولقطع الطريق وتبريد الأجواء المتعلقة بالرد الإيراني، ورد حزب الله اللبناني، ورد أنصار الله في اليمن على اغتيال الشهيد القائد أبو العبد هنية، والشهيد القائد فؤاد شكر، وقصف مدينة الحديدة في اليمن رغم تأكيد كل الأطراف بأن الرد قائم وقادم وموجع.

أما نحن الفلسطينيين، فإذا كنا بحاجة لاتفاق أو صفقة عبر المفاوضات غير المباشرة ليس إلا لدرء المزيد من المجازر ولتخفيف المعاناة والآلام وعمليات القتل والإجرام الصهيوني بحق أبناء شعبنا، لكننا لن نقبل أن يكون ثمن ذلك الإذعان للشروط الصهيونية الأمريكية ولا بأي شكل من الأشكال. «ولو أنا على حجر ذبحنا، لن نقول نعم» كما قال شاعرنا الكبير محمود درويش.

المقاومة في غزة ليست وحدها، وبركان الضفة الثائرة هائج، وطوفانها قادم، وسيشعل الثورة في القدس وكل فلسطين، ومعنا جبهات الإسناد في لبنان واليمن والعراق، وكل دول وأطراف محور المقاومة، وخاصة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والجمهورية العربية السورية، وكل قوى التحرر والتقدم في الوطن العربي والعالم، وهذه عوامل قوّة أساسية وإستراتيجية لا يستهان بها، بل يمكن البناء عليها في ظل صمودنا وثباتنا ومقاومتنا.

يبقى عنوان الوحدة الوطنية الفلسطينية على أساس المقاومة والتصدي لأخطار ومؤامرات التصفية، وترجمة ما جاء في إعلان بكين، وما سبق ذلك من اتفاقات، فالتفاعلات والمراسيم التي جاءت مؤخراً في مؤسسة الرئاسة الفلسطينية وما حولها من تنفيذية المنظمة ومركزية فتح يجب أن يشكل مدخلاً للشروع بآليات التنفيذ حرصاً على المشروع الوطني الفلسطيني بكل معانيه وحوامله ووفاء لتضحيات وآلام وتطلعات شعبنا.

كل الحقيقة للجماهير

الهدف AL-HADAF

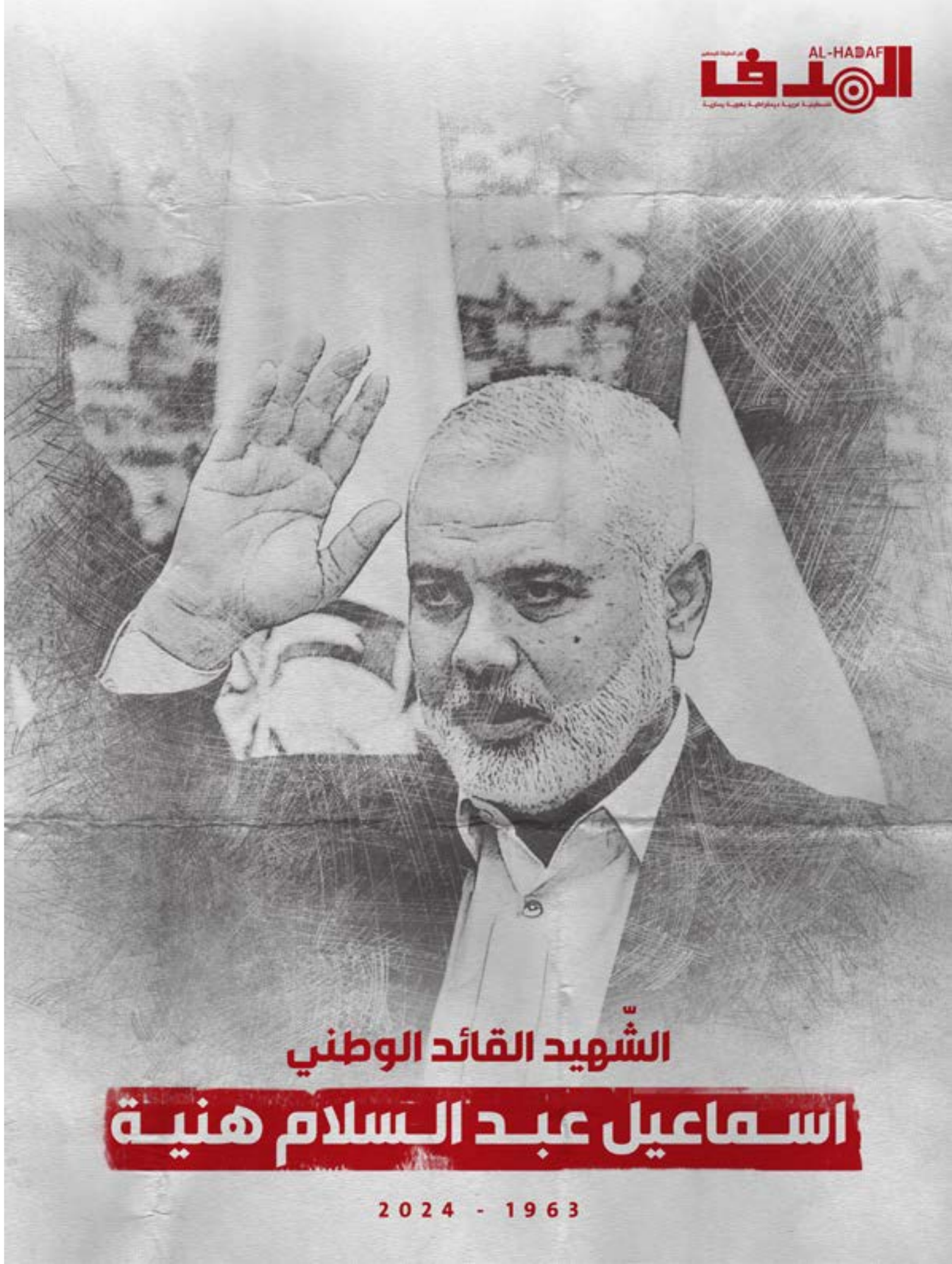

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (62) - (1536) - آب (أغسطس) 2024

الافتتاحية		
مع وقف العدوان، ولكن ليس بأي ثمن		1
حوار الهدف		
• مع الشاعر والروائي الفلسطيني إبراهيم نصر الله	حوار: محمد حسين	3
شؤون فلسطينية		
• الرفيق أبو علي مصطفى	صلاح صلاح	6
• طوفان الأقصى وانعكاساته على الفكر السياسي	د. سعيد ذياب	8
• إلى أين؟ غزة والاحتلال الدائم	د. عبد الحسين شعبان	10
• في الهدف: أنا أحيا..	أحمد علي هلال	11
• حرب الإبادة الشاملة في غزة: حان الوقت للتغيير	علي زيدان	12
• الطفولة المقتولة في غزة	ولاء شرقاوي	14
• المؤشرات تقول بأن حرب غزة لن تهدأ ولن تتوقف	بسام عليان	15
• الحرب على غزة تفاوض تحت خط النار	د. انتصار الدنان	17
• فصائل المقاومة تصعد من حرب الاستنزاف	عليان عليان	18
• جبهة وطنية شعبية لقوى المقاومة لاستعادة قيادة المنظمة ونهجها الوطني	وسام رفيدي	21
شؤون عربية		
• اغتيال هنية وشكر: الفكر الانتقامي واللحظة السياسية	أنيس محسن	23
• دعم واسناد طوفان الأقصى بين الموقف الرسمي والشعبي	د. عابد الزريعي	24
• متى تعود فلسطين إلى مركز الاهتمام العربي؟!	محمد صوان	26
• السودان من المنظور الديني والاستراتيجي الاسرائيلي	د. محمد حسب الرسول	28
• الولايات المتحدة والحرب الصهيونية ضد لبنان: سياسة "الخطوة خطوة" من كيسنجر إلى هوكشتين	د. ماري ناصيف – الدبس	30
• توسعة رقعة الحرب والتخاذل العربي	رضي الموسوي	31
• ريعية... فساد... محسوبيات...نزاعات...واقع مرير للاقتصاد العربي	د. أدهم شقير	33
• الانتخابات الرئاسية التونسية: رهان الاستبداد وطموحات الشعب	علي الجلولي	35
شؤون دولية		
• حفلة الكذب والتكاذب في الكونغرس	د. صياح عزام	37
• موقف إسبانيا من الإبادة في غزة أسباب وتداعيات	ماجد دبسي	38
• التعاون الروسي الإيراني واحتمالات الحرب الإقليمية	حمزة البشتاوي	40
• ملامح نهاية مرحلة بايدن في الشرق الأوسط: إلى أين تتجه المنطقة؟ نحو تصعيد أم انحسار؟	أحمد عويدات	41
• قراءة في الرد الإيراني على جريمة اغتيال اسماعيل هنية في طهران	إبراهيم أبو ليل	43
• مستقبل الحرب في الشرق الأوسط... تحليل السيناريوهات واحتمالات التهدئة	عزيز موسى	45
• المملكة المتحدة بعد الانتخابات الأخيرة	كاظم الموسوي	46
• لن نكون غير مبالبين أبداً	د. وطن العبد	48
• فنزويلا . الشعب يجدد لرئيسه والإمبريالية الأمريكية تجدد عدوانها	إسحق أبو الوليد	49
شؤون العدو		
• "إسرائيل" والعودة لنهج الاغتيالات محاولات تحقيق انجاز	علي بدوان	50
• الكيان كمعسكر يقلقه استجلاب مستوطنين أكثر من الاقتصاد!	د. عادل سماره	52
• ماهيّة التّغلغل الصّهيوني في الذّهنيّة العدوانيّة الغربيّة	د. سامي الشيخ محمد	55
• الكيان الصهيوني وجرائم لا تسقط بالتقادم	سحر محرز	57
• غالانت يعتبر تصريحات نتنياهو عن النصر المطلق هراء	نبال عمر	59
• الكيان الصهيوني بين الدولة والعصابة	موسى جرادات	60
• سيدي تيمان: ما هو مخفي عن العالم الخارجي	ترجمة: نور نوارة	61
شؤون ثقافية		
• أزمة النقد الأدبي: بين الانطباعية والتجريد العلمي	تغريد بو مرعي	62
• أثر غسان كان جسراً إلى الأبد	تغريد عبد العال	63
• حنظلة	منهال الغضبان	64
• موت على شاشة التلفاز	فراس عبده النادر	64
• شعراء يكتبون قصائدهم بلغة الضحك	عبد النور الهنداوي	65
• صدر حديثاً		66
• التراث في حماية الهوية	د. نجلاء الخضراء	67
• الشهيد ناجي العلي الريشة التي لن تنكسر..	هند يوسف خضر	69
• محمود درويش: فلسطينياً حتى الموت.. حتى الوطن.. حتى الحرية	محمد نذير جبر	71

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
سامي يوسف

سكرتير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظر الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حوار الهدف

مع الشاعر والروائي الفلسطيني الكبير

إبراهيم نصر الله

◄ **أجرى الحوار: محمد حسين** ـ كاتب صحفي فلسطيني ـ سورية

يعد الشاعر والروائي إبراهيم نصر الله من أهم الروائيين الفلسطينيين والعرب منذ الربع الأخير من القرن العشرين وهو صاحب مشروع روائي يمكن اعتباره الأهم بين الكتاب الفلسطينيين ومنذ تفرغه للكتابة عام 2006 نشر خمسة عشر ديواناً شعرياً ، وأربعا وعشرين رواية من ضمنها: مشروعه الروائي «الملهاة الفلسطينية» المكون من أربع عشرة رواية، حتى الآن، تغطي أكثر من مئتين وخمسين عاماً من تاريخ فلسطين ، نال العديد من الجوائز على أعماله الشعرية الروائية منها : جائزة (كتّارا) للرواية العربية للمرة الثانية عام 2020 عن روايته دبابة تحت شجرة الميلاد .

الجائزة العالمية للرواية العربية بوكر عام 2018 عن روايته كلب الحرب الثانية، جائزة (كتارا) للرواية العربية عام 2016 عن روايته أرواح كليمنجارو، جائزة القدس للثقافة والإبداع عام 2012، جائزة فلسطين للآداب لعام 2022، جائزة سلطان عويس للشعر العربي عام 1967، جائزة تيسير سبول للرواية عام 1994، جائزة عرار للشعر عام 1991، الجائزة الكبرى للرواية من اتحاد الكتاب الأتراك 2023، وتمنح للمرة الأولى لكاتب غير تركي.

اختيرت روايته براري الحُمَّى من قبل صحيفة الغارديان البريطانية كواحدة من أهم عشر روايات كتبها عرب أو أجانب عن العالم العربي، نُشر خمسة عشر كتاباً نقدياً عن تجربته الأدبية وتناولت أعماله أكثر من ثمانين رسالة دكتوراه وماجستير في العالم العربي والعالم.

له مشروع «الشرفات» المكون من عشر روايات تتأمل الحال العربي من مختلف وجوهه الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

نشرت 40 ترجمة لرواياته وأشعاره بالإنجليزية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والفارسية والتركية، وغيرها من اللغات.

تسر مجلة الهدف أن ترحب بالكاتب الفلسطيني الكبير إبراهيم نصر الله في هذا الحوار على صفحاتها .

■ أستاذ إبراهيم نصر الله لنبدأ من الملهاة الفلسطينية سلسلة روايات تحدثت فيها عن تاريخ فلسطين منذ أكثر من مئتين وخمسين عاماً، هل يمكن أن نصنف رواياتك من ضمن الروايات التاريخية أم روايات الذاكرة وما هي علاقة التاريخ بالرواية وهل يمكن للرواية أن تضيف للتاريخ شيئاً بمعنى ما لم يقله التاريخ تقوله الرواية؟

أسئلة كثيرة في سؤال واحد، ولكن أحبّ أن أشير في البداية، أنه بغض النظر عن إن كانت الرواية تاريخية أو اجتماعية أو غرائبية، فإنها يجب أن تسعى لتقديم شيء جديد في مجالها، وأظن أن كل رواية ستغدو رواية تاريخية في لحظة ما، حين كتبت رواية «أعراس آمنة» عن غزة ورواية «تحت شمس الضحى» عن رام الله، كتبت عن لحظات كنت أعيها، أو عشتها، لكنها باتت اليوم جزءا من التاريخ، فكل حاضر سيغدو تاريخا؛ كل ما في الأمر أنه لم يمرّ بعد. لذا أعتبر كل ما يكتب تاريخيا، بعيدا عن التصنيف الذي نعرفه، كأن نقول إن رواية «قناديل ملك الجليل» تاريخية لأنها عن قائد تاريخي حقيقي، لذا أتساءل، هل الشخصيات التي نراها اليوم في نشرات الأخبار في غزة غير تاريخية لأن المؤرخين لن يذكروها بعد؟! إنها تاريخية لأنها تكتب التاريخ حتى لو لم نعرف أسماءها. كل من يكتبون تاريخ غزة والصفة الغربية اليوم بدمهم أو بسلاحهم هم شخصيات تصنع التاريخ، بل وتصنع الغد.

أما الرواية نفسها، ففي اعتقادي أن الرواية تضيف الكثير للتاريخ، وتراقب التأريخ، وتعيد بعث التاريخ من جديد، لا كمعلومات بل كحياة.

■ هناك من يقول أنك تؤرخ لتاريخ الشعب الفلسطيني قناديل ملك الجليل خمسة وثمانون عاماً، زمن الخيول البيضاء خمسة وسبعون عاماً، أعراس آمنة منذ بدايات تسعينات القرن الماضي، سؤالي: بما أن الطرف الآخر الصهيوني يستخدم التاريخ بكثافة لإثبات حقه المزيف في فلسطين والعودة إلى آلاف السنين إلى الوراء ما الذي يمنع الأديب الفلسطيني من العودة إلى الخلف وكتابة الرواية الفلسطينية منذ زمن الملك ملكي صادق اليابوس.

لا أحد يمنع الكاتب الفلسطيني من ذلك، قد يمنع الكاتب الفلسطيني نفسه. منذ عام كنت أُقدِّم محاضرة في روما، وقلت فيها إنني أتحرك في مسافة زمنية مداها منذ بداية وجود الإنسان إلى المستقبل. لا تستطيع أن تكون كاتبا إن لم تجد حريتك الكاملة في التحرّك في هذه المساحة فلسطينيا وإنسانيا. لقد كتبتُ «حرب الكلب الثانية» عن المستقبل، وهناك عمل روائي قادم عن ماضي الإنسان السحيق أيضًا.

■ هل يمكن أن نعتبر رواية «زمن الخيول البيضاء» رواية النكبة على غرار رواية باب الشمس لإلياس خوري، البعض يقول إن إبراهيم نصر الله هو الروائي الفلسطيني الذي كتب رواية النكبة الفلسطينية بعد النكبة ماذا تقول في هذا؟

باب الشمس واحدة من أجمل الروايات عن فلسطين، أظن أن هناك مساحة مختلفة تتبعثُها زمن الخيول غير المساحة التي تتبعثُها باب الشمس، فزمن الخيول تبدأ من نهايات القرن التاسع عشر (1875) حتى النكبة، بينما باب الشمس لا تبدأ من هناك، وتستمر بعد النكبة، لكن منذ أن بدأتُ بكتابة «الملهاة الفلسطينية» أدركت أنه لا يمكن أن تكون هناك رواية قادرة على أن تحيط بفلسطين وحكايتها، ولهذا السبب كان هذا المشروع المكون حتى الآن من 15 رواية، حيث صدرت هذا الشهر رواية «مصائد الرياح» التي تتناول الفترة من عام 1929 في فلسطين، حتى عام 2021، وتدور أحداثها في فلسطين بريطانيا والعالم العربي.

■ رواية «السيرة الطائرة» البعض يعتبرها قصص ذاتية، ماذا أردت أن تقول من خلال هذه الرواية رحلتك الذاتية أم رحلة الفلسطيني اللاجئ في المنافي؟

إنها رحلة الفلسطيني في خمس قارات مُقدِّمًا قضيته ومُواجهًا الصعوبات التي تمرّ به ومُواجِها الكذب الصهيوني، ومُصادِقا بشرًا رائعين في أماكن كثيرة، ومع أن «السيرة الطائرة» صدرت وحدَّد اسمُها انتماءَها إلى السيرة، إلّا أن كثيرا من النقاد اعتبروها رواية، ولا أكتمك أنني معهم في هذا، فهي مكتوبة ضمن منطق الرواية وبنائها، ولو تمّ تغيير اسم الشخصية المحورية فيها، وهو اسم كاتبها، إلى أي اسم آخر، لكانت واحدة من رواياتي في انتمائها إلى الملهاة الفلسطينية. حقيقة لا أعرف إن كنتُ أخطأت حين تركتها تنتمي للسيرة، أم لا. لكن بين نفسي ونفسي أراها رواية، ولا يختلف ذلك عن رواية «طفولتي حتى الآن» التي حضرتْ فيها حياتي وتجربتي.

■ كيف يكتب إبراهيم نصر الله رواياته وما هو دور الكتابة خاصة أننا نعيش في مرحلة تشويه الوعي الجمعي الفلسطيني والعربي عبر مفردات السلام والتسوية والتعايش السلم؟

أكتب روايتي بعد تحضير طويل، وقد يمتد هذا التحضير أحيانا ثلاثين عاما تقريبا كما في «ثلاثية الأجراس» أو أكثر من عشرين سنة «زمن الخيول البيضاء»، أو عشر سنوات كما في « أعراس آمنة»، وهكذا، وحين تنضج إحدى الأفكار التي خططت لها، ويكتمل العمل على الإعداد لها، أجلس وأكتبها، لذا، دائما هناك عدة مشاريع تسير معا، وقد يُقصي أحدها الآخر أو يجعل مشروعًا آخر فكرة أخرى جزءا منه، أو يتلاشى الحماس لفكرة ما، أو يزداد فتتسع.

دور الكتابة أراه حين أنظر إلى نفسي كقارئ، فلولا الكتب التي قرأتها لما كنت الشخص الذي أنا عليه الآن، ولولا الأسماء الكبيرة التي أضاءت حياتنا الثقافية والفنية من إبراهيم طوقان وغسان كنفاني إلى الآن، لكنّا شعبا فقيرا على المستوى الثقافي والجمالي. في اعتقادي أن الأدب الفلسطيني ساهم بطريقة مذهلة في زراعة الوعي وبناء الهوية الفلسطينية النضالية وتجذير الحقّ الفلسطيني من نهرنا لبحرنا.

■ رواية شرفة العار هي بمثابة اقتحام للمقدس والتقاليد الاجتماعية والانحياز الكامل للمرأة برأيك لماذا مازال المجتمع العربي عموماً مسكوناً بجريمة الشرف؟

مجتمعات لا تثور لما يحدث من إبادة جماعية في غزة الآن، ولا تمسّ شرفَها أنهارُ الدم المتدفّقة منذ عشرة أشهر، مرعب أن قطرة دم واحدة هي التي تمس شرفها حين يتعلق الأمر بالمرأة. لنعترف الناس في العالم كانوا أشجع منا، في العالم العربي، هذه المرة في مظاهرات شوارعهم وانتفاضات جامعاتهم، لذا لا تستطيع إلا أن تكتب ضد واقع كهذا، لا في هذه الرواية فحسب، بل في مشروع «الشرفات» الذي يشكل الوجه العربي لقضية فلسطين، وهذا الواقع المأساوي الغارق في القهر والفقر وتعميم الجهل وقتل كل أفق للتقدّم، وإلى ذلك الاضطهاد واستلاب الحريات، والفساد واستباحة الأوطان والأمجاد الكاذبة والرجولة العنترية الفارغة. كل هذه الأمور وغيرها، هي السبب.

■ لديك خمسة عشر ديواناً شعرياً كيف تستثمر الشعر في نصك السردي؟

الشعر هو رؤيا، على المستويين اللغوي والجوهري، ووسيلة لتأمل الأشياء والعالم، وهو يقدّم للسرد الكثير بأنه يجعله أكثر رهافة وحرارة أيضا، وبخاصة حين تكتب عن موضوعات لها علاقة بجوهر العالم؛ لأنه حليف الجمال والفلسفة والعقل والبراءة في آن. ويعلمك أن تكتب النص السردي المتعدد بطبقاته ودلالاته وأحداثه، وفي الوقت نفسه يقدم السرد الروائي الكثير لمشاريعي الشعرية لأنه يقدّم البناء والتقاطعات والشخصيات والدراما المركبة أيضا. كما حدث في «الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق» و «الفتى النهر والجنرال» و «بسم الأم والابن» وأخيرًا في «الحب شرير» وغيرها.

■ هل تتفق مع مقولة أن عالم الرواية يعيش في حالة تراجع نتيجة التطور التكنولوجي وكثافة المعلومات وأصبح الميل العام لعالم القصة؟

لا أظن أن القصة تتقدّم، ما زالت الرواية هي المسيطرة على ساحات القراءة في العالم، ربما يبرز شيء آخر، مستقبلا، ينافس الرواية أكثر من السينما! لكن حتى الآن لا شيء ينافس الرواية أدبيًّا.

■ ترجم لك العديد من الأعمال الأدبية إلى الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية إلخ، ماذا تشكل هذه الترجمات لك وما الذي يمنع وصول إبراهيم نصر الله إلى العالمية وحصوله على إحدى جوائزها هل هي السياسة؟

الشيء المهم أن هناك حوالي 40 إصدارا بلغات أجنبية لكتبي، وهناك تزايد كبير؛ هذا العام مثلا صدرت وستصدر عشر ترجمات بلغات مختلفة، وهذا شيء كبير بالتأكيد، ويسرني أن كثيرا من هذه الترجمات لكتب من «الملهاة الفلسطينية» وكذلك ترجمات شعرية، فقد صدر الديوان الجديد «مريم غزة» في الوقت نفسه مع صدور قصائده منه بالإنجليزية بعنوان «فلسطيني» بترجمة للشاعرة الدكتورة هدى فخر الدين. الجوائز ستظل مسألة مُركّبة، بل معقدة، ولكن سرني الفوز خلال العامين الماضيين بجائزة فلسطين للآداب التي تمنحها مؤسسة مستقلة في أوهايو، والجائزة الكبرى للرواية من اتحاد الكتاب الأتراك.

■ حرب الإبادة التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني في معركة طوفان الأقصى ضد الشعب الفلسطيني في غزة والضفة جعل السردية الفلسطينية تتقدم على مستوى العالم، على المستوى الأدبي، كيف يمكن أن يقدم الأدب الفلسطيني هذه السردية... البعض يقول إن علينا أن نكتب أدباً نطلق عليه أدب الإبادة كما أطلق غسان كنفاني على أدب الأرض المحتلة بأدب المقاومة ما هو رأيك في ذلك؟

ما يحدث كبير وسيتشكل الاسم مع ظهور الأعمال التي ستعبر عما تعيشه غزة الآن، المهم فعلا أن تكون هناك أعمال على مستويات فنية عالية. الأدب الفلسطيني له جذوره وله تجاربه الواسعة التي أكدّت حضورها وهو معنيّ بكل ما يمس شعبه حياة وموتًا ومصيرًا منذ البداية، كما أن الإبادة كانت فعلا مستمرا مع كل مذبحة ارتُكبت ضد الشعب الفلسطيني. ما يحدث في الضفة الغربية اليوم إبادة. الإبادة لم تتوقف منذ مائة عام، واليوم تصل إلى مستوى غير مسبوق يراها البشر في كل مكان، وأدب الإبادة لو وجد، يكمن معناه في ما يسكن داخله من أدب مقاوم، لأن المعركة ما زالت مستمرة، والإبادة ليست خلفنا إننا نعيشها وسنظل نواجهها إلى أن يحقق الشعب الفلسطيني حريته وكمال وطنه.

■ ما رأيك بما يسمى الأدب ما بعد الحداثة الذي يتحرر من كل القيود الفنية لمختلف صنوف الأدب؟

ليست المشكلة في التحرّر الفني، المشكلة في التحرّر من الحياة، أو التخلّي عنها، باعتبارها عبئًا أدبيًّا، هذا لا يعني سوى شيء واحد هو الموت.

نحن لا نستطيع أن نمنع الناس من أن تكتب بالطريقة التي تريدها هي، فنحن نملك حريتنا في أن نقرأ هذا الأدب أو لا، أن نكتب نقيضه أو لا. لكن نظرة بسيطة، بل سريعة إلى مسيرة الأدب في العالم ستجعلنا ندرك أن الشجر الوحيد الذي يعلو ويقاوم الرياح هو ذلك الذي جذوره في الأرض وظلاله عليها أيضا.

■ أي عمل من أعمالك الأدبية تتمنى أن تراها في عمل تلفزيوني أو سينمائي؟ ماهي الصعوبات التي تواجه تحويل العمل الأدبي لصورة؟ وهل هناك خطوط حمراء لدى شركات الإنتاج في ما يخص القضية الفلسطينية من خلال تجاربك؟

الخط الأحمر الكبير لكل فضائيات العرب هي فلسطين، ببساطة لا أحد يريدها، كان هنا أو هناك، منذ ستة عشر عاما، محاولات لتحويل زمن الخيول البيضاء إلى مسلسل، لكن كلها فشلت. هناك أعمال قليلة جدا أُنتجت على فترات متباعدة، لكن هذا لا يكفي أن نقول إن فلسطين أخذت حقّها. هناك أعمال كثيرة لي ولغيري يمكن أن تكون أعمالا تلفزيونية، وسينمائية، ومن التجربة العملية، وآخر تجربتين كانتا في الفترة الممتدة من تموز العام الماضي إلى تموز هذا العام، يمكن القول بوضوح: لا مكان لفلسطين في الفضائيات العربية.

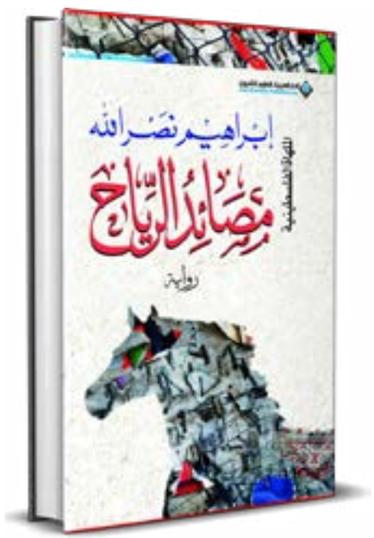

الرفيق أبو علي مصطفى موقف والتزام

صلاح صلاح
أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

التقيت مع الرفيق أبو علي مصطفى أول مرة في اجتماع موسع (نيسان ١٩٦٨) دعت له قيادة إقليم فلسطين (الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب)، يضم مندوبين عن جميع الساحات لوضعهم بصورة التطورات العديدة التي حصلت بعد نكسة ٦٧؛ كإعلان قيام «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» واعتبارها خطوة في إطار الجهود لتشكيل الجبهة الوطنية الموحدة التي تضم كل القوى الفاعلة في ميدان العمل الفدائي الناشئ،

دلالات ونتائج حرب حزيران ١٩٦٧ والإستراتيجية الجديدة التي تستوجبها، واعتقال الرفيق الأمين العام جورج حبش ورفاقه.

وقد تبين منذ اللحظات الأولى للاجتماع، وجود مجموعة من الشباب يحاولون باسم «اليسار» طرح قضايا خارج ما يتضمنه جدول الاجتماع من أمور مُلحّة، مما فاجأ الحضور، فتقرر تشكيل لجنة تحضيرية تقوم بإعداد جيد لعقد مؤتمر في آب ١٩٦٨ وتوزع وثائقه بشكلٍ مبكر.

تكررت المفاجأة عندما تبين أن مجموعة ما تسمي نفسها «يسار» لم يكن همّها الوثائق، التي لم يظهر حولها أي خلاف، بل هي تسعى مستغلة غياب الحكيم للسيطرة على الجبهة أو الانشقاق.

أستذكر تلك المرحلة المأساوية لأشير إلى أن الرفيق أبو علي مصطفى كان ضد الأصوات التي تدعو إلى حسم الأمر من هذه «الظاهرة اليسارية الطفولية» بالقوة، عِلماً أنه كان صاحب قرار ومؤثر لأن تركيزه الأساسي على الإعداد بكل قوة وجهد للمرحلة الجديدة، مرحلة العمل الفدائي والكفاح المسلح.

وعندما قدم نايف حواتمة رواية مغلوطة لهذه المرحلة في كتابه «حواتمة يتحدث» رد عليه الرفيق أبو علي مصطفى بشكل واقعي وموضوعي في مقال مسهب تحت عنوان «دفاعاً عن الحقيقة»، ولأشهد من خلال هذه الوقائع وما بعدها أن الرفيق أبو علي كان حاسماً وجاداً وجريئاً، لكنه لم يكن متسرعاً ولا انفعالياً ولا مزاجياً، يمارس مهماته بروح عالية من المسؤولية والانضباط.

***

في العام ١٩٨٤ رافقت الرفيق أبو علي مصطفى ضمن وفد يرأسه إلى كوبا جرت فيه لقاءات واسعة على مستوى عالٍ مع قيادة الحزب الشيوعي الكوبي ووزارة الخارجية وغيرهما من مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، وكان الهم الأساسي الذي يشغل بال وتفكير وجهد الجبهة الشعبية في تلك الفترة،

ونقله أبو علي بوضوح وصدق إلى الرفاق الكوبيين هو المخاوف من المساعي الحثيثة لجر منظمة التحرير الفلسطينية إلى الانخراط في مشاريع التسوية التي أخذت تغزو المنطقة وتركّز بشكل أساسي على الطرف الفلسطيني، وما يحمله ذلك من مخاطر الانقسام الذي بدأت ترجماته فعلاً من خلال تفرد فتح في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وتشكيل التحالف الوطني الذي يضم بعض الفصائل، كذلك التحالف الديمقراطي الذي يضم فصائل أخرى (اليسار).

كان الرفيق أبو علي يكثر من الأسئلة للتعرف قدر ما أمكن إلى الثورة الكوبية وعناصر انتصارها وصمودها. وكان الرفاق الكوبيون يستمعون له باهتمام. وجميع من التقينا بهم لم يغب عن مداخلاتهم التأكيد على ثلاث نقاط:

الحرص على الوحدة الوطنية.

التمسك بالمقاومة فهي سلاحكم للتحرير.

لا تثقوا بالولايات المتحدة الأميركية فهي دولة مخادعة ومنحازة لعدوكم (إسرائيل).

بعد انتهاء زيارتنا أخذنا خط طيران يتجه بنا إلى عدن لمتابعة حوار يتنقل بين مدينتي عدن والجزائر تبنته قيادتا الدولتين بين فتح والتحالف الديموقراطي كمدخل لإعادة الوحدة الوطنية بين جميع الفصائل.

فجأة ونحن في أعالي السماء، وبعد غفوة قصيرة في الطائرة يطرح أبو علي سؤالاً بحدة وحيرة: بالله عليك يا رفيق صلاح افتيلي كيف سنوفق بين ما قدمه لنا الرفاق الكوبيون من نصائح صحيحة مئة بالمئة وفي غاية الأهمية وبين ما نحن مقدمون للحوار حوله في عدن؟ كيف يمكن تحقيق الوحدة مع طرف يراهن على علاقة ودعم أميركي، ويبدي استعداداً بل تخلياً عن الكفاح المسلح بعد عام 1982؟

امتد النقاش طويلاً وتشعب ليتناول قضايا أخرى لكنها في الإطار نفسه من نوع:

ضمن وفد التحالف الديموقراطي نفسه يوجد تباينات، وتتسرب معلومات بأن عرفات لن يلتزم بما يتم الاتفاق عليه مع وفد فتح، بالإضافة إلى ذلك كيف سيسوّق التحالف الديموقراطي ما قد يتم التوصل إليه إلى التحالف الوطني؟

أخذ النقاش وقتاً طويلاً حول كيف يمكن التوفيق بين كل هذه التعارضات؟ لم نصل إلى أجوبة مقنعة، لكني لم أرَ الرفيق أبو علي لا قبل هذا الحوار في الطائرة ولا بعده على

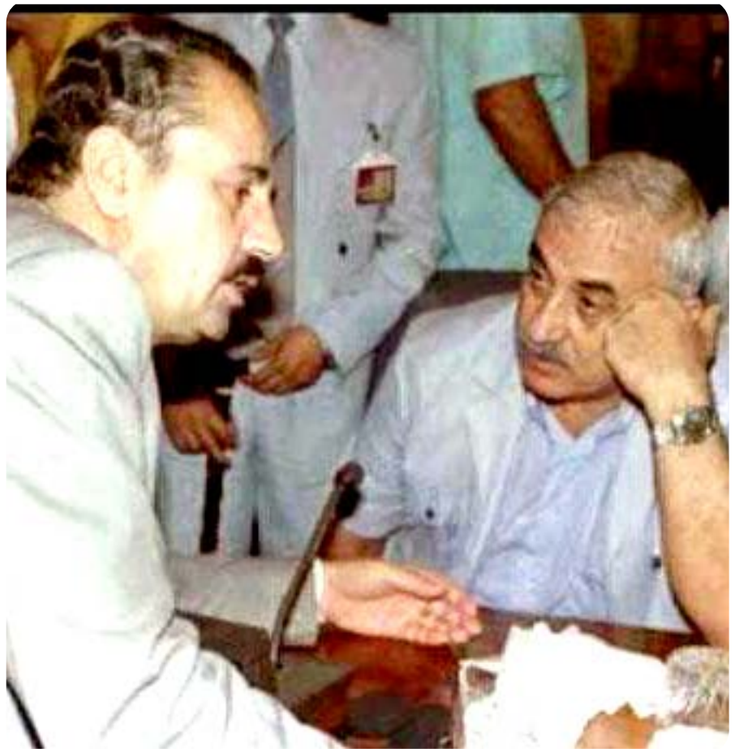

هذا القدر من الحيرة والإرباك كمن يشعر بالعجز أمام مهمة مستحيلة، ولكنها ضرورية. يجد نفسه أمام مسؤولية كبيرة يجب تحقيقها لكن كيف؟

يبدو أننا ما زلنا نعيش الوضعية نفسها. الوحدة الوطنية حاجة مُلحّة وفي غاية الضرورة لكن كيف نحققها؟ وبين مَنْ ومَنْ؟ وما هي شروط تحقيقها ونجاحها؟

***

بعد اتفاق أوسلو المشؤوم جرت نقاشات حادة ومضنية داخل صفوف الجبهة الشعبية على كل المستويات القيادية والكادرية وحتى الأعضاء حول كيف سنتعامل مع إفرازات أوسلو خاصة في موضوعي العودة إلى الداخل (مناطق السلطة) ومن يعود، ومؤسسات السلطة وأجهزتها هل نشارك بها أم نقاطعها؟

ما يهمني هنا، حسب ذاكرتي، أن الرفيق أبو علي لم يكن متحمساً في البداية للعودة وكثيرون يؤيدونه لكن الأمر حُسِمَ فيما بعد «بموافقته» بأن يدخل للإقامة في مناطق السلطة، رغم الحواجز النفسية الضاغطة على موقفه، وذلك لسببين أساسيين:

الأول بأن مناطق السلطة هي أرضنا ووجود الاحتلال فوقها يجب ألا يدفعنا إلى مغادرتها، بل الاستفادة من أيةِ فرصة سانحة للعودة إليها إذا كنا خارجها. هنا تصبح القضية المطروحة هي:

هل نعود لنتعايش مع العدو والتعامل معه والخضوع لسيادته تحت عنوان سلام موهوم؟ أم نعود لنقاومه ونتصدى لوجوده كغاصب فوق أرضنا؟ من هنا كان الشعار الذي طرحه فور عودته: «عدنا لنقاوم ليس لنساوم».

والسبب الثاني، تبلورت القناعة داخل الهيئات القيادية للجبهة أن مصير اتفاق أوسلو هو الفشل، وعلى قيادات الجبهة خاصة من أبناء مناطق السلطة أن تكون بين الجماهير لبلورة مخاطر اتفاق أوسلو وطرح البديل بالعودة إلى الرؤيا الإستراتيجية للصراع مع المشروع الصهيوني.

كان الرفيق أبو علي مصطفى وهو الأكثر أهلية للقيام بهذا الدور مع جماهير يعرفها، نشأ وعاش بينها وكثيرون منها قاتلوا معه مع بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية.

سنبقى أوفياء لمسيرته الطاهرة والثورة في الضفة كما في غزة تتجدد بدم الشهداء وستنتصر.

طوفان الأقصى وانعكاساته على الفكر السياسي

د. سعيد ذياب
أمين عام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني

إذا كان الفكر البشري هو نتاج لوعي الإنسان لواقعه وقدرته على فهم الظواهر السياسية التي يواجهها وبالتالي صياغة سلوكه تجاهها وكيفية التعامل معها دون الفصل بين الماضي والحاضر، أو فصل بين مكان ومكان، ويتباين دور الإنسان من خلال طبيعة الهدف المتمثل بتغير الواقع السياسي جزئيًا أو شاملاً.

ولأن طوفان الأقصى يعتبر من الأحداث العاصفة التي عاشتها منطقتنا العربية ولا تزال، فإن ما أفرزه من فكر سياسي لم تقف حدوده داخل جغرافيا فلسطين، بل امتد ليشمل مساحة الوطن العربي، بل والعالم الذي انشغل كثيراً في تأمل ودراسة الطوفان أسبابه وانعكاساته وما يترتب عليه من نتائج.

في الأسباب

- لم يكن الطوفان مقطوع الجذور عما سبقه من نضال فلسطيني من ناحية واستعمار للهجمة الصهيونية من ناحية أخرى خاصة بعد تشكيل الحكومة اليمينية- الدينية واندفاعها نحو ما سمي بعام الحسم من خلال سياسة الضم، وسياسة الاستيطان، وتهويد القدس والأقصى.

لقد وجد العدو الصهيوني نفسه وكأن يده قد باتت طليقة وبشكل خاص بعد الاندفاعة العربية نحو التطبيع وخاصة السعودية التي كانت قاب قوسين أو أدنى من توقيع الاتفاق، وما يعنيه ذلك من تسويق للكيان على المستويين العربي والإسلامي.

وكان القمع الذي مارسه العدو في الضفة والتنكيل ضد الأسرى، بمثابة الشرارة التي قادت إلى هذا الطوفان الذي حرق في طريقه الكثير من الأوساخ التي راكمتها سياسات الإذعان الرسمي العربي والاستسلام لسلطة أوسلو.

- لقد نجح الطوفان في خلق تحولات هامة تاريخيًا وإستراتيجيًا بعد قرن من النضال الفلسطيني، أبرز هذه التحولات في إستراتيجيته الردع لدى العدو التي طالما كرسها من خلال تبني أقسى مستوى من العنف عاملاً بمقولة «جابوتنسكي» (المزيد من العنف حتى يصل العدو للاستسلام أو إلغاء وجوده).

كانت إستراتيجية العدو تقوم على نقل المعركة (إلى أرض الخصم) بالإضافة إلى امتلاك عنصر المفاجأة، لكن الطوفان نقل المعركة إلى عقر الكيان والغرب الإمبريالي ليس على مستوى الجغرافيا فحسب، بل ثقافيًا وأخلاقياً، وباتت السردية الفلسطينية هي السائدة أو الحاضرة وبقوة.

وكان للطوفان تأثيره أكبر على مستوى ثقة العدو نفسه وبقوته، ففي الوقت الذي كان يتباهى بقوته بات يطلب وبإلحاح دعم العرب في مواجهة محور المقاومة.

وبقد ما أثبت الطوفان خطأ ما كونه «الكيان» عن نفسه بأنه صاحب الجيش الذي لا يقهر، فإن شجاعة الفلسطيني التي أبهرت العالم، كرست صورة المقاتل الفلسطيني الذي لا يخاف الموت من أجل أن يحيا الوطن.

- أما على المستوى الفلسطيني جاءت السياقات العامة أننا أمام حرب إبادة، حيث التشريد ومئات المجازر وآلاف الشهداء والجرحى والحصار المحكم لا ماء ولا كهرباء وغذاء شحيح أي من لم يمت بالقصف يموت من الجوع والمرض، هذا الإجرام المتأصل في العقيدة الصهيونية واستشهاد «نتنياهو» بيوشع بن نون (قال الرب لا تنسى ما فعل العماليق) وطالب بقتل الكل أطفالاً ورجالاً ونساءً.

هذا الطابع الإجرامي الكامن في لب الأيدولوجيا الصهيونية الدينية، كشف بوضوح شديد فساد الرأي الذي يقول بإمكانية صناعة السلام مع هذا العدو الذي انكشف طابعه كمشروع استعماري استيطاني عنصري لا يمكن التفاوض معه، وأن الصراع هو صراع مفتوح، فعلى مدى عقود لم تفضِ عمليات التسوية الدولية ومقررات الأمم المتحدة إلى حل الصراع ولم يحصد الفلسطينيون سوى الحصار والقتل.

لقد كسر الطوفان نمط الصراع الفلسطيني- الصهيوني إلى الأبد، كان للطوفان أثره الأكبر على الفكر السياسي العربي حيث تعمق الفرز، ففي الوقت الذي التقت النخب السياسية من إسلامية وقومية ويسارية على قاعدة إدراكها لطبيعة المشروع الصهيوني كمشروع استعماري استيطاني كان هناك موقف رسمي عربي ينطلق من تبعيتها للولايات المتحدة وعلى قاعدة أن ما يهمها هو الاقتصاد والمصالح المالية، وأن التضامن العربي بات من الماضي.

أعتقد أن الطوفان – الصمود الفلسطيني والممارسات الإجرامية الصهيونية، لعب دورًا أساسيًا في إزالة الغشاوة عن العيون الغربية، فكان لمظاهر الإبادة والتحريض على ممارستها أثر كبير في إطلاق ما يمكن وصفه ثورة في الوعي وتحديدًا على مستوى الشباب وطلاب الجامعات، فإسرائيل (الضحية) كما دأبت على تصوير نفسها، تكشفت وباتت متهمة بالإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني من قبل محكمة العدل الدولية وهي تصل للمرة الأولى، وأصبح قادتها مطلوبين كمجرمي حرب من قبل محكمة الجنايات الكبرى، وبرغم الدعم الأمريكي وما مارسته من ضغوط على المحكمة فإن الصورة الإسرائيلية لم تعد كما كانت وباتت حقيقتها عارية تمامًا كدولة مارقة.

والأمر الآخر الذي لا يمكن إهماله أن الموقف من الحرب على غزة بات قضية داخلية للعديد في الدول، بل إن الموقف من الحرب على غزة كان له أثر في تحديد طبيعة النتائج للدول التي شهدت انتخابات من بلدانها.

الطوفان ومحور المقاومة

في الوقت الذي كان محور المقاومة ووحدة الساحات تتعرض لتشكيك قوي وأن كل الحديث عن المحور ووحدة الساحات مجرد حديث على الورق لا قيمة عملية له، جاءت عملية الطوفان وعمليات الإسناد التي كرستها المقاومة اللبنانية حزب الله والحشد العراقي وأنصار الله أكبر دليل على مصداقية المحور وهو المظهر الأساس في عملية المواجهة مع العدو لوحدة الساحات ولم يعد موضوع الاستفراد بالمقاومة الفلسطينية، وأعتقد أن عملية المواجهة على هذا المستوى يمكن اعتباره العلاقة الأبرز لمستجدات الطوفان.

الطوفان والنهوض

يرى مالك بن نبي أن من شروط النهضة أن يعرف الإنسان اللحظة التاريخية التي إن استغلها يمكنه جعلها هي التحول الأساسي في حياة أمته.

وإذا ما انطلقنا من أن طوفان الأقصى كان بمثابة اللحظة التاريخية التي أحدثت ما أحدثت من التحول في الفكر السياسي فإنني أرى أن توفير عناصر النهضة ستكون بالإمكان جعل الطوفان نقطة التحول الأساسية.

وأرى أن من أدلة شروط النهضة هو تحقيق الوحدة الوطنية على قاعدة المقاومة وقاعدة التمسك بالحقوق الوطنية، لأن الحديث عن الوحدة الوطنية دون أسس يعني الانجذاب نحو برنامج السلطة ونهجها المستسلم، ومما يزيد من فرص نجاح الوحدة والتخلص من نهج أوسلو هي انغلاق أفق التسوية وخاصة بعد تصويت الكنيست برفض قيام الدولة الفلسطينية، الأمر الذي يجعل من الحديث عن التمسك بالمفاوضات نوعاً من العبثية وأن الاستمرار بالالتزامات مع العدو ليست إلا تنازلات للعدو وتنكراً للواجب والمسؤولية الوطنية.

استنهاض الضفة

كانت الضفة من المسببات الرئيسية لطوفان الأقصى وما كانت تتعرض له من محاولات الضم، وهدم البيوت – الاستيطان واعتداءات المستوطنين والاقتحامات المتكررة للأقصى، والتنكيل بالأسرى، هذه الصورة كانت عنصراً مقرراً في الطوفان، الأمر يفرض أن تشهد الضفة حالة استنهاض شعبية شاملة لتكون الساحة الثانية للمواجهة مع العدو الصهيوني.

وأعتقد أن الاحتلال أشد ما يخشاه هو انخراط الضفة في المواجهة، لأنها ستكون الأشد تأثيراً وإيلاماً للعدو بحكم التداخل بين القرى والبلدات من جهة والمستوطنات من جهة ثانية.

إن المزاج الشعبي العام في الضفة الداعم للمقاومة، وبؤر المقاومة والكتائب المنتشرة في جنين ونابلس وأريحا وطولكرم، كلها مؤشرات أننا سنكون أمام انتفاضة شعبية عارمة تكون ركناً أساسياً في النهوض الوطني العام.

دور الشتات الفلسطيني

شكل صمود المقاومة والصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني نموذجًا فريداً فرض نفسه على العالم لرفض السلوك الإجرامي الذي ترتكبه إسرائيل.

ولعبت الجاليات الفلسطينية والعربية دوراً مميزاً في نقل الصورة بحيث نجحت في إحداث تحول حقيقي في الرأي العام وباتت القضية الفلسطينية في صدارة الأحداث وقلب الاهتمام، واهتزت الرواية الصهيونية.

إنني أعتقد أن استنهاض الشتات الفلسطينية والتنسيق مع الجاليات العربية والإسلامية من شأنه أن يشكل ركناً ثالثاً في عملية النهوض الشعبي الفلسطيني والعربي.

في معركة سيف القدس كان للفلسطينيين في الجزء المحتل عام 1948 دور بارز في دعم المقاومة والانتصار للأقصى والقدس، الأمر الذي يجعل من تحركهم أمراً في غاية الأهمية والتأثير.

أعتقد أن عملية الاستنهاض لا تستقيم دون تحديد هدف سياسي واضح ومحدد تجمع عليه كل عناصر النهوض.

وأرى أن شعار إنهاء الاحتلال يمكن أن يكون شعاراً جامعاً ويجعل من طوفان الأقصى ذا مردود سياسي أكثر من كونه صفحة مجيدة ومشرقة في تاريخ نضالنا الفلسطيني.

إلى أين؟ غزّة والاحتلال «الدائم»

د. عبد الحسين شعبان ـ مفكر وأكاديمي عراقي

قالت فرانشيسكا البانيز المقررة الخاصة بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، إن إسرائيل تستغل المفاوضات للاستيلاء على الأجزاء المتبقية من فلسطين، وذلك بهدف الاحتلال الدائم، وما المفاوضات سوى ستار لذلك. وتفسير ذلك هو أن إسرائيل تقصد من استمرارها في الحرب ضد غزة، التي بدأت بعد عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، هو الاستعمار الاستيطاني.

هكذا تبدو أهداف هذه الحرب التي خلّفت نحو 150 ألف ضحية بين قتيل وجريح ومفقود، بدعم أمريكي علني ماديًا ومعنويًا، سياسيًا وعسكريًا، وباستهانة فاقعة بالمجتمع الدولي، وتجاهل صريح لقرارات مجلس الأمن الدولي القاضي بإنهاء الحرب فورًا، وأوامر محكمةِ العدل الدولية القاضية باتخاذ تدابير لمنع الإبادة الجماعية، فضلًا عن تيسير وصول المساعدات الإنسانية العاجلة، خصوصًا في ضوء الوضع الكارثي الذي تعيشه غزة.

شروط إسرائيل

على الرغم من أن جولة المفاوضات التي جرت في الدوحة -15 16 أغسطس/ آب 2024، عبر الوسطاء (قطر ومصر والولايات المتحدة)، لم تشهد تقدمًا ملحوظًا، بل واجهت صعوبات كبيرة، إلّا أن الوسطاء قرروا مواصلتها في القاهرة على أمل حلحلة المواقف، على الرغم من تعنّت إسرائيل وفرضها شروطًا جديدة، ورفض حماس لتلك الشروط، الأمر الذي استوجب تقديم الولايات المتحدة مقترحات جديدة ستتم مناقشتها في القاهرة استمرارًا لمقترحاتها السابقة في نهاية مايو/ أيار من هذا العام، لكن إسرائيل قالت على لسان نتنياهو إنها متمسّكه بشروطها، والتي تعني الاحتلال الدائم والترحيل التدريجي والاستيلاء على الأراضي وبناء المستوطنات. وكان خليل الحيّة ممثّل حركة حماس قد وصل إلى القاهرة، كما وصلها مسؤولون إسرائيليون رفيعو المستوى، إضافة إلى وليام بيرنز مدير وكالة الاستخبارات المركزية CIA، إلّا أنه لم يتمّ التوصّل إلى اتّفاق، حيث تتمسّك إسرائيل بشروطها الجديدة، وهي:

1. السيطرة على محور فيلادلفيا على الحدود الفلسطينية - المصرية بين غزة ومصر.
2. السيطرة على معبر رفح.
3. منع عودة المقاومين الفلسطينيين إلى شمال غزة، وذلك بوضع نقاط تفتيش لفحص جميع العائدين عبر ممر نتساريم.

موقف حماس

أكّدت حماس أنها متمسكة باتفاق 2 يوليو / تموز استنادًا إلى مقترح الرئيس الامريكي جو بايدن. وكان وفدها قد غادر القاهرة التي جاء إليها ليستمع إلى رأي الوسطاء، ويعيد طرح مطالب المقاومة عليهم، وملخّصها أن أي اتفاق لا بدّ أن يتضمّن وقفًا دائمًا لإطلاق النار، وانسحابًا كاملًا من قطاع غزّة، وحريّة عودة السكّان إلى مناطقهم والإغاثة والإعمار وصفقة تبادل جادة.

لا يمكن التكهّن بما ستكون عليه مفاوضات القاهرة التي قد تطول، خصوصًا وأنها تدور في حلقة مفرغة، وقد فشلت حتى الآن في وقف إطلاق النار وإبرام صفقة لتبادل الأسرى والمحتجزين، علمًا بأن المعتدي يرفض وقف عدوانه، بل يستمر في محاولة توسيعه وإدامته.

صفقة جزئية أم ماذا؟

يحاول نتنياهو الحصول على صفقة جزئية ليستعيد الأسرى الإسرائيليين، ثم يواصل عملياته الحربية لإبادة سكان غزة، وقد بات مثل هذا الأمر واضحًا، فالهدنة الأولى أُفرج فيها عن عشرات الأسرى الفلسطينيين مقابل عدد محدود من الأسرى الإسرائيليين، لذلك بادر الاحتلال إلى خرقها، وفي كل مرة كانت المفاوضات تقترب من وقف إطلاق النار ووقف حرب الإبادة على غزة، يحاول رئيس الوزراء الإسرائيلي إعادة الكرّة، إمّا بتوسيع دائرة الحرب وخلط الأوراق وإدخال الولايات المتحدة طرفًا مباشرًا، أو بوضع شروط جديدة، وهكذا يتم البدء في الوساطة من الصفر، وكأن شيئًا لم يكن، ولعل ذلك ما يفسر طول هذه الوساطة وعدم التوصل الى اتفاق ملموس وواضح.

لقد كان اغتيال اسماعيل هنية، القيادي الفلسطيني في طهران، تصعيدًا جديدًا لمسار الحرب والذريعة لتوسيعها لتشمل المنطقة، بجرّ أطراف أخرى إليها، وقد يكون من بين أهداف إسرائيل توريط الولايات المتحدة بشكل مباشر في هذه الحرب بزعم أن خطرًا وشيك الوقوع يتهدّدها كرد إيراني مثلًا، أو وقف الملاحة في بحر العرب والبحر الأحمر وباب المندب من جانب اليمنيين.

فهل ممكن أن تتمخّض مباحثات القاهرة العودة إلى اقتراح 2 يوليو/ تموز 2024، علمًا بأنه لا يمثل مطالب حماس أو الشعب الفلسطيني، لكنه على أقل تقدير يمثل الحد الأدنى منها ضمن توازن القوى؛ وأولها - وقف حرب الإبادة الشاملة؛ وثانيها - منع إسرائيل من ارتكابها المزيد من المجازر، بل واضطرارها إلى القبول بذلك؛ وثالثها - عودة النازحين والمهجرين إلى مناطق سكنهم؛ ورابعها - الاتفاق على تبادل الأسرى، وبالنسبه لها المهم أصحاب المحكوميات العالية؛ وخامسها - إعادة إعمار ما دمرته الحرب العدوانية؛ وسادسها - توفير إغاثة عاجلة إلى سكان غزة.

تلك هي شروط حماس بالحد الأدنى ومعها فصائل المقاومة، وهو ما أبلغته للوسطاء للضغط على إسرائيل وعلى المجتمع الدولي لكي يتحمل مسؤوليته، ولم توافق حماس على مقترحات الولايات المتحدة لما سمي «جسر الفجوة»، لتعارضه مع مبادرة بايدن المشار إليها وقرار مجلس الأمن، وتطالب حماس واشنطن التي تتخذ موقفًا مناصرًا للعدوان بعد التصرّف بازدواجية المعايير وانتقائية المواقف ممالأة لإسرائيل وتدعوها إلى الضغط على حليفها نتنياهو الذي تراجع عن قبول مبادرة بايدن.

إن أولى مطالب الفلسطينيين، ومعهم يقف طيف واسع من المجتمع الدولي أخذ يعبّر بشكل أكثر وضوحًا من السابق، هي الدعوة إلى الانسحاب، وعدم إعطاء أي حجة لاستمرار حرب الإبادة، في حين يقف نتنياهو من المفاوضات في الجانب الآخر ضدّ العالم أجمع، وهو إلحاق الهزيمة بحماس، وتفكيك بنيتها التحتية، وبالطبع فحماس ليست حركة فحسب، بل هي شعب مقاوم بكامله والمقصود تدمير حياة سكان غزة بالكامل وترحيلهم، وتحويل المنطقة إلى ثكنة عسكرية كبرى تتحكم إسرائيل بحياة سكانها، وتقضم الأراضي بالتدريج طبقًا لنظرية الاحتلال الدائم التي هي تعبير جديد عن الاستعمار الاستيطاني.

فحتى الآن يبدو أن الأوضاع ليست ناضجة للاتفاق على حل يسهم فيه الوسطاء بسبب التعنّت الإسرائيلي وموقف نتنياهو الذي يريد استمرار الحرب لكسر إرادة الصمود لدى المقاومة، وغلّ يدها في مواجهة الاحتلال، بل جعل الهزيمة أمرًا مقبولًا وواقعًا بفعل اختلال موازين القوى، في حين أن المقاومة على الرغم من الخسائر الفادحة في الأرواح والأموال، فإنها تريد تأكيد نصرها على الآلة العسكرية الإسرائيلية، وإثبات هزيمة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، والأكثر من ذلك تأكيد أن الحرب هي حرب عقول، إضافة إلى حرب إرادات.

وهكذا وعلى الرغم من الدمار الذي لحق غزّة وأهلها، فإن إسرائيل لم تتمكّن من تحقيق أهدافها المعلنة من الحرب، ولاسيّما حين يؤكّد العقل الفلسطيني للعالم أجمع أن أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، هي خرافة، تلك التي ظلّ العدو يروّج لها باعتبار إسرائيل دولة علوم وتكنولوجيا، بل إنها الدولة الأكثر تقدمًا في الشرق الأوسط، لكن عملية طوفان الأقصى أثبتت أنها دولة هشّة وخاوية من الداخل لأنها تقوم على العنصريّة، فقد تمكّن بضعة مقاومين وبوسائل بسيطة، بل بدائية من إلحاق الهزيمة بها بإرادتهم الصلبة وعقلهم المخطّط وتصميمهم على اختيار لحظة المواجهة وانضباطهم في التنفيذ. فهل ستجني إسرائيل مكاسب من عدوانها عبر المفاوضات أم ستتمكّن المقاومة من إفشال المخطط الإسرائيلي الهادف إلى الاحتلال الدائم؟ وماذا سيكون الحال بعد طوفان الأقصى؟

في الهدف أنا أحيا..

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

لا شيء يعادل قصف تلك الليلة، قصف من طائرات مغيرة نهشت قذائفها أحشاء البيوت وفتت الحجر وأذابت الحديد، أغارت بأصواتها المرعبة لتنسج ليلة كابوسية خرجت عن نصوص الحياة... ذلك مشهد لم يعد مألوفاً في غزة في الوسط والجنوب والشمال، وعلى كل بقعة تشي بالحياة، من قال إن الطفلة ذات أحد عشر ربيعاً سما طبيل استطاعت أن تنام وتداعب فراشات حلمها الغض، ليلة استبدلت بالكابوس كما هو الحال في غزة كلها، لتصحو وهي ترتجف بشدة: لقد سقط شعرها كله، ولم تعد تجرؤ على أن تمسه، خصلات سقطت على الفراش دون حراك، فمن يمشط أغصان الأشجار الوادعة، ومن يبلل بكفين من فضة عروق الروح، ليلة أخرى لا تشبه تلك الليالي فرت من عراء الجحيم لتودي بشعر سما... سما التي مست رأسها بخوف وهلع، لكنها استعادت ابتسامتها صباحاً لتقول: متى أمشط شعري لأصير أحلى، ولحظتها كانت الانفجارات المجنونة تحدث دوياً هائلاً بالقرب منها، كأنها ترى الكابوس بأم عينها دون أن يسرق الكابوس ابتسامتها، لتقول من جديد: هي ذي الريح تمشط الأشجار وتنبت الأغصان من جديد.

فما زالت الأشجار واقفة وكذلك أنا وسط حريق دام، ومازلت أتحسس مشطي الصغير لأهيئه وسوف ينبت شعري من جديد لأَضم بخصلاته بقايا المكان، الذي تخثر به دم الشهداء.

تلبس سما شالاً حريرياً وتطلق ضحكات طفولية ولسان حالها يقول: مازالت أحيا... وتحيا غزة.. تحيا فلسطين ■

حرب الإبادة الشاملة في غزة: حان الوقت للتغيير

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

منذ أكثر من عشرة أشهر وحرب الإبادة الشاملة ما زالت مستمرة في قطاع غزة، ودائرتها تتسع إلى مدن الضفة الغربية، وإلى مناطق الجنوب اللبناني والمدن اليمنية. ومنذ أن بدأت هذه الحرب والعدو يرتكب أبشع المجازر ضد السكان المدنيين العُزّل يومياً، على مرأى ومسمع المجتمع الدولي، الذي لا يسمع ولا يرى. وأيضاً بمشاركة ودعم مطلق من حكومات الولايات المتحدة، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، ومن لف لفها. بالإضافة إلى هذه المجازر، يشن جيش الاحتلال الصهيوني الغارات الجوية يومياً في جنوب لبنان، وحيثما خمن أن هنالك أهدافاً حساسة للمقاومة، ويقصف المدن والقرى بقنابل الفسفور الأبيض المحرمة دولياً، بالإضافة إلى الاغتيالات اليومية، بواسطة المسيرات والطيران الحربي لأفراد المقاومة.

هذه المجازر اليومية يقوم بها العدو بدم بارد، وبتعمد وترصد مقصودين، دون أدنى مراعاة للقانون الدولي والإنساني. ودون مراعاة لوجود المدنيين من النساء والحوامل والأطفال والشيوخ. ودون أدنى اعتبار لأماكن وجود المدنيين العزل، سواء في أماكن الإيواء، أو المستشفيات أو الأسواق، أو المراكز الدينية، أو مراكز الدفاع المدني. وأيضاً دون أدنى اعتبار للاحتجاجات التي تنطلق من المجتمعات المدنية في أكثر من بلد. فقد تم تدمير مقرات الأونروا في غزة، ولم يأبه الاحتلال النازي لاحتجاجات المفوض العام للأونروا، أو تصريحات الأمين العام للأمم المتحدة. هذا السلوك الإجرامي، ليس عشوائياً، أو وليد اللحظة في ميدان القتال. على العكس من ذلك. فالمواجهات في ميدان القتال حطمت صورة الجيش الصهيوني الذي لا يُقهر، والمرتزقة الذين يُشاركونه القتال، أمام الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني وتضحياته الجسام، وصمود المقاتلين في ميادين غزة المدمرة، وأمام بأس المقاومين في جبهات الإسناد، خصوصاً في جنوب لبنان. لكن، جيش الاحتلال الصهيوني وحلفاءه، يتعمدون ضرب الأهداف المدنية، وإيقاع أشد الخسائر في صفوف المدنيين الذين لا يشاركون في القتال، خصوصاً في مدن قطاع غزة. ويستهدفون بتعمد مسبق الأماكن التي يزعمون أنها آمنة، ويحثون السكان بالانتقال إليها. بهذا السلوك النازي المتعمد، يسعى العدو الصهيوني إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة، في مقدمها التطهير العرقي سواء بالإبادة الجماعية، أو بدفع الناس إلى ترك بيوتهم وتهجيرهم إلى مناطق أخرى. وأيضاً إلى تحريض الناس ضد المقاومة والانقلاب عليها، أو الوشاية بمواقعها. كذلك تهدف هذه الحرب النازية إلى تدمير كل شيء وجعل قطاع غزة منطقة غير آمنة، وغير صالحة للسكن والإقامة. كل هذه الأهداف، بالإضافة إلى سياسة التجويع المتعمدة ومنع إدخال المساعدات عبر المعابر البرية الرئيسة هي من سمات حرب الإبادة الجماعية الشاملة في غزة. والجدير قوله، أن هذا النهج النازي يُمارسه مجرمو الحرب الصهاينة منذ نشوء الكيان الصهيوني في عام 1948، حين ارتكبت العصابات الصهيونية آنذاك المجازر الوحشية، التي ترافقت مع شائعات الحرب النفسية من أجل دفع السكان إلى إخلاء منازلهم وبلداتهم والنزوح إلى البلدان العربية المجاورة. وقد تم تطوير هذا النهج خلال حرب لبنان في عام 2006، وخلال الحروب المتعاقبة ضد قطاع غزة منذ عام 2008 حتى اليوم. هذا النهج هو ما أطلق عليه اسم عقيدة الضاحية، نسبة إلى الضاحية الجنوبية في بيروت، كما عبر عنها مجرم الحرب غادي إيزنكوت الذي كان يشغل عضوية مجلس الحرب المصغر قبل أن يستقيل. تنص هذه العقيدة على ممارسة العقاب الجماعي ضد المدنيين، وتدمير كل شيء في الطرف الأخر، بما في ذلك المناطق السكنية، والمنشآت المدنية، ومراكز المؤسسات الدولية، والمستشفيات، ومراكز الإيواء، والبُنى التحتية، وإيقاع أكبر الخسائر المادية والبشرية، دون الاهتمام بالاحتجاجات الدولية والرأي العام العالمي. وينبغي القول إن هذه السياسة النازية تستند إلى عقائد دينية وخرافات تلمودية، كما عبر عن ذلك معظم مجرمي الحرب في الحكومة الصهيونية والأحزاب الصهيونية المختلفة، وفي مقدمتهم مجرم الحرب رئيس الحكومة الذي يستحضر في خطاباته اليومية القصص التلمودية والتوراتية لتحريض اليهود والأمريكيين ضد الفلسطينيين، واستعطافهم من أجل الاستمرار في حرب الإبادة، ومن أجل تحقيق ما يسمى بنبوءة أشعيا والنصر على العماليق، كما يدّعي. وما يجري في غزة اليوم، هو ممارسة لهذا النهج بأبشع صوره، وبتأييد مطلق من الولايات المتحدة التي ما زالت حتى اليوم، ترفض وقفاً كاملاً وفورياً لإطلاق النار، وترسل شحنات من القنابل الثقيلة زنة 500 رطل و2000 رطل لجيش الاحتلال الصهيوني مشاركة في حرب الإبادة الشاملة. غير أن المخزي بالأمر هو الموقف المتخاذل والمتواطئ لمعظم الدول العربية التي وقفت موقف المتفرج. حيث إن بعض هذه الدول تشارك بهذا العدوان ليس من خلال الصمت وغض البصر، ومنع شعوبها من التضامن مع أشقائهم الفلسطينيين، أو الاستمرار بإقفال المعابر البرية، بل أيضاً من خلال منح الكيان الصهيوني التسهيلات السياسية والاقتصادية والأمنية والاستمرار بسياسة التطبيع.

ومع اشتداد دموية هذه الحرب والمجازر اليومية بحق المدنيين، منذ أكثر من عشرة أشهر، تتقدم الأسئلة المشروعة حول جدوى المفاوضات مع الكيان الصهيوني حول الأسرى وإنهاء الحرب. فهل ما زال هنالك مبرر لاستمرار المفاوضات العبثية مع هذا الكيان المتوحش، أو تقديم التنازلات؟ لقد بات واضحاً أن قادة العدو يماطلون بالمفاوضات ويستخدمونها ستاراً لتنفيذ سياساتهم بالقتل والتدمير والتطهير العرقي، وفي محاولات حثيثة لاستعادة أسراهم بشتى السبل العملياتية، وبمساعدة حلفائهم الأمريكيين. وبالإضافة إلى ذلك، يُمارس جيش الاحتلال أبشع أصناف العذاب والإذلال وانتهاك أدنى حقوق الإنسان والقانون الإنساني والدولي بحق الأسرى الفلسطينيين. بالمقابل تتمسك المقاومة بالقيم الأخلاقية في معاملة الأسرى لديها، وتتجنب قصف المناطق المدنية الآهلة بالمستوطنين المحتلين. وفي هذا المقام يُمكن القول إنه حان الوقت لتغيير القواعد، والمعاملة بالمثل. فهذه الحرب ليست كمثيلاتها من الحروب السابقة، أو العمليات العسكرية الخاطفة التي كان يقوم بها جيش الاحتلال ويعود منتصراً. هذه الحرب تقترب من عامها الأول بفضل الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني وقوى المقاومة في غزة والدعم من جبهات الإسناد. في هذه الحرب، يعتبرها الصهاينة النازيون حرب وجود، ولم يتورعوا عن استخدام كل الأسلحة المحرمة دولياً. ولم يترددوا في تدمير كل شيء. ولم يرف لهم جفن عند قتل كل الرجال وكل النساء وكل الأطفال وكل الرضع. ولم يتوانوا بملاحقة قادة المقاومة، أينما وُجدوا، ومحاولة اغتيالهم دون الاهتمام: أين؟ وكيف؟ وأعداد الضحايا؟ ولم يتردد قادتهم بالدعوة إلى استخدام القنابل النووية لإبادة الفلسطينيين. هذا السلوك النازي الإجرامي يستدعي من قوى المقاومة، في قطاع غزة والضفة الغربية، وجبهات الإسناد، المعاملة بالمثل على قدر المستطاع. ولا بد من شد السواعد وتصعيد حرب الاستنزاف وتوجيه ضربات موجعة للاحتلال، أينما وجد وحيث أمكن، لدفع المستوطنين إلى الهرب إلى الأماكن التي قدموا منها. بالمقابل، ينبغي على المقاومة عدم معاملة الأسرى بطريقة إنسانية، والصرف على إطعامهم وحمايتهم، أو الاحتفاظ بهم أحياء، فهم ليسوا أفضل من الأسرى الفلسطينيين. العدو الصهيوني لا يأبه لسلامة جنوده الأسرى، أو استمرار وجودهم على قيد الحياة. والعدو يقصف المواقع والمنازل التي يعتقد بوجود الأسرى داخلها. ويحاول الخداع والتنكر بهيئة المساعدات الإنسانية للوصول إلى أماكن احتجازهم إن استطاع. ولا يتردد بارتكاب أبشع المجازر، وقتل أكبر عدد من المدنيين في محاولة الوصول لهم. فهل من الضروري التضحية بالمقاتلين والمدنيين من أجل حماية أسرى، جيشهم لا يكترث لهم، كما يظهر من مسار المفاوضات الفاشلة حتى اليوم. وينبغي العمل على أن هذه الحرب هي نقطة تحول رئيسة في الصراع مع هذا العدو، ولن تعود إلى الوراء. والعدو يبذل قصارى جهده لهزيمة المقاومة كلياً وتدميرها. لذلك لم يعد هنالك من مجال سوى استمرار المقاومة بكل عنفوانها وقوتها، وتقديراً لتضحيات الشهداء والدم المهروق، في غزة والضفة الغربية، وعلى كافة جبهات الإسناد التي تدعم كفاح الشعب الفلسطيني. وفي هذه الحرب لا قيمة للأخلاق والمبادئ مع عدو متوحش بلا أخلاق وبلا قيم إنسانية. فإذا كان هذا العدو النازي وحلفاؤه لا يقيمون وزناً للمبادئ الإنسانية، ولا حتى للقانون الدولي الإنساني الذي ساهموا بصياغته، فمن العبث معاملتهم بترفع وبأخلاق حسنة. وهذا الكلام هنا لا يهدف إلى تعليم أبطال المقاومة بما ينبغي أن يقوموا به، فهم يتصرفون بحرفية عالية، وبأخلاق قل نظيرها، كما تبدى من معاملة الأسرى الصهاينة الذين أطلق سراحهم سابقاً، بالإضافة إلى صمودهم الأسطوري الذي أذهل العدو قبل الصديق. لكن، المطلوب، كما تنص عليه الشرائع، المعاملة بالمثل. السن بالسن، والعين بالعين والمجزرة بالمجزرة والتهجير بالتهجير. والاغتيال بالاغتيال. وهذا الشعار رفعته المقاومة في لبنان حين أكدت على التعامل بالمثل، المنزل بالمنزل والمدني بالمدني، وأثبت نجاعته، وقد حان الوقت لتطبيقه بقوة وفعالية. وهذا يتطلب أيضاً العمل على إحياء شعار المقاومة التاريخي، وراء العدو في كل مكان، والعمل على إيقاع أكبر قدر من الخسائر المادية والبشرية بين صفوف هذا العدو المتوحش النازي ومن يدعمه في ساحة القتال، وعلى كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة. والكلمة الأخيرة للميدان.

الطفولة المقتولة في غزة

ولاء شرقاوي ـ ؟؟؟؟؟؟؟؟

بوجوه معمدة بالدماء والقهر والتعب وعيون مفجوعة تبحث عن لحظة أمان مليئة بالتساؤلات عن مصير مجهول، ووسط دهشة من هول ما يرونه أمامهم من مجازر ودمار، بأصوات بكائهم وكلماتهم التي يعجز الكبار أمام بلاغتها على بساطتها، يتصدر أطفال غزة المشهد، فالأرقام التي أصبحت الشغل الشاغل لوسائل الإعلام لا تخلو إحصاءاتها اليومية من تزايد أعداد الأطفال الشهداء، فبنك الأهداف الإسرائيلية الذي يزيد رصيده وحشية على مدار الساعة، استهدف الأطفال حتى في أرحام أمهاتهن كشيماء الغول التي فقد جنينها بإحدى الشظايا، وحصد رؤوسهم كالطفل أحمد النجار، وقطع أجسادهم الغضة وكسر قلوب ذويهم كالتوءمين الرضيعين آسر وآيسل محمد أبو القمصان.

فمن بين الشهداء الذين تجاوز عددهم 40 ألفاً في قطاع غزة من بداية الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل على مدار أحد عشر شهراً، منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، كان هناك أكثر من 17 ألف طفل منهم 2100 رضيع ممن تقل أعمارهم عن عامين.

إسرائيل التي أدرجت ضمن القائمة السوداء للدول التي تقتل الأطفال في الأمم المتحدة لم تكتف بأسلحتها الفتاكة للتخلص من الأطفال الفلسطينيين، بل استخدمت كل الوسائل والأساليب التي تحرمهم عيش حياة آمنة وكريمة كبقية أطفال العالم، من فقد للأهل والأحبة إلى تشرد ونزوح متكرر إلى إصابات شديدة وأمراض منتشرة في ظل تدمير المستشفيات وعدم السماح بوصول المساعدات أو إخراج المرضى للعلاج مع نقص حاد في الدواء والماء والغذاء.

أما الدمى التي اغتيلت على وسائد النوم الهانئة فقد استبدلها الغزيون بألعاب جديدة فبدلاً من التخفي والبحث عن باقي الأصدقاء، يقضي أطفال غزة يومهم باحثين عن نقطة ماء لهم ولمن تبقى من ذويهم، أو مصطفين في طوابير طويلة أملاً بالحصول على ما يسد رمقهم خوفاً من شبح المجاعة والأوبئة الذي يطاردهم.

كذلك المدارس، التي يفترض بها أن تكون بيتهم الثاني تحولت لمراكز نزوح لم تسلم من القصف الصهيوني أيضاً، فتدمر أكثر من 80% منها حيث تعرضت 4 من كل 5 مدارس في غزة لقصف مباشر أو تضررت ما يتطلب إعادة بنائها أو ترميمها جزئياً ليفقد 625 ألف طفل في غزة عامًا دراسيًا كاملاً.

تاريخ الصهيونية الإجرامي التي لا تراعي أي معيار إنساني أو قانوني يؤكد أن قتل الأطفال لم يكن عشوائياً بل متعمداً وبشكل ممنهج وبأكثر الطرق فظاعة، فما يحدث اليوم هو حلقة من سلسلة طويلة بدأت منذ قيام هذا الكيان الغاصب، فالتاريخ يروي قصص الأطفال الشهداء في دير ياسين وكفر قاسم وبحر البقر وقانا والانتفاضتين وكل عدوان استباح هذه الأرض حتى اليوم، لكن السؤال الذي يظل يتردد صداه في الوجدان إن كانت إسرائيل بهذه الوحشية فكيف تصف باقي دول العالم صمتها أمام الطفولة المقتولة في غزة؟

المؤشرات تقول بأن حرب غزة لن تهدأ ولن تتوقف ...!!؟

العدو الاسرائيلي خاسر ... المقاومة الوطنية الفلسطينية تنتصر

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

عند النظر في بدايات الحرب على غزة؛ والأبعاد الحقيقية لهذه الحرب التي يشنها العدو الإسرائيلي وتداعياتها المحتملة، وأن نضعها في سياقها الطبيعي دون تهويل أو تبخيس؛ علينا بداية التقاط الأجواء في المنطقة كاملة في ظلّ الخلخلة الداخلية التي يعاني منها مجتمع الاحتلال في ضوء فشله في تحقيق أهدافه بغزة، وتصاعد حدة الخلافات الإجرائية بينه وبين الولايات المتحدة الأميركية. كما علينا لمس خطورة الصمت العالمي على الجرائم التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي وحرب الإبادة اليومية والتي اقتربت من عام كامل (أحد عشر شهراً حتى كتابة هذه السطور)؛

كما إننا أمام موقف واشنطن الداعم للكيان الصهيوني وبقوة، وإن ظهرت الخلافات بأنها ضغوط على الكيان للتجاوب مع المواقف الأميركية حول إدارة الحرب على غزة خاصة وعلى الفلسطينيين عامة؛ مع إبداء حرص الإدارة الأميركية على عدم الانجرار لحرب إقليمية، ربما لعدم استعدادها في الوقت الراهن لهذه الحرب؛ فهم لا يريدون أخذ المنطقة لتصعيد إقليمي يتناقض مع سياسة أميركا الشرق أوسطية، التي تركز على مواجهة الصعود الصيني والتحدي الروسي على حدود أوروبا.

إلا أن حكومة الكيان الصهيونية بزعامة مجرم الحرب نتنياهو يحاول ممارسة حرب نفسية مفادها أنّ الكيان الإسرائيلي محصن وقوي، وقادر مع حلفائه على التصدي لأي هجمة ضده، ولكن نتنياهو وحكومته وقيادته العسكرية والأمنية يظهرون في الحقيقة ضعف هذا الكيان أمام صمود المقاومة الوطنية الفلسطينية.

فالمقاومة الوطنية الفلسطينية؛ أظهرت للعالم كله، بأن مكانة إسرائيل الإستراتيجية تضعضعت أكثر وأكثر، بعد مرور (11) شهراً على الحرب. وأظهرت للعالم كله بأن إسرائيل دائماً بحاجة للتدخل الأميركي والغربي لحمايتها، بدلًا من أن تكون هي حصنًا متقدمًا للمشروع الغربي الصهيوني في المنطقة. كما أن المقاومة الوطنية الفلسطينية وبصمودها ومقاومتها وتحديها ووقوف حاضنتها الشعبية معها ووقوف بعض التشكلات العالمية الحرة مع غزة (مثال: طلاب الجامعات الأميركية والغربية)، أظهرت كم أن إسرائيل فقدت هيبتها ومكانتها في المنطقة بعد أن استطاع العالم كله أن يرى ويشاهد ويسمع ويراقب المشاهد الإجرامية البربرية التي يقوم بها جيش الاحتلال وطيرانه الهمجي، وجنوده الفاقدون للأخلاق والفاقدون لأي شعور إنساني الذي يفتك بالأرواح البشرية من أطفال ونساء وشيوخ ويهدم كل البنى التحتية والأساسية والمؤسسات الصحية والتعليمية والتربوية والمدنية والملاجئ ومخيمات اللاجئين العزل والمستشفيات التي تعنى بمعالجة ومداواة المرضى والجرحى والمصابين.

وأظهرت المقاومة الوطنية الفلسطينية صمودها وتحديها وإصرارها وقوة حجتها بالدفاع عن أرضها وشعبها ضد احتلال استعماري استيطاني إجلائي مدعوم من أميركا والغرب وبعض الدول الذيلية في المنطقة، واستطاعت المقاومة الوطنية الفلسطينية أن تعري هذا الكيان باعتباره كياناً وظيفياً لخدمة المشروع الصهيوني في

المنطقة وإبادة الشعب الفلسطيني وتهجير ما تبقى منه وإلغاء هويته الوطنية. وأي متابع للحرب الهمجية الإبادية على غزة وعلى الشعب الفلسطيني في غزة يلاحظ أن هذا الكيان الإسرائيلي الاحتلالي كم هو وباستمرار بحاجة لأميركا والغرب في الدفاع عنه، ومساعدته. وكم يظهر هذا الكيان بأنه عالة على أميركا والغرب.

وحتى في الداخل الإسرائيلي؛ أضحوا كمجموعات من اللقطاء المستوطنين متأكدين بأنهم كـ «إسرائيليين» محتلين للأراضي الفلسطينية، أنهم لا يمكنهم الاستغناء عن أميركا والغرب في الدفاع عنهم، وبالتالي فعلى الزعامات الإسرائيلية الانصياع للطلبات والإملاءات وأن بإمكان الإدارة الأميركية لجم حكومة الاحتلال الإسرائيلي، ما دام أن اميركا والغرب يرتؤون أنه لا مصلحة مرجوة منه.

وعلى الأغلب، فإن هذا المجرم نتنياهو سيفشل في محاولته إطالة أمد الحرب في غزة؛ وجر المنطقة لحرب إقليمية، لأن محاولته في غزة فشلت، واضطر للرضوخ للمطالب الأميركية بعد ارتكابه المجازر البشعة في مخيمات اللجوء الإنساني؛ وقيامه باغتيال زعيم حركة المقاومة الإسلامية الشيخ إسماعيل هنية في طهران؛ وانتقاد غالبية العالم لهذا الإرهاب وهذه البربرية الإجرامية

كما سينصاع الآن أمام اتفاق إيران وأميركا بعدم توسيع دائرة الصراع في حال وصولهما لمخرج من الحرب وعدم الرد الإيراني على الاغتيالات (!!؟).

والحقيقة أن تقييد حرية وحركة حكومة الاحتلال الصهيونية في الوصول إلى اتفاقات أو تفاهمات بشأن وقف الحرب على غزة من خلال الولايات المتحدة الأميركية بحد ذاته يشكل تراجعًا في صورة إسرائيل وتقييدًا لإمكاناتها ولدورها في المنطقة.

ورغم أنه لا تزال إمكانية تمدّد الصراع قائمة من خلال تنفيذ إيران تهديداتها بالرد بعنف على اغتيال قائد المقاومة الوطنية الفلسطينية (الشيخ إسماعيل هنية) على أراضيها وبشكل أقوى.

يبدو أن هناك ضغوطاً قوية على حكومة نتنياهو لوقف الحرب على غزة؛ وإيجاد حل ربما مؤقت وربما تلوح به الإدارة الأميركية من أجل عدم خسارة موقف السعودية. وحسب ما يتسرب من معلومات بأن هناك مؤشرات حل للقضية الفلسطينية في ظروف استثنائية وغير مسبوقة منذ عقود.

كل هذا؛ يتم التفاهم بشأنه، إلا أن المقاومة الوطنية الفلسطينية ما تزال تخوض مع الاحتلال الصهيوني وأعوانه الحرب الأوسع والأشمل، وهي منتصرة رغم التضحيات الجسام التي تكبدها ويتكبدها الشعب الفلسطيني؛ إلا أن هناك تداعيات لهذه المواجهة ستشكل واقعاً جديداً على صعيد القضية الفلسطينية وقطاع غزة، كما ستؤثر في الواقع الإسرائيلي برمته، والمشهد السياسي الداخلي الفلسطيني، وتفرض شكل إدارة وطنية في غزة تكون لها دفة القيادة.

وبهذا تكون المقاومة الوطنية الفلسطينية قد أنهت مرحلة من محاولات الاحتلال الإسرائيلي فرض قوته وعنجهيته على القرار الفلسطيني وتكون المقاومة قد فرضت شروطها على الاحتلال لأن خيار المقاومة والتحدي ما يزال قائماً وما تزال حاضنته الشعبية في غزة وفي الضفة وفي عموم فلسطين وعند الكل الفلسطيني ما يزال يصر على الانتصار ودحر الاحتلال وتحقيق الحلم الفلسطيني بالعودة والتحرير وإزالة الاحتلال.

وتظل المقاومة الوطنية الفلسطينية؛ ومنذ السابع من أكتوبر 2023؛ قد حددت مساراً جديداً ومتصاعداً لسلوكها وتعاطيها مع انتهاكات الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة. وهذه المرحلة هي التي وضعت المقاومة الفلسطينية فيها محددات أوسع لفعلها بهدف التصدي لسعي إسرائيل فرض سيطرتها في الضفة الغربية والقدس وضمهما وتوسيع الاستيطان والتهويد فيهما.

وها هو ومع مرور قرابة العام على بدء الحرب الشاملة على قطاع غزة، وعلى الرغم من الدمار الهائل الذي ألحقته إسرائيل في القطاع وتدمير البنية التحتية فيه كلياً، واستشهاد أكثر من أربعين ألفاً من المواطنين الفلسطينيين الأبرياء وجرح أكثر من مئة ألف؛ ناهيك عن المفقودين والمعتقلين في سجون الاحتلال، وتوقف عجلة الحياة الإنسانية المعيشية؛ فإن المقاومة الوطنية الفلسطينية لا تزال تخوض اشتباكات مسلحة عنيفة مع عناصر الاحتلال الإسرائيلي في كافة محاور القطاع؛ مما هز قدرة إسرائيل على تحقيق هدفها نظراً إلى طبيعة حركة المقاومة الوطنية وعمق تجذّرها في الحالة الفلسطينية عموماً، وفي قطاع غزة على وجه الخصوص.

فالمقاومة الوطنية الفلسطينية متجذرة بين كافة قطاعات الشعب الفلسطيني منذ أكثر من قرن من الزمان؛ وتجذرت أكثر بعد نكبة1948، وتعمقت أكثر وأكثر بعد السابع من تشرين الأول 2023؛ واستطاعت المقاومة أن تبني حضوراً تنظيمياً وسياسياً وعسكرياً واجتماعياً عميقاً في الأراضي الفلسطينية. وما تزال قدرة المقاومة على الاستمرار في تنفيذ عمليات نوعية ضد جيش الاحتلال المتوغل في القطاع يشير إلى عمق التحدي الذي تواجهه إسرائيل في تحقيق أهدافها الاحتلالية أو حتى القدرة على تحمل تبعات حرب استنزاف طويلة لقواتها في القطاع.

وما زال اليوم التالي للحرب، أو اليوم المنتظر منذ أشهر، يشكل تحدياً آخر لإسرائيل ولحلفاء الاحتلال والداعمين له؛ فالأفكار المطروحة للإجابة عن هذه المعضلة لا تلقى فرصة حقيقية للتطبيق نظراً إلى تعقيد المشهد في القطاع، وفي البيئة السياسية الفلسطينية.

فالمقاومة الوطنية ترفض السيناريوهات التي يضعها الاحتلال أو أميركا أو الدول الرجعية المطبعة مع الاحتلال والتي تلتقي مصالحها مع مصالح الاحتلال وأعوانه.

ولن يكون من السهل على الاحتلال البقاء في غزة، فما تزال المقاومة الوطنية الفلسطينية تحافظ على قدرتها على مواصلة القتال في حرب مدن مفتوحة، وفي ظل ظروف مرهقة لجيش الاحتلال الإسرائيلي.

إن غياب رؤية واقعية وقابلة للتطبيق لليوم التالي للحرب، وعدم مقدرة إسرائيل على إعادة احتلال القطاع وتحمل حرب استنزاف فيه، سيجبرها على الانسحاب منه، الأمر الذي سيترك الفلسطينيين أمام خيار مواصلة المقاومة الوطنية لفرض عودة القضية الفلسطينية للواجهة واستمرار المواجهة في فلسطين بأشكال ومستويات مختلفة واقعاً جديداً في المنطقة. حيث سيفرض بيئة أمنية وسياسية جديدة، وينقل المنطقة من مسارات دمج إسرائيل في النظام السياسي والأمني والاقتصادي الإقليمي إلى بيئة هشة وقابلة للتفكك داخلياً.

وسيظل زمام الحل بيد المقاومة الوطنية الفلسطينية؛ فالأمر ما يزال يفتح الباب واسعاً أمام تصعيد عسكري وسياسي، وربما تحولات اجتماعية جديدة في المنطقة برمتها لصالح القضية الفلسطينية ولصالح الشعب الفلسطيني.

الحرب على غزة: تفاوض تحت خط النار

د. انتصار الدنّان ـ كاتبة سياسية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

دخلت الحرب على غزة يومها الـ322، ومع كل آلة القتل والإجرام التي يستخدمها العدو الصهيوني على غزة، مستهدفًا أماكن النزوح أهدافًا له، تحت ذريعة وجود مقاتلين فلسطينيين، وحملة تجويع وتعطيش كبيرين لم يحدث لهما مثيل في التاريخ، مازال أهالي غزة صامدين، وفي الوقت الذي تتواصل فيه الجهود للتوصل إلى اتفاق بين المقاومة وجيش العدو الصهيوني، بدأ آلاف الفلسطينيين حركة نزوح قسري جديدة من شرق مدينة خانيونس، جنوبي قطاع غزة، بعد إصدار جيش الاحتلال الصهيوني أوامر بإخلاء مناطق فيها، كما في أوقات سابقة شمل أمر الإخلاء مناطق عديدة في القطاع.

على الرغم من كل ذلك، فإن صمود غزة هو كلمة السر التي تنهي الصراع من أجل إنهاء هذا العدو الغاشم الذي احتل فلسطين عام 1948 وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وهذه هي مكافأة أهالي غزة الذين يلاقون الدمار والمعاناة بمزيد من التمسك بالأرض التي ولدوا عليها، ولن تثنيهم كل أدوات آلة القتل وهمجية العدو وتكالب الدول المتحالفة مع هذا العدو المغتصب عن الدفاع عن أرضهم وتحريرها، وكل الأماكن التي هدمها العدو ودفن أهلها فيها ودفن حياتهم فيها.

في الوقت الذي تنشط فيه المفاوضات العقيمة التي لا جدوى منها إن لم تكن لصالح الشعب الفلسطيني بأسره يرفض عدد كبير من أهالي شمالي القطاع المغادرة نحو الجنوب، لثقتهم بعدم وجود ممرات أو مناطق آمنة في جنوب غزة. كما أنه لم تسلم خيام ومدارس إيواء النازحين من القصف الإسرائيلي مع زيادة سوء الأوضاع في شمالي القطاع بسبب استمرار توقف دخول المساعدات.

العدوان المستمر على غزة منذ السابع من أكتوبر 2023، أدى إلى جملة تحولات بدأت ترتسم ملامحها منذ اليوم الأول للمعركة، فقد أثبتت المقاومة قدرتها على القتال، ومقارعة العدو الذي كان يمني نفسه بالقضاء على المقاومة وتحرير الأسرى من خلال الضغط العسكري، ثم ما لبثت أن تبددت أوهامه أمام قدرة ثبات المقاومة، وثبات أهالي غزة أمام هذا العدوان، وكان العدو يعتقد أنه قادر على القتال في ثلاث جبهات، الشمالية، والجنوبية، والشرقية، لكن هذا الاعتقاد تبدد أمام كل ما تقدمه غزة من ثبات أسطوري، فالعدو الصهيوني في هذه المعركة خذل حليفته الولايات المتحدة الأمريكية التي بدورها سارعت إلى إرسال أساطيلها لمساندة حليفتها خوفاً من سقوطها، خاصة بعد أن أعلنت إيران وحزب الله عن نيتهما الرد على الكيان الصهيوني بعمليات تضرب عمق الأراضي الفلسطينية المحتلة، بعد اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في إيران، وأحد القادة العسكريين في حزب الله فؤاد شكر، وجراء ذلك بدأ الكيان بتدابير احترازية عديدة خوفًا من أي ضربة متوقعة.

في جنوب مدينة رفح على الحدود الفلسطينية المصرية، تكثر الخيام التي يعيش فيها الغزيون، التي باتت هي المأوى الوحيد لأولئك النازحين، وفي القاهرة المصرية يوجد وفد الكيان المفاوض في مسألة وقف إطلاق النار وإطلاق سراح المحتجزين عند المقاومة، الذين يتهمهم نتنياهو بأنهم يبدون تنازلات هو يرفضها وغير مستعد للاستسلام لمطالب من شأنها المس بأمن

«إسرائيل».

ما أخذ بالحق لا يسترد إلا بالقوة، والجهاد من أجل تحرير الأرض. وما أود قوله هو أن المفاوضات والاتفاقيات التي مرت منذ العام 1948 حتى أوسلو أفضت عدم جدواها، وكانت دائمًا تصب في مصلحة الكيان، حيث إن المفاوضات مع العدو أفضت إلى طرح فكرة القبول بدولة فلسطينية ودولة إسرائيلية. وكان ذلك عام 1974، فطرحت النقاط المرحلية العشر التي قبلها المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة، والتي كان أحد بنودها ينص على القبول بدولة فلسطينية لا يكون ثمنها الاعتراف بدولة إسرائيل أو شرعية وجودها. وقبلها عملية التقسيم والاعتراف بدولتين على أرض فلسطين التاريخية، إلى اتفاق أوسلو الذي تم التوقيع عليه في 9\8\1993، والذي كان أخطر الاتفاقات على مر التاريخ الفلسطيني، الذي نص على الحكم الذاتي، وهذا أخطر ما فيه، ما يعني أن الذي يتصرف بما يسمى أراضي الدولة، هي الحكومة التي تدير شؤونه وهي «الحكومة الإسرائيلية»، كما أن اتفاقية أوسلو أنهت البحث في قضية القدس التي يتشدق حولها نتنياهو بأنها عاصمة الدولة الإسرائيلية وشارون من قبله والعديد منهم، كما أجلت البحث في قضية اللاجئين دون إشارة لقبول تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودتهم إلى بيوتهم وأراضيهم، كما تسبب اتفاق أوسلو في إلغاء الأمم المتحدة صفة العنصرية عن الحركة الصهيونية.

ما أود قوله في ختام شرحي هذا: «إن العدو الصهيوني لم تفضِ المفاوضات السابقة معه لصالح الفلسطيني، ولا تفاوض مع هذا الكيان الغاصب إلا تحت خط النار وبالجهاد، فمراوغته هذه في المفاوضات الحالية لكسب الوقت وكسب تنازلات من المقاومة المنتصرة أصلًا، ولإملاء شروطه حتى يظهر نفسه بمظهر المنتصر، لكن على المقاومة الفلسطينية تفويت نصره المزيف عليه، وألا ترضخ لشروطه.

فصائل المقاومة تصعد من حرب الاستنزاف

الإدارة الأمريكية تنقلب على ورقة 2 يوليو (تموز) بشأن صفقة تبادل الأسرى وترضخ لشروط نتنياهو

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

فوجئت فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، بانقلاب أولي للإدارة الأمريكية في السادس عشر من أغسطس(آب) الماضي ،على ما سبق وأن توافق عليه المفاوض الفلسطيني مع الوسطاء الثلاثة في الثاني من (يوليو) تموز الماضي، بالاستناد إلى مبادرة بايدن في 31 مايو (أيار) الماضي، وإلى قرار مجلس الأمن رقم 2735 في الحادي عش من (يونيو) حزيران الماضي، عبر طرحها بيان ثلاثي» أمريكي مصري قطري» يستند إلى مزاعم مكشوفة على نحو: تقليص الفجوات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بالاستناد إلى مبادرة بايدن.

لكن البيان لم يأت على ذكر مضمون إعلان بايدن ، ولا على ذكر قرار مجلس الأمن اللذان نصا على ما يلي في المرحلة الأولى (من 3 مراحل) من اتفاق وقف إطلاق النار:

وقف فوري تام وكامل لإطلاق النار/ انسحاب القوات الإسرائيلية إلى محاذاة الحدود/ عودة النازحين إلى بيوتهم في كل مناطق القطاع دون قيد أو شرط/ دخول المساعدات الإنسانية والمساكن المؤقتة بشكل كاف وآمن/ صفقة تبادل جدية بين الطرفين.../ والمفاوضات أثناء المرحلة الأولى يجب أن تؤدي إلى وقف دائم لإطلاق النار وانسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من قطاع غزة.

واللافت للنظر أن الوسيطين القطري والمصري وقعا على البيان ، دون الإشارة إلى ورقة الثاني من يوليو -تموز المستندة إلى إعلان بايدن في 31 مايو (أيار) ، ما يعني أن الإدارة الأمريكية تستخدم الوسيطين المصري والقطري منذ عدة أشهر، كغطاء لاستمرار حرب الإبادة ، ومنح الوقت اللازم لنتنياهو لإنجاز أهدافه وبيع الوهم للعالم بأنّها تعمل من أجلِ وقف الحرب في قطاع غزة . واللافت للنظر أيضاً أن وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكين ، لم ينفك منذ مفاوضات باريس وقطر والقاهرة قبل أكثر من ستة شهور ، عن تحميل المسؤولية لحركة حماس بشأن عدم الوصول لصفقة التبادل مع (إسرائيل) ، ويكذب على رؤوس الأشهاد بدون خجل أو وجل ، إبان انعقاد قمة البحر الميت في 11 حزيران الماضي «لزيادة المساعدات لغزة ودعم وقف إطلاق النار وقرار مجلس الأمن» بقوله : «إن نتنياهو موافق على ما طرحته الإدارة الأمريكية ، وعلى ما ورد في قرار مجلس الأمن رقم 2735 ، رغم أن نتنياهو في ذات اليوم أعلن موقفه الواضح والصريح بشأن عدم الموافقة على وقف إطلاق نار دائم ، وعن عدم الانسحاب من قطاع غزة ، وأنه أكثر إصراراً على القضاء على حركة حماس وفصائل المقاومة».

انقلاب جذري على اتفاق (2) يوليو- تموز 2024

ولم تقف الأمور عند البيان الثلاثي «الأمريكي المصري القطري» ، بل تجاوزته باتجاه مقترح جديد طبخه بلينكن مع نتنياهو في زيارته الأخيرة لتل أبيب ، في التاسع عشر من شهر آب (أغسطس) الماضي ، وعمل على تسويقه بأنه مقترح أمريكي خالص ، وأن (إسرائيل)وافقت عليه ، وأن الكرة الآن في ملعب المفاوض الفلسطيني وحركة حماس.

وهذا المقترح يلبي كافة الشروط التي يتمسك بها رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو وينسف ما تم التوافق عليه في الثاني من (تموز) يوليو 2024 ، ويتجاهل كلياً أن حكومة ائتلاف العدو برئاسة نتنياهو ، سبق وأن رفضت كل المشاريع السابقة بما فيها اتفاق 6 مايو (أيار) الماضي ، ما يؤكد أن بلينكين في إدارته لموضوع الصفقة يتصرف بصفته يهودياً صهيونياً وليس كوزير خارجية للولايات المتحدة - الشريك الرئيسي في الحرب على قطاع غزة-

وراح بلينكن يعلن في مؤتمر صحفي ، بأن نتنياهو أبلغه موافقة (إسرائيل) على المقترح الذي قدمته الولايات المتحدة في جولة المفاوضات التي عقدت يومي 15 و 16 أغسطس (آب) الماضي بالدوحة للتقريب بين مواقف الأطراف ،وموافقته على المقترح الجديد في 19 أغطس (آب) الماضي.

فالمقترح الأمريكي الجديد الناجم عن لقاء وزير الخارجية « توني بلينكن» مع مجرم الحرب نتنياهو - وفق مصادر المقاومة - يتناقض تماماً مع الورقة التي توافقت عليه جميع الأطراف من الزوايا التالية :

-1أنه لا يشمل وقفاً دائماً لإطلاق النار بل «يناقشه في المرحلة الثانية ضمن سقف محدد.

-2 ويؤكد أنّه ما لم توافق حماس على المطالب الإسرائيلية، فسيعود الاحتلال إلى الحرب في المرحلة الثانية.

-3 المقترح لا يشمل انسحاباً إسرائيلياً شاملاً من قطاع غزة، بل يشمل استمرار احتلال ممر فيلادلفيا مع تقليص وجود الجيش الإسرائيلي وإعادة التموضع فيه ، واستمرار احتلال مفترق نتساريم، ومراقبة حركة الناس والتحكم فيه وتفتيش النازحين العائدين من الجنوب إلى مناطق سكناهم في غزة ومحافظة الشمال.

-4 المقترح يؤكد حق (إسرائيل) في رفض إطلاق سراح عدد لا يقل عن 100 أسير فلسطيني، ويضمن إبعاد عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين المفرج عنهم في صفقة التبادل إلى خارج فلسطين.

-5 المقترح يعطي الصلاحية للاحتلال بوضع فيتو على 65 اسماً من 300 اسم أسرى محكومين بالمؤبد تُقدّمهم حماس.

-6 أمّا فيما يتعلق بتقديم المساعدات وإعادة الإعمار، فيشترط المقترح «إغاثة غزة وتقديم المساعدات بموافقة حماس على جميع البنود»، كما «يؤجّل المفاوضات على إعادة الإعمار ورفع الحصار إلى ما بعد نتائج المرحلة الأولى».

وبعد الإعلان عن هذا المقترح ، راح بلينكن يحمل حماس مسؤولية إفشال المفاوضات بشأن صفقة التبادل ، متجاهلاً أن مقترحاته الجديدة تنسف ما سبق التوافق عليه في 2 تموز – يوليو الماضي ، وراح الرئيس الأمريكي يؤكد هو الآخر أن حماس بصدد التراجع عن الاتفاق السابق.

لقد تنصل وزير الخارجية الأمريكي من إعلان بايدن في 31 من أيار(مايو) الماضي ومن قرار مجلس الأمن رقم 2735 ، ومن توافق الأطراف على صفقة مستندة إلى إعلان بايدن ، وأعاد بالتواطؤ مع نتنياهو الأمور إلى المربع الأول ، ومنح الوقت الكافي لحكومة العدو للاستمرار في حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة ، للضغط على المقاومة للقبول بالشروط الصهيو أميركية في المفاوضات القادمة .

وبات واضحاً أن نتنياهو يريد من إعلان بايدن ومن توافق (2) تموز (يوليو) المرحلة الأولى فقط ، للإفراج عن عدد كبير من الأسرى الصهاينة لدى المقاومة، ليواصل بعدها حرب الإبادة على قطاع غزة ، واللافت للنظر مهزلة التباين الشكلي بين نتنياهو وبلينكن ، ففي حين يصر الأول على بقاء قوات الاحتلال في معبر فيلا دلفيا (محور صلاح الدين) ومحور نيتساريم باعتبار ذلك أمراً استراتيجياً وأمنياً ، راح بلينكن يصرح أنه ضد الاحتلال طويل الأمد ، ما يعني أنه مع بقاء الاحتلال لمعبر رفح ولمحور نيتساريم دون أن يحدد الفترة التي يستمر فيها الاحتلال.

يضاف إلى ما تقدم ، الدعم الذي قدمته الإدارة الأمريكية للعدو الصهيوني، في مواجهة محكمة العدل الدولية ، التي أصدرت أوامرها لحكومة الكيان الصهيوني في اجتماع 26 كانون ثاني (يناير) وفي اجتماع 26 (مارس) آذار الماضي واجتماع (أبريل) نيسان 2024 باتخاذ تدابير استثنائية لوقف حرب الإبادة الجماعية ، ناهيك أن الإدارة الأمريكية هددت محكمة الجنايات الدولية بفرض العقوبات على المدعي العام وعلى قضاة المحكمة ، في حال اتخذت المحكمة قراراً باستجلاب نتنياهو وغالانت ، للمثول أمامها والتحقيق معهما بتهمة ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية في قطاع غزة ، بعد أن بات في عهدتها كم هائل من الوثائق التي تؤكد التهمة الموجهة إليهما.

فالإدارة الأمريكية شريك أساسي ورئيسي في الحرب، وسبق أن زودت الكيان الصهيوني بما يزيد عن (70) طن من الأسلحة والذخائر والمعدات ، من ضمنها (14) ألف قنبلة تتراوح أوزانها بين (2000- 1000- 500 رطل) ، ألقيت على قطاع غزة مدمرة ما يزيد عن 70 في المائة من مباني القطاع ، ما يوازي ثلاث قنابل من تلك التي ألقيت على مدينتي هيروشيما وناكازاكي في اليابان إبان الحرب العالمية الثانية ،ناهيك عن تدمير شبه كامل للمؤسسات التعليمية والصحية والخدمية ومنشآت البنية التحتية.

كما أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ (13) أغسطس (آب) الماضي ، أن الولايات المتحدة وافقت على تزويد أسلحة ل (إسرائيل) بقيمة 20 مليار دولار، بما في ذلك عشرات الطائرات المقاتلة وصواريخ «جو-جو» المتطورة.

المفاوض الفلسطيني: لا تراجع عن ورقة (2) يوليو - تموز

لقد قاطع المفاوض الفلسطيني لقاءات الدوحة، بعد استشهاد رئيس حركة حماس إسماعيل هنية ، واقتصرت اللقاءات على ممثلي الإدارة الأمريكية وعلى الوسيطين المصري والقطري وعلى الوفد الصهيوني ، وفي هذه اللقاءات أصر نتنياهو على استمرار احتلال معبر رفح ومحور نتساريم ، وبات حوار الوسطاء منصباً على محور نتساريم ومعبر رفح ، وليس على انسحاب الاحتلال من عموم قطاع غزة ، حيث عمل نتنياهو على جر الوسطاء إلى قضايا جزئية ، ثم جاءت مفاوضات القاهرة واتصالات بايدن بنتنياهو لتنصب على المسافة التي تنسحب فيها قوات الاحتلال من معبر رفح ، كيلو متر أو نصف كيلومتر ، في الوقت الذي أكد فيه الجانب المصري رفضه بقاء قوات الاحتلال في المعبر .

وفي الرابع والعشرين من شهر (أغطس) آب الماضي ، توجه الوفد الفلسطيني المفاوض برئاسة نائب رئيس حركة حماس خليل الحية ، إلى القاهرة بناء على طلب الوسيط المصري للاستماع إلى خلاصة المفاوضات بين الوسطاء والوفد الصهيوني ، التي لم تأت على ذكر ورقة 2 تموز – يوليو، والتي أصر فيها نتنياهو على بقاء قوات الاحتلال في محور نتساريم ومعبر رفح ، وتقليص عدد هذه القوات في المعبر.

وغادر الوفد الفلسطيني القاهرة في الخامس والعشرين من شهر أغسطس (آب) الماضي بعد أن التقى الوسطاء في مصر وقطر، واستمع منهم لنتائج جولة المفاوضات الأخيرة ، حيث أكد على رفض الانجرار للجزئيات التي يلعب بها نتنياهو لإفشال صفقة التبادل ، وطالب الوسطاء بإلزام الاحتلال الإسرائيلي بما تم الاتفاق عليه في الثاني من يوليو/تموز الماضي المبني على ما ورد في خطاب الرئيس الأميركي جو بايدن وقرار مجلس الأمن الدولي ، بما يحقق مصالح الشعب الفلسطيني العليا ،وأن يتضمن أي اتفاق «وقفا دائما لإطلاق النار وانسحابا كاملا من قطاع غزة، وحرية عودة السكان إلى مناطقهم، والإغاثة والإعمار وصفقة تبادل جادة».

ردود المقاومة على الانقلاب

لقد أجمعت فصائل المقاومة ، على أنّ ما تم عرضه مؤخراً على الحركة، يمثّل «انقلاباً على ما وصلت إليه الأطراف في الـ2 من تموز/يوليو الماضي، وعلى إعلان بايدن في الـ31 من أيار/مايو، وقرار مجلس الأمن رقم 2735، الصادر في الـ11 من حزيران/يونيو الماضي وقالت حركة حماس في بيان لها بشأن مقترح بلينكن الأخير « أن الانقلاب يُعدّ استجابةً ورضوخاً أميركياً لشروط الإرهابي نتنياهو الجديدة، ومخططاته الإجرامية تجاه قطاع غزة وهي ضوء أخضر أميركي متجدد للحكومة الإسرائيلية لارتكاب مزيد من الجرائم بحق المدنيين العزّل، وسعياً لإبادة وتهجير شعبنا»

من جانبها أكدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيان لها أنّ الولايات المتحدة «ليست وسيطاً»، بل إنّها «تقود

الحرب وتنخرط في تفاصيلها الخططية والتنفيذية» مع الاحتلال وأنّ وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن في زيارته الأخيرة للكيان الصهيوني ، «منح حكومة الاحتلال الإسرائيلي تفويضاً جديداً لاستكمال» العدوان وحرب الإبادة الجماعية ضد قطاع غزة.

المراحل الثلاث في إعلان بايدن

وحتى نضع القارئ في صورة الانقلاب الذي أقدمت عليه الإدارة الأمريكية على ما توافق عليه المفاوض الفلسطيني مع الوسطاء الثلاثة في الثاني من يوليو – تموز الماضي، نذكر بإعلان بايدن في 31 من حزيران الماضي الذي انطوى على ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: تستمر ستة أسابيع، وتشمل وقفا شاملا لإطلاق النار، مع انسحاب القوات الإسرائيلية من كافة المناطق المأهولة في قطاع غزة، مع إطلاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» سراح عدد من المحتجزين الإسرائيليين لديها، مقابل إفراج (إسرائيل) عن مئات الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية.

ويتمكن المدنيون الفلسطينيون، خلال هذه المرحلة، من العودة إلى منازلهم في كافة مناطق غزة، بما في ذلك الشمال. كذلك يُسمح بدخول المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة بمعدل 600 شاحنة يومياً.

المرحلة الثانية: يجرى خلال هذه المرحلة الإفراج عن كافة المحتجزين الأحياء المتبقين لدى حركة حماس، بمن فيهم الجنود الرجال، مقابل الإفراج عن أعداد كبيرة من الأسرى الفلسطينيين وفي المقدمة منهم ذوي الأحكام العالية والمؤبدة ، وانسحاب القوات «الإسرائيلية» من غزة، مع تحول وقف إطلاق النار المؤقت إلى «وقف دائم للأعمال العدائية»، في حال أوفى الطرفان بالتزاماتهما.

المرحلة الثالثة: تشهد هذه المرحلة إعادة إعمار قطاع غزة، كذلك يجرى إعادة رفات من تبقى من المحتجزين الإسرائيليين، الذين قتلوا.

مهمات المقاومة في مواجهة حرب الإبادة والانقلاب على الصفقات المطروحة

في مواجهة حرب الإبادة الصهيو أميركية ، تتمسك المقاومة بورقة الأسرى الصهاينة ، وتسهر على تفعيل ساحات المقاومة في فلسطين التاريخية، مستندة إلى عمقها الاستراتيجي « محور المقاومة» على النحو التالي :

-1حرب الاستنزاف

تخوض فصائل المقاومة الفلسطينية ، حرب استنزاف هائلة ضد قوات الاحتلال في قطاع غزة، في مواجهة إصرار نتنياهو ،على رفض القبول بصفقات متعددة لتبادل الأسرى، وإقدامه في كل مرة على طرح شروط جديدة ، بهدف إفشالها ما يمكنه من الاستمرار في الحرب وفق مصالحه الشخصية ،حتى لا تسقط حكومة الائتلاف التي يرأسها ما يمكن أن يؤدي إلى خروجه من الحياة السياسية .

فالمقاومة رغم مسلسل المجازر اليومية المرتكبة بحق أبناء شعبها ، لا تزال يدها هي العليا في الحرب منذ إحدى عشر شهراً، عبر كمائنها المركبة غير المسبوقة في ثورات التحرر الوطني ، وعبر قصفها المتصل لمواقع العدو في القطاع بقذائف الهاون وبمختلف أنواع الصواريخ محلية الصنع ، مستندةً إلى تماسك منظومة القيادة والسيطرة، وغرفة العمليات المشتركة التي باتت توزع الأدوار بين فصائل المقاومة وتنسق بينها لإنجاز عمليات مشتركة.

لقد اعترف جنرالات العدو وقادته العسكريين، في تصريحات ومقالات لهم ، بهزيمة قوات الاحتلال في قطاع غزة ، ومن ضمنهم الجنرال اسحق بريك- قائد القوات البرية سابقاً- الذي قال «إنّ «إسرائيل» تخسر على نطاقٍ واسع في قطاع غزّة، وبنيامين نتنياهو يذرّ الرماد في العيون، وما يحدث في قطاع غزّة وصمة عار كبيرة بالنسبة ل(إسرائيل) ...مضيفاً: «نحن نخسر على نطاقٍ كبير»....الجيش» الإسرائيلي منهك ويعرف أنّه «يستحيل هزيمة حركة حماس»، بينما الجنود الإسرائيليون يُقتلون في قطاع غزّة، مشيراً إلى أنّ القول بالاستمرار في الحرب «حتى نقوّض حماس هي شعارات»، في حين راح وزير الحرب الصهيوني «يو آف غالانت « يجاهر برأيه بأن تحقيق الانتصار المطلق على المقاومة أمر غير ممكن ،على عكس ما يروجه نتنياهو .

-2 جبهة الضفة الغربية:

عملت فصائل المقاومة في إطار عملية التنسيق فيما بينها ،على إشعال جبهة الضفة الغربية بعمليات نوعية ضد قوات الاحتلال، وخاصة في مناطق الشمال (نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية وطوباس وطمون وغور الأردن) والتي بدأت تنتقل تدريجياً إلى مناطق الوسط والجنوب ، لتخفيف الضغط عن قطاع غزة وحجز قوات صهيونية كبيرة فيها .

ويمكن الجزم أن ساحة الضفة الغربية- رغم التنسيق الأمني الذي تمارسه أجهزة أمن السلطة الفلسطينية- باتت تشكل محطة مركزية واعدة لتخفيف الضغط عن قطاع غزة ، وذلك باعتراف حكومة العدو ووسائل إعلامه، حيث أكدت القناة «الـ12» الإسرائيلية أن مئات العمليات تمّ تنفيذها ضد كيان الاحتلال منذ بداية العام الجاري، وسط ارتفاع مذهل في متوسط العمليات يصل إلى عشرات العمليات في الشهر الواحد ، التي تستهدف سلسلة طويلة من الأهداف، موضحةً: «تقريباً كل نقطة من إسرائيل».

وقال مراسل القناة نوعام كوهين نقلاً عن مصادر أمنية إسرائيلية : « أنه منذ الـ7 من تشرين الأول أكتوبر وحتى بداية آب/أغسطس الماضي، تم تنفيذ 338 عملية ضد إسرائيليين، لافتاً إلى أنّ الحديث يدور عن قفزة بنسبة 82% مقارنة بالعام 2022، وارتفاع بنسبة 9% تقريباً منذ العام 2023 ، مشيراً إلى أن العمليات القاسية في الفترة الأخيرة هي جزء من قفزة في العمليات في أرجاء «إسرائيل» في الأشهر العشرة الأخيرة ،حيث جاءت أغلب العمليات منذ تشرين الأول/أكتوبر في الضفة الغربية وعددها 300، مقابل 10 عمليات في القدس، و28 عملية في أماكن أخرى من الأراضي المحتلة ، وفي الحصيلة المعلنة لهذه العمليات، قُتِلَ 28 مستوطناً وجُرِحَ 256 آخرين.

-3 العمليات الاستشهادية في مناطق 1948 :لقد اتخذت المقاومة قراراً بإعادة الاعتبار للعمليات الاستشهادية في عمق الكيان الصهيوني لتشكل عامل ضغط على حكومة العدو لوقف الحرب على قطاع غزة، وقد تبدى هذا القرار بإعلان كتائب القسام، الجناح العسكري لحركة حماس بالاشتراك مع سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في بيان عبر منصة تلغرام، تنفيذ العملية الاستشهادية التي وقعت في تل أبيب في الثامن عشر من شهر أغسطس(آب) الماضي.

وجاء في البيان أن «العمليات الاستشهادية في داخل (إسرائيل) ستعود للواجهة طالما تواصلت المجازر وعمليات تهجير المدنيين واستمرار سياسة الاغتيالات»، فالعملية الاستشهادية التي جرى تنفيذها في تل أبيب مؤخراً ، تشكل فاتحةً لعمليات أخرى ، تذكر العدو بمسلسل العمليات الاستشهادية التي غطت الكيان الصهيوني والقدس في تسعينيات القرن الماضي وفي العقد الأول من الألفية الجديدة ، والتي ألحقت بالعدو الصهيوني خسائر بشرية كبيرة ، ولم يتمكن العدو من إفشال أية عملية منها.

خلاصة :رئيس حكومة العدو سيستمر في حربه الإبادية على قطاع غزة، التي ارتقى خلالها بعد مرور عشرة أشهر على الحرب، ما يزيد عن 40 ألف شهيد، وإصابة ما يزيد عن 92 ألف في محاولة يائسة منه لإجبار المفاوض الفلسطيني على تقديم التنازلات المطلوبة وسيستمر في محاولاته لإفشال أية صفقة مطروحة، بالضد من موقف أجهزته الأمنية ، حتى موعد إجراء الانتخابات الرئاسية الأمريكية ، مراهناً على فوز دونالد ترامب الذي قدم وعوداً له بتقديم دعم عسكري وسياسي للكيان الصهيوني أكثر من الإدارة الأمريكية السابقة.

وفي المقابل ستواصل فصائل المقاومة حرب الاستنزاف للعدو على جبهة قطاع غزة وجبهة الضفة الغربية وجبهة الأرض المحتلة ،مستندةً (أولاً) إلى حاضنة شعبية عظيمة لم تخذل المقاومة رغم كل ما ألم بها من قتل ونزوح وتشريد ، ومستندة (ثانياً) حلفائها الاستراتيجيين في محور المقاومة (إيران وحزب الله وحركة أنصار الله والمقاومة العراقية) الذين يخوضون حرباً إسنادياً لها على نطاق واسع ، لإيقاع أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية والاقتصادية ولتعميق أزمته الداخلية ، بهدف إجبار حكومة العدو على القبول بمطالب المقاومة وشروطها.

جبهة وطنية شعبية لقوى المقاومة لاستعادة قيادة المنظمة ونهجها الوطني

وسام رفيدي - كاتب سياسي من فلسطين

عندما كانت بيانات الفصائل ومقالات كتّاب وصحفيي السلطة تلهج بالمديح والثناء على خطاب (الرئيس التاريخي) أمام البرلمان التركي، كانت أجهزة سلطة اوسلو تبذل قصارى جهدها للقيام بدورها الوظيفي المرسوم: تلاحق المقاومين شمال الضفة لاعتقالهم وتبحث عن أماكن زرع العبوات على طرق الآليات العسكرية الصهيونية لتفكيكها. تلك مفارقة صريحة وواضحة يعرفها كل فلسطيني، واعتقد كل القوى والفصائل. أما على صعيد الإعلام فقد استمرت ماكينة إعلام السلطة وحزبها بالتحريض والتشويه للمقاومة ومنجزاتها الميدانية والغمز بقناة أهدافها الوطنية الشريفة.

لا أحد من الذين انتشوا (بالخطاب التاريخي) لأبي مازن يمكنه أن يغمض عينيه عن حقيقة تلك المفارقة، فحتى بعد التوقيع على بيان بكين، عاد أبو مازن ليؤكد أن مَنْ يرغب بدخول المنظمة عليه الإلتزام بشرطين: الموافقة على الاتفاقيات التي وقعتها، اي اوسلو، وقرارات الشرعية الدولية، أي الاعتراف بالكيان! أما أية خطوات لتنفيذ ما وقعوا عليه في بكين فلم يتخذ، فيما سريعاً شكّل لجنة تحضيرية لعودة (القيادة) لغزة، وجوهرها عودة سلطة أوسلو بديلاً لحكم حماس المدني، وحسب ترتيبات اليوم التالي، وتناغماً مع الهدف الصهيوني المعلن بالقضاء على حكم حماس. عودة مؤمّلة على جثة المقاومة.

ومع كل ذلك يستمر الرهان (التاريخي) على إمكانية تحقيق (الوحدة الوطنية) و(استعادة وحدة منظمة التحرير) مع فريق أوسلو وقيادة حركة فتح، وهو ذاته، وفق الصيغ والآليات التي اختبرت عشرات السنين ولم تنجح، وكأن معركة الطوفان لم تُحدث فرقاً في الواقع السياسي، وفي مجمل القضية الوطنية، أقله من حيث الفرز الصريح بين مَنْ يقاتل، أو على الأقل لا يقف ضد مَنْ يقاتل، وبين مَنْ يقف ضد مَنْ يقاتل علانية ورسمياً، لا بل ويسعى لترتيب أموره (لليوم التالي)، الذي يسعى له الأمبرياليون والصهاينة والأنظمة الرجعية التابعة والعميلة.

ويقيني ان تاريخ القضية الوطنية يمر في لحظة فارقة مثل التي مر بها عند توقيع أتفاقية أوسلو، ومع ذلك لم تُعامل تلك اللحظة بصفتها هذه، حتى من القوى الرافضة لتلك الاتفاقية. إذ ما معنى شطب الميثاق الوطني الفلسطيني باعتباره الرؤية الناظمة للحقوق والأهداف التاريخية، والاعتراف بشرعية المشروع الصهيوني في فلسطين، ونبذ الكفاح المسلح، وبناء سلطة وظيفية بدور أمني تابع للصهاينة، ومع ذلك لا يُعامل كل ذلك باعتباره لحظة فراق تاريخي بين نهجين، يتطلب أدوات جديدة ومواقف تتناسب مع خطورة اللحظة، واليوم يتكرر ذات الموقف: معركة تفصل بين نهجين لا يمكن أن يلتقيا، ومع ذلك يظل الخطاب السياسي، ويبدو خلفه الفكر ذاته،

رهين ذات الرؤى والمواقف ويطرح ذات الآليات، فيما يتعلق بثلاث قضايا اساسية: المنظمة والوحدة الوطنية والدولة. لقد تحولت تلك القضايا الثلاث لتابوهات بدا للفكر السائد وكأن من المحرمات نقضها.

أمام اي منظمة نحن؟

منظمة ومنذ الانصياع لمطالب بيرس ورابين وكلينتون في عامي 1993 و 1994، فقدت كونها إطاراً وكياناً وطنياً جامعاً يجسّد الأهداف التاريخية الوطنية ويسعى لتحقيقها، ويعتمد آليات المقاومة لتحقيقها، باعتبار القضية قضية تحرر وطني، فشطب الميثاق، والاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني، ونبذ المقاومة والتنسيق مع المستعمِر، كلها جسّدت انتقال المنظمة لموقع آخر، بفعل قيادتها والتنظيم المهيمن عليها، حركة فتح، لموقع خارج معركة التحرر الوطني. ما عادت القضية بالنسبة لتلك القيادة قضية تحرر وطني بل قضية مسائل خلافية، كالاستيطان والحدود والمياه والدولة، تنتظر فرج المحتل ليجري بحثها! لا جدوى هنا من التمييز بين المنظمة وقيادتها، فقيادتها نقلتها لموقع آخر كان من نتيجته تغيير جوهرها الكياني والإطاري، واستعادتها تتطلب عزل وإسقاط تلك القيادة. ومع ذلك يستمر الفكر السياسي بالرهان على (وحدة وطنية) مع ذات القيادة، رغم فشل كل محاولات تحقيق تلك الوحدة على مدى أكثر من 30 عام، بفعل تمسك مبدئي من حركة فتح وقيادة سلطة اوسلو، وهي ذات القيادة، بنهجها وممارستها السياسية وبرنامجها الأوسلوي، وبشروطها لإخضاع رافضي نهجها التسووي.

وبالنتيجة، وبتأسيس السلطة الفلسطينية، وفي حقيقتها، سلطة للحكم الإداري الذاتي المحدود، حسب منطوق أوسلو، وليس حسب منطوق قرار المجلس المركزي باعتبارها سلطة وطنية، كتسمية مفتعلة، بالنتيجة انتهى فعلياً وجود المنظمة وتحققت الاستبدالية المركبة: السلطة استبدلت المنظمة، وفريق ضيق محدود استبدل السلطة، وفي الحالتين فالفريق هو هو، مع بقاء شكلي للمنظمة لاعتبارات رسمية، ومؤسساتي ضروري ومحدود للسلطة، للقيام بالدور الأمني الوظيفي، واستجلاب التمويل الغربي، وتسيير شؤون الخدمات اليومية، شأن أية بلدية.

وبالنتيجة أيضاً انتهى دور المنظمة فعلياً وأي حديث عنها اليوم لا يحظى سوى بالتندر والسخرية، أما أن العالم (يعترف بها) فهو لم يفعل ذلك تاريخياً إلا عندما أظهرت المرونة المطلوبة باستبدال التحرير بالدولة، منذ البرنامج المرحلي في العام 1974، وصولاً للاعتراف بها كشريك للمستعمِر في اتفاقيات أوسلو. ويطل السؤال: ما فائدة هذا الاعتراف، وهذا حالها، للقضية الوطنية؟ وما مبرر وجودها أصلاً إن لم يكن من أجل انجاز مهام التحرر الوطني بالتحرير والعودة؟ في الخلاصة لا وجود للمنظمة فعلياً، واستعادتها لبرنامجها الوطني ما قبل العام 1974 من أيدي القيادة اليمينية المغتصبة يتطلب آلية جديدة هي نتاج لتفكير جدي.

في الآلية المطلوبة

كان من اللافت والضروري تشكيل القيادة المركزية لتحالف قوى المقاومة الخمس، إذ بدا فعلياً استجابة للعمل الميداني المشترك لقوى المقاومة على الأرض، في قطاع غزة وفي شمال الضفة الغربية. ذلك العمل الميداني المقاوم المشترك فرضته المعركة، ولم يكن نتاج لقاءات فوقية خارج الفعل المقاوم، كل ما يصدر عنها تمنيات وبيانات تحوي إجراءات لا يطبق منها شيء، لقاءات تتوج بصور مع حفنة ابتسامات. شتان بين وحدة الميدان واللقاءات الرسمية، وإذا كانت قوى المقاومة على المستوى القيادي، ولاعتبارات تكتيكية صرف، لا يمكنها عزل نفسها عن تلك اللقاءات في موسكو أو بكين، لكن عليها أن تظل ليس فقط مشدودة لوحدتها الميدانية المقاوِمة، ولكن أيضاً أن لا تقع فريسة الرهان، من جديد، على ممكنات عودة قيادة المنظمة عما هي عليه، لا بل واجبها كقوى مقاومة أن تجترح آليات تطويرية لعملها الميداني التنسيقي باتجاه بناء إطار جبهوي مقاوم ليشكل حالة ضغط لإسقاط قيادة المنظمة واستعادة الأخيرة لنهجها الوطني المقاوم.

والعبرة ليست في اعتبار القيادة المركزية لتحالف قوى المقاومة، جبهة وطنية وفقط، بل ببناء تلك الجبهة كقوة سياسية شعبية جامعة ليس للفصائل فحسب بل وللفعاليات والأطر والشخصيات الشعبية المنحازة للمقاومة، بما فيها فعاليات من قاعدة فتح التي تُبدي يومياً موقفاً مناهضاً لقيادتها ومنحازاً للمقاومة.

يبدو وكأن التاريخ يعيد نفسه. في العام 1974 تشكلت جبهة القوى الرافضة للحلول الاستسلامية بعد استبدال هدف التحرير بهدف (سلطة وطنية)، وكانت جبهة على مستوى الفصائل أكثر مما هي جبهة على المستوى الشعبي. بالاستفادة من تلك التجربة ينبغي توجه قوى المقاومة لبناء جبهة وطنية للمقاومة، ذات طابع شعبي، فصائلي ومؤسساتي، وفق آلية تستطيع إحتواء كل القوى والفعاليات والمؤسسات، وتشركها في القرار أيضاً، فصحيح أن يقال: شريك في المعركة شريك في القرار، وهذا جوهر الديموقراطية التي ينبغي لهذا التشكيل الجبهوي مراعاته.

طبعاً ستسارع قيادة السلطة والمنظمة وفتح، وتخرج من جعبتها التهمة الجاهزة بأن هذا التشكيل هو بديل لمنظمة التحرير!!!! كالعادة، وقّعوا اوسلو وشكلوا السلطة كبديل فعلي للمنظمة والانتفاضة الشعبية، وصرخوا أين البديل؟ واعتادوا أن يصرخوا بوجه كل عمل توحيدي لانقاذ المنظمة بأنه بديل للمنظمة، كما فعلوا مع المؤتمر الشعبي لفلسطينيي الشتات، ومع فعالية تشكيل المؤتمر الوطني الفلسطيني، رغم التحفظ الجدي على الفعاليتين وبرنامجهما ودورهما.

لا يجب أن تشكل تلك الدعاية السلطوية/ الفتحاوية رادعاً عن الإقدام لتشكيل جبهة المقاومة، فما هي سوى دعاية تستهدف التصدي لكل محاولات استعادة المنظمة لبرنامجها الوطني، ودفاعاً عن نخبة سياسية بيروقراطية رهنت القضية الوطنية لعلاقتها التابعة والذليلة مع المستعمِرين، وعليه وجب أن لا تقيم قوى المقاومة وزناً لهذا (التابو)، وتدير ظهرها للآليات التي اثبتت فشلها طوال عقود لاستعادة المنظمة، والشروع بتحويل القيادة المركزية لتحالف قوى المقاومة لجبهة مقاومة شعبية.

ليست آليات بيان بكين ومن قبله موسكو ومكة والقاهرة، مَنْ سيعيد المنظمة لنهجها الوطني بقيادة وطنية مقاوِمة، بل جبهة وطنية شعبية كآلية ضاغطة وضرورية لاستعادة القيادة والنهج الوطني للمنظمة.

اغتيال هنية وشكر:

الفكر الانتقامي واللحظة السياسية

أنيس محسن - صحافي فلسطيني ـ لبنان

لم يكن اغتيال رئيس حركة حماس إسماعيل هنية فجر يوم 17 حزيران/ يونيو، وقبله بساعات اغتيال القائد العسكري في حزب الله فؤاد شكر، أمراً غير مسبوق في العقيدة الإسرائيلية، المبنية في جزء منها على الانتقام، وإن حمل هذان الاغتيالان بعداً سياسياً آنياً متعلقاً بما يجري في قطاع غزة وتداعيات الحرب الدموية التي تشنها إسرائيل على القطاع، إقليمياً، ولا سيما مساعي وقف هذه الحرب، أو على الأقل إرساء هدنة طويلة.

- أول الاغتيالات «الهادفة» كان اغتيال وسيط الأمم المتحدة، الدبلوماسي السويدي اللورد برنادوت في 17 أيلول/ سبتمبر 1948، والذي رأت فيه إسرائيل «الوليدة» آنذاك خطراً على مخططها، وخصوصاً مشروع برنادوت الذي كان ينادي ببقاء القدس تحت سيطرة عربية وبعودة اللاجئين إلى بلداتهم وقراهم.

- وفيما نفذ الموساد الإسرائيلي منذ تأسيسه في 1948 العديد من عمليات الاغتيال التي طاولت علماء عرباً على اتساع الجغرافيا العربية، فإن مسلسل اغتيالات الشخصيات والقيادات الفلسطينية، أكاديمية وسياسية ومقاومة، يُمكن تأريخ بداياته باغتيال الأديب والقائد الفلسطيني غسان كنفاني في 8 تموز/ يوليو 1972، لتكر السبحة وصولاً إلى الاغتيال الأخير الذي طاول هنية والقائد فؤاد شكر، ودائماً كان الاغتيال يحمل بُعدين: بعد الانتقام، وبعد تحقيق هدف سياسي آني.

- في البعد الأول، يستقي الصهاينة، ولا سيما الأكثر تطرفاً منهم، عقيدة القتل والانتقام من التوراة، وينفذونها بكل ما فيها من دموية، والتي تظهر في سفر صاموئيل (الإصحاح 15، والآية 3)، إذ يأمر الرب اليهود بأن «اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ما له، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.»

- ومن اللافت أن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو استخدم تعبير العماليق في تغريدة له على موقع X (تويتر سابقاً)، في 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، فقال مخاطباً جنود جيشه: «يجب أن تتذكروا ما فعله العماليق بكم، هكذا يقول كتابنا المقدس، ونحن نتذكر بالفعل ونحارب. قواتنا العظمى حول غزة وإسرائيل ينضمون لسلسلة من الأبطال اليهود، وهي سلسلة بدأت قبل 3000 عام مع يوشع بن نون».

- ومن نافل القول أن الحركة الصهيونية لطالما استخدمت الدين لتبرير مخططها في استعمار فلسطين، وفي تبرير خططها السياسية، ومن الواقعي إذن أن تتحول إسرائيل مع الزمن من استخدام الدين اليهودي لتكريس الدولة، إلى استخدام الدولة لتحقيق نبوءات التوراة، وخصوصاً مع انقلاب مجتمع المستعمرين الصهاينة من العلمانية نحو التطرف الديني، وبروز أحزاب الصهيونية الدينية وأبرز قادتها حالياً هما إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، وعلى رأسهم نتنياهو، وتسود بذلك عقيدة القتل والانتقام بأبشع صورها، في سياق ما يجري من مقتلة شعب كامل في قطاع غزة، أمام نظر العالم الذي لا نيّة لديه لوقف المجزرة.

- لكن الأمر يتجاوز فقط عقيدة الانتقام والقتل المثيولوجية، إلى استخدام تلك العقيدة أيضاً لتمرير أهداف سياسية وإستراتيجية في آن. ففي عملية اغتيال غسان كنفاني، كان مقصد الانتقام هو ما قيل عن دور له في عملية اللد التي نفذها فدائيون من الجيش الأحمر الياباني، أما البعد السياسي، فكان التخلص من قيادي فلسطيني مثقف ومؤثر في مجتمعه وفي المجتمعات العربية، وحتى دولياً. أما عقيدة الانتقام الصافية فكانت بالأوامر التي أصدرتها رئيس الحكومة الإسرائيلية غولدا مائير لتصفية قادة فلسطينيين انتقاماً لعملية ميونيخ التي قُتل فيها 11 رياضياً إسرائيلياً في 6 أيلول/ سبتمبر 1972، كانوا يشاركون في أولمبياد ميونيخ، وبدأت باغتيال ممثل منظمة التحرير في روما وائل زعيتر في تشرين الأول/ أكتوبر 1972، ثم اغتيال ممثل المنظمة في باريس محمود الهمشري في كانون الأول/ ديسمبر، لتتوالى الاغتيالات في الأشهر التي تلت، وتستهدف باسل الكبيسي وحسين البشير ومحمد أبو ديّة، وتكون ذروتها باغتيال القادة الثلاثة محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر. وعلى الرغم من توقف العملية في تموز/ يوليو 1973، في إثر قتل الموساد رجلاً مغربياً ملامحه تشبه ملامح حسن سلامة، في النرويج، وبسبب ضغوط أوروبية في حينه، علماً أن قرار تصفية سلامة بقي قائماً، وقد اغتيل لاحقاً في سنة 1979.

- لكن، في المقابل، فإن سياسة الاغتيالات هذه، لم تعط ثمارها على المدى الطويل، إذ إن فلسطين الولاّدة أوجدت قادة استلموا راية المرحلة، وطوروا أدوات الصراع مع الاحتلال، وكلما كانت موازين القوى المائلة لمصلحة إسرائيل تنجح في معركة ضد الشعب الفلسطيني، يعود هذا الشعب للانطلاق مجدداً في مراحل نضالية أخرى.

- فاجتياح 1982 للبنان، وإخراج منظمة التحرير منه في سنة 1982، أعقبه في سنة 1987 الانتفاضة الأولى، الموسومة بـ «انتفاضة الحجارة» التي دفعت قائداً عسكرياً وحاكماً إسرائيلياً مثل إسحق رابين إلى الاعتراف باستحالة السيطرة على الشعب

الفلسطيني، لا بالطائرات والمدافع، ولا بسياسة تكسير عظام الأطفال التي ابتكرها خلال تلك الانتفاضة.

- وبعدما تيقن قسم من القيادة الفلسطينية من عُقم اتفاق أوسلو بعدما تمادت إسرائيل وخلفها وأمامها الولايات المتحدة، في حرمان الفلسطينيين من احتمالات قيام دولتهم المستقلة، جاء اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول/ سبتمبر 2000، والذي أشعلت شرارتها اقتحام أرييل شارون في حينه المسجد الأقصى، وقد دفع الرئيس ياسر عرفات حياته ثمناً لدوره في الانتفاضة، وفي رفض التنازل أكثر مما تم التنازل عليه في أوسلو.

- لكن اتفاق أوسلو الذي جاء كاستثمار خاطئ ومريب لثورة الحجارة، كان قد أنتج طبقة من المستفيدين الذين تخلوا عن مصلحة الشعب الفلسطيني باتجاه مصالح شخصية وفئوية، تبدو وكأنها متفرجة على ما يجري من مجازر في قطاع غزة اليوم، وهي غير فاعلة أساساً.

- ولم تُجد كل الاغتيالات التي شهدتها فلسطين ما بعد اتفاق أوسلو في وأد جذوة الثورة، بدءاً باغتيال الأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى في 2001، واغتيال رئيس حركة حماس ومؤسسها أحمد ياسين في 2004، ثم خلفه عبد العزيز الرنتيسي، وجميع القادة الميدانيين والسياسيين الذين اغتالتهم إسرائيل لاحقاً، إذ جاءت بعدهم قيادات أكملت المسيرة، بل طورتها، وتمكنت من تخطيط وتنفيذ عملية «طوفان الأقصى» التي هزت أسس إسرائيل، ودفعت جميع دول الاستعمار القديم إلى الاستنفار دفاعاً عنها فيما كانت تهتز وتكاد تسقط.

- هكذا، فإن اغتيال هنية وشكر، الذي هو من جانب انتقاماً كعقيدة صهيونية بعد الفشل في السيطرة على قطاع غزة على الرغم من المجازر الدموية، ومن جانب آخر هدف سياسي يتمثل بالحيلولة دون احتمال التوصل إلى وقف لإطلاق النار، والعمل على نشوب حرب إقليمية تورط إسرائيل الولايات المتحدة فيها؛ هذا الاغتيال لن يُنتج سوى إصرار الفلسطينيين على إكمال المسيرة المستمرة منذ بدأ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، على مدى نحو مئة عام.

دعم وإسناد طوفان الأقصى
بين الموقف الرسمي والشعبي

د. عابد الزريعي - مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

بينما تدخل معركة طوفان الأقصى شهرها العاشر باتت العملية التقييمية المتعلقة بالموقفين الرسمي والشعبي على المستوى العربي مسألة ضرورية وملحة، خاصة وأن نوعاً من التكيف السلبي مع المعركة بات أمراً ملحوظاً وطاغياً في الساحتين الرسمية والشعبية، ومن ناحية أخرى بدأ يتسرب إلى الموقف الشعبي الفلسطيني خاصة في قطاع غزة شعور بالخذلان من محيطه القومي، وهي مسألة مشروعة بكل المقاييس وتتبدى مشروعيتها من خلال المقارنة بين مستوى القتل الذي يمارسه العدو من ناحية، ومستوى فعل الدعم والإسناد العربي من ناحية ثانية، ومستوى الحراك الشعبي في الساحة الدولية خاصة الأمريكية والأوروبية من ناحية ثالثة. وبما أن الأمر يتعلق بموقفين رسمي وشعبي فمن الطبيعي إدراك الفروق الفاصلة بينهما، دون أن يعني ذلك أن هناك مساحة تقاطع وتوافق ضمني أو علني حاصلة بين الموقفين.

تلخص الموقف الرسمي فكرة تكرست في الوجدان الجمعي على مدى سنوات، مفادها أن النظام الرسمي العربي ارتهن في غالبيته إلى أجندة بعيدة عن هموم المواطن العربي بشكل عام، وهموم المواطن الفلسطيني بشكل خاص، وتنص هذه الأجندة في أغلب بنودها على ضرورة الارتباط، بذات القوى التي تقف خلف كل الإخفاقات التي يعانيها الإنسان العربي والفلسطيني، والتي جعلت من حماية المشروع الصهيوني واستمرار وجوده في المنطقة هدفاً رئيساً لها. واذا وضعنا في الاعتبار أن الجزء الذي كان يمكن أن يكون فاعلاً على المستوى الرسمي، تمت محاصرته وتدمير مقدراته بشكل مسبق، ومن قبل القوى الإمبريالية وبالتنسيق مع الجزء الآخر المرتبط من الجانب الرسمي العربي، يضاف إلى ذلك أن القوى المهيمنة على النظام الرسمي بصورته القائمة، هي قوى المال بزعامة السعودية والإمارات، التي يمثل طوفان الأقصى بالنسبة لها حدثاً سيئاً أثر سلباً على توجهاتها المتسارعة للارتباط أكثر بالكيان الصهيوني، فإن الموقف الرسمي الذي تدفع نحو صياغته، لا يقتصر فقط على عدم الاهتمام بما يجري، أو الوقوف موقف المتفرج الصامت، كما يعتقد، وإنما تعمل بكل طاقتها على إجهاض معركة الطوفان وتفريغها من مضامينها، بل ومضت باتجاه التنسيق مع العدو لقطف ثمار المعركة، بعيداً عن المقاومة وحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، وفي هذا السياق يبرز أمامنا اجتماع البحرين الذي ضم رئيس أركان الكيان الصهيوني وقادة عسكريين من كل الإمارات والسعودية والبحرين والأردن ومصر، وأخيراً إعلان الإمارات رسمياً استعدادها للمشاركة في قوة دولية لإدارة قطاع غزة، وعقد الاجتماعات التنسيقية حول هذا الموضوع مع كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. ومن ناحية ثانية تعمل كل هذه القوى وعبر شبكاتها الإعلامية المهيمنة على الساحة الإعلامية العربية، على تخريب وتفتيت الالتفاف الجماهيري حول الطوفان من خلال التشكيك في المعركة وجدواها ونتائجها. كل ذلك يقود إلى الاستنتاج أن الموقف الرسمي في غالبيته ليس خارج المعركة، وإنما هو منخرط فيها بكل طاقته، لكن في الخندق الآخر.

أما بالنسبة للموقف الشعبي العربي، فهو في أحسن حالاته، لم يتجاوز حتى اللحظة حدود التعبير عما يجيش في الصدور حباً لفلسطين وكرهاً للكيان، لذلك وقع بوعي أو دون وعي، في دائرة التكيف مع الموقف الرسمي. بل إن عملية التعبير عن العواطف أخذت في التغير في المضامين والتراجع التدريجي، قياساً لزخم الأيام الأولى، وتحولت في جانب كبير منها إلى نوع من الندب والتأوه والشعور بالعجز، هذه المسألة تحتاج إلى تفسير وفهم، وتعود جذورها ليس إلى ما بعد 7 أكتوبر وإنما إلى ما قبله بكثير. ذلك أن الوعي الشعبي العربي بالقضية الفلسطينية، بقي ضمن إطار الوعي الانطباعي، ولم يرتق إلى مستوى الوعي المعرفي والعملي، كما أن هذا الوعي لم يبن على أساس الصراعات الطويلة، التي تتسم بترهل حوافز الالتفاف حولها كلما طال الأمد. وبالرغم من كل الحديث عن الحرب الشعبية طويلة الأمد، والأناشيد التي صيغت عنها، لم يكلف أحد نفسه العمل على بناء وعي متنام طويل الأمد أيضاً قادر على التكيف الإيجابي مع مسارها وتحدياتها. ومن مفارقات عدم القدرة على التكيف، أن أغلب الأحزاب والقوى السياسية في الساحة العربية، التي تنتمي حكماً إلى الموقف الشعبي، لم يعد يصدر عنها ــ إلا فيما ندر ــ أية مواقف معلنة تجاه الأحداث الجارية السياسية والعسكرية على كثافتها، وخطورة بعضها خاصة السياسية منها، أن غياب هذه المواقف يؤكد انخفاض مستوى المتابعة، أو المتابعة بسلبية وبلا انفعال إيجابي. مما يساهم في ترك الفرصة لوسائل الإعلام الرسمية المشار إليها، لتزرع في الوعي العام ما تريده من بذور التشكيك والارتباك.

إن توصيف الحالتين الرسمية والشعبية العربية يجب أن لا يقودنا إلى الارتهان لما هو قائم والتسليم بمعطياته، وإنما يفرض العمل من أجل توفير كل السبل لانتزاع الفرصة التاريخية التي وفرها لنا الطوفان. ذلك يستدعي مسألتين، الأولى التحديد الدقيق لما يسعى العدو لتحقيقه في اللحظة الراهنة، والثانية العمل على تصويب الموقف الشعبي وتسليحه بأدوات الفعل والاتجاه، ارتباطاً بذلك التحديد، واضعين في الاعتبار أن الموقف الرسمي، يمثل نقطة الاشتباك المباشر من قبل الجماهير العربية بهدف التأثير فيه وعليه. وفي هذا السياق نرى أن معطيات اللحظة الراهنة تشير إلى أن الكيان الصهيوني يرى أن وقف العدوان، سيوفر الفرصة للمقاومة للإمساك بمقود اليوم الثاني للحرب، سياسياً وعسكرياً، واستمرارها في تفعيل وتثمير إنجازات معركة طوفان الأقصى، وارتباطاً بذلك حدد هدفه في خروج المقاومة من المعركة سياسياً وعسكرياً ومحاصرة إنجازات الطوفان بمساهمة أطراف إقليمية ودولية وفلسطينية، بما يوفر الوقت والمناخ الذي يسمح بمحاصرتها على الصعيد الداخلي (الإسرائيلي). ولتحقيق هذا الهدف حدد إستراتيجيته في العمل على إطالة أمد العدوان ــ رغم الخسائر التي تلحق به ــ وحشر المقاومة بين ثلاثة أضلاع، أولها ضلع النار من خلال الاستمرار في الحرب بالقصف والاغتيال، والمراهنة على استنزاف القوى.. وضلع الأنين، من خلال تثقيل الكلفة الإنسانية، وتعقيد الحياة، بما يسمح بانقلاب حاضنة المقاومة الشعبية. وثالثها ضلع الطنين، من خلال إرباك الوعي، بتشغيل الذباب الإلكتروني والحقيقي تشكيكاً وتذمراً من المقاومة.

هذا التحديد لإستراتيجية العدو في اللحظة الراهنة يسمح بتحديد مهام واضحة ومشخصة يستطيع الموقف الشعبي أن يستعيد زمام المبادرة من خلالها. هذه المهام تبرز وتتحدد بوضوح في مواجهة الضلعين الأخيرين من أضلاع إستراتيجية العدو. فضلع النار بمضامينه العسكرية ترتهن مواجهته بنار أقوى وأكثر لهيباً، من قبل المقاومة سواء في بؤرة القتال أو مواقع الإسناد. (مع ملاحظة أن بعض المواقع الشعبية يمكن أن تساهم في هذا الجانب) أما ضلع الأنين فمواجهته تستدعي تعزيز الصمود الجماهيري بتوفير احتياجاته الأساسية، إن إنجاز هذه المهمة تفرض رفع مستوى وتيرة النضال الجماهيري، للضغط والتأثير في الموقف الرسمي، لتحويله إلى عامل ضغط في الساحة الدولية، ومساهم في توفير الدعم الإنساني على الأقل للشعب الفلسطيني داخل القطاع، مع الوعي أن شرط هذا التأثير هو الإرباك الداخلي للنظام الرسمي. وذلك يستدعي آليات عمل قادرة على الحشد الجماهيري الضاغط سواء على المستوى الوطني أو القومي. أما ضلع الطنين فمواجهته لا تتم إلا بتعزيز اليقين من خلال العمل على بناء الوعي الجماهيري بكل الأدوات الممكنة.

متى تعود فلسطين إلى مركز الاهتمام العربي؟!

محمد صوان - كاتب سياسي فلسطيني - تركيا

لا يزال الهدف الأكبر من الحرب الصهيوأمريكية على الشعب الفلسطيني هو إعادة تكريس نظام الشرق الأوسطي الأمريكي - الأطلسي، وتبديد اعتقاد النظام الرسمي العربي بانهيار الردع الإسرائيلي، وبالتالي إجباره على الاصطفاف القوي وراءه والعمل حسب الأجندة الصهيوأمريكية، ثم حل القضية الفلسطينية بما يتوافق مع مصالح الكيان الصهيوني وأهدافه التوسعية الاستيطانية!..

لذلك، لم تتأخر العواصم الغربية ووسائل إعلامها منذ اللحظة الأولى لعملية طوفان الأقصى، عن تحويل «حق دفاع إسرائيل عن نفسها»، إلى شعار يتردد صداه، ويخفي وراءه مرامي الحرب الحقيقية ويجبر الجميع، بما فيهم عواصم النظام الرسمي العربي على السير في خطى الحرب الأمريكية - الأطلسية وتحمل قسطهم فيها. و انتزاع موافقتهم على ترحيل الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الأردن وسيناء. و كان قد ناقش ذلك صراحة وزير الخارجية الأمريكي بلينكن في أول زيارة له إلى عمان والقاهرة في بداية الحرب!.

العراب الأمريكي- الأطلسي:

ربما عقّد رفض بعض الدول العربية هذا المشروع على العراب الأمريكي الأطلسي الذي تبنى خطة نتنياهو كاملة، ورفض حتى الحديث عن هدنة. أو حتى مجرد حماية المدنيين، كما تبنى أهداف الحرب الصهيونية في القضاء على حركة المقاومة، وإرغام الفلسطينيين على النزوح الجماعي من غزة والضفة. لقد تمكنت المقاومة الفلسطينية الباسلة والمديدة من إسقاط الهدف الصهيوأمريكي في حسم الحرب بشروطه، وبالتالي وضعت المشروع بمجمله أمام اختيارات صعبة وشبه مستحيلة: إما الاستمرار في حرب الإبادة الجماعية مع تحمل تكاليفها العسكرية والأخلاقية والسياسية الباهظة التي كان أفضل تجلياتها تقديم «ملف إسرائيل» إلى محكمة العدل والجنايات الدولية، وإما وقف الحرب من دون تحقيق أي من أهدافها الرئيسية، وتحمل عواقب ما سوف يتحول إلى هزيمة إستراتيجية لتل أبيب وواشنطن وبروكسل وحلفائهم.. و هكذا دخلت الحرب شهرها الحادي عشر دون معرفة «يومها التالي»، حتى أن عرابيها لا يعرفون كيف ينهونها ولا كيف يستمرون فيها!.

هذا ما تشير إليه التباينات، أو ما يبدو كأنه تباينات «أمريكية-إسرائيلية»، والذي يتجلى في مواقف الإدارة الأمريكية التي لم تضغط حتى اللحظة لوقف الحرب، بالرغم من كل الإدانات العالمية، ولكنها فقط تدعو إلى التخفيف من وتيرة القتل بالجملة للمدنيين، والتراجع عن تهجير السكان إلى صحراء سيناء، مع الوعد بالبحث في مسألة «حل الدولتين»، وبصيغة محسنة لواقع قطاع غزة المحاصر،وفي المستقبل غير المنظور!.

بالرغم من هذه التصريحات المهدئة على مستوى الفعل، لم يتراجع أو ينقص الدعم الأمريكي العسكري والتقني والمالي والدبلوماسي للحرب الصهيوأمريكية، لكنه ازداد. ولم يشطب خطر الترحيل الجماعي لسكان غزة والضفة من قائمة الأولويات، بل أصبح أمر تحقيقه أكثر من أي حقبة سابقة ضرورة لتجنيب «إسرائيل» الإقرار بالهزيمة وانهيار بنيانها الهش وتفجير تناقضاتها الداخلية.. وبغض النظر عن النفي الأمريكي، لم يزل خطر التهجير قائماً، ولن يكون من المفاجئ لأحد أن «إسرائيل» وضعت العالم أمام الأمر الواقع، وتقبل الإدانة اللفظية من الإدارة الأمريكية، ما دامت ضامنة وقوف الأخيرة وراءها وحمايتها من أي عقاب دولي، مهما كان نوع الجرائم التي ترتكبها. وفي نهاية المطاف، فإن واشنطن أحرص من «تل أبيب» على عدم خسارة الحرب. وبالتالي هي ليست معنية كثيراً بتهمة خرق القانون الدولي، أو حتى الاتهام بدعم حرب الإبادة، لأنها تعتقد أنها هي التي تصنع القانون، وتفرضه على الآخرين، فهي، تماماً كما تعتقد «إسرائيل» وتفعل، «دولة فوق القانون».

على كل حال، لم تتخلَ واشنطن حتى اللحظة عن مشروع الترحيل الجماعي للفلسطينيين إلى سيناء والأردن. أما «حل الدولتين» فهو الجزرة التي تستخدمها الإدارة الأمريكية إلى جانب العصا الصهيونية الغليظة لجر العرب ودفعهم لتقديم التنازلات المرغوبة، ومنها التطبيع مع «إسرائيل» ودمجها في محيطها الإقليمي من دون مقابل يذكر!.. ربما هناك بعض التباينات الأمريكية مع نتنياهو الذي يتحدث ويعمل انطلاقاً من أجندة شخصية في أكثر الأحيان، ويستخدم لغة استفزازية تجاه العرب والرأي العام العالمي، لكن ذلك لا يلغي أنه يخوض الحرب بالشراكة مع واشنطن وبأسلحتها وتحت رايتها وللأهداف ذاتها!.

لن توقف واشنطن - أي المؤسسة الحاكمة - بلفت النظر عن تغير الإدارات السياسية، الحرب في الشرق الأوسط، وهو لا يزال أحد الساحات المهمة في الصراع على الهيمنة الدولية، بما يعنيه ذلك، وأقله وضع مسافة بينها وبين «إسرائيل» أو تخفيف الدعم الشامل واللامشروط لمشاريع الأخيرة التوسعية والاستيطانية.. بل هي تراهن على النقيض من ذلك، عبر استخدام نفوذها وسطوتها وقوتها العسكرية والاقتصادية من أجل إتمام دمج «إسرائيل» مع المحيط الإقليمي بوصفها مركز هيمنة غربية مستدامة وضمان سيطرتها على الإقليم إلى أطول مدى ممكن!..

في هذه الحالة تستطيع الإدارة الأمريكية تحقيق حلم رؤسائها المتعاقبين، منذ تولي الرئيس كلينتون الحكم بنهاية القرن الماضي في الانسحاب من الشرق الأوسط مع ضمان استمرار سيطرتها ونفوذها فيه.. هذا هو المشروع الذي تسعى إليه واشنطن.. لذلك فهي لا تعتقد أن الوقت قد حان لوقف الاستثمار في «إسرائيل» عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، أو العمل على بسط «السلام في الشرق الأوسط».. فلا تكفي ضربة قوية وموجعة «لإسرائيل» كطوفان الأقصى، لكي ترضخ واشنطن وتستجيب للتعامل الندي، أو كشريك مع دول المنطقة، وبالتالي التخلي عن المتعامل معها كفريسة سائغة!..

معركة إنهاء العربدة الصهيونية والنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط لا تزال في بدايتها. وبالتالي، فإن الرهان الأمريكي والأطلسي على «إسرائيل» لن يضعف، على الرغم من كل ما حصل.. ولن يتخلى عنها وعما تمثله من شوكة مؤلمة في خاصرة الشعوب العربية، إلا عندما يجبر بالقوة والضغط، أو تصبح تكاليف حروبهم فيها أكبر بكثير مما يستطيعون تحمله!..

جبهة الإسناد العربية الغائبة:

لا يعنى مما ورد أعلاه أن «إسرائيل» ستنجح في مشروعها، فهي تخوض حرباً خاسرة.. لكن هذا لا يقدم أي عزاء للعرب أو الفلسطينيين، فعبر غياب فاعل وطني وقومي قادر على توحيد الشعوب العربية عامة، والشعب الفلسطيني خاصة، لن نستطيع أن نقطف ثمار النكسة العسكرية والأخلاقية والسياسية التي تشهدها «إسرائيل» ومعها الغرب - عقب عملية طوفان الأقصى-، فربما تصبح المنطقة مسرحاً للقوى الدولية والإقليمية التي تستحوذ على المبادرة الأكبر وتسعى إلى ملء الفراغ.. وفي هذه الحالة، لا ينبغي أن نتوقع السير إلى حالة من السلام والهدوء، بل نحو تحول المنطقة إلى ساحة لاستعراض القوة، ونجد أنفسنا ضحية هذه الحروب الممتدة -المباشرة أو بالوكالة- على امتداد المشرق العربي، ولن يجد النظام الرسمي العربي المستهدف الأول من هذه الحرب من يشد أزره أو يدعم جهوده للمحافظة على أمنه واستقراره، فلا واشنطن ولا تل أبيب ولا بروكسل التي سيكون همها مواجهة خصومها على هذه الأرض ذاتها!.

من جديد يطرح اليوم ضرورة الشروع في إعادة بناء جبهة العمل العربي المساندة، وتوحيد حركة المقاومة المتعددة الأشكال للتدخلات الأمريكية والغربية التي سوف تشهد تزايداً في المستقبل، والعمل على بناء توافقات فلسطينية -فلسطينية، وعربية - عربية، بهدف توسيع هامش مبادرة الشعوب العربية واستقلالها في مواجهة تحدي أن تتحول بلدانها إلى مسرح لصراع القوى الأجنبية الغربية والإقليمية.. وهذا يحتاج الى تعميق النقاش بالكيفية.. من أجل إعادة العلاقة بين عرب الخليج وجواره، هذا الخليج المدان بجريرة ثروته وموقعه، الذي يفتح شهية الغرب لإخضاعه لصالح الدول التي لاتزال تمارس الهيمنة الكولونيالية.. وترفض أن تتعامل مع المنطقة من خارج تصورها لها «كآبار نفط وعشائر استهلاكية وفصائل إرهابية» حتى عندما يتعلق الأمر بمن يعيشون في البلدان الأوربية ويتمثلون قيم مجتمعاتها وثقافتها!. دول الخليج العربي هي اليوم مدعوة لأخذ المبادرة ولم شمل شعوبها، إذا أدركت كيف تستفيد من حالة الإنهاك العسكري والمعنوي للمعسكر الصهيوأمريكي!. وخلاصة القول: لم تكن حرب فلسطين في الأساس، وليست اليوم، حرباً فلسطينية - إسرائيلية فحسب، بل هي حرب فلسطينية- أمريكية أطلسية موضوعها الإبقاء على المنطقة تحت سيطرتهم، وبشكل خاص منطقة الخليج.. إننا اليوم أمام أطماع قوى إقليمية ودولية عديدة راغبة في انتزاع الغنيمة، وليست إسرائيل سوى كلب حراسة دربته وجهزته الكولونيالية الأمريكية والأطلسية، ليس من أجل «زراق عيون اليهود»، وإنما لاستغلال «ضحايا النازية» في الصراع الكبير.. وهذا ما يتجلى بشكل واضح في خطاب مرشح الرئاسة الأمريكية ترامب وخياراته الشرق أوسطية، والذي ربما يعود إلى الساحة السياسية، وهو لا يخفي بأن المقصود من «دمج إسرائيل» في المحيط الإقليمي ليس تحقيق الانسجام بين مصالح كل الأطراف، وإنما على النقيض من ذلك: إلحاق النظام الرسمي العربي «بإسرائيل» للعمل تحت قيادتها وتنفيذ أجندتها و جعله يدور في مدارها وتحت رقابة أجهزتها الأمنية ومخابراتها في سبيل إدامة النفوذ الصهيوأمريكي والأطلسي لأطول مدى ممكن!..

السودان من المنظور الديني والاستراتيجي الإسرائيلي

«أرض الميعاد الجديدة والتطهير العرقي والاستيطان الإحلالي»

د. محمد حسب الرسول
عضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، كاتب وباحث في القضايا الإقليمية – السودان

يحظى السودان بأهمية كبيرة في منظومة التفكير والعقائد الصهيونية، ويعد الكتاب المقدس أهم مصدر لهذا الاهتمام، فقد ورد اسم السودان فيه 55 مرة تحت اسم كوش، ووصفه هذا الكتاب بأرض حفيف الأجنحة،

- وقد جاء في سفر إشعياء الآية 520: «يا أرض حفيف الأجنحة التي عبر أنهار كوش»، وجعلها ذات السفر رجاءً حين قال: «فَيَرْتَاعُونَ وَيَخْجَلُونَ مِنْ أَجْلِ كُوشَ رَجَائِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ مِصْرَ فَخْرِهِمْ»، وجاء في سفر إشعياء 433: «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ»، وجاء في سفر عاموس 79: «أَلَسْتُمْ لِي كَبَنِي الْكُوشِيِّينَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟»، وقال سفر ناحوم 3:9 «كُوشٌ قُوَّتُهَا مَعَ مِصْرَ»، وجاء في سفر إشعياء 18 :1»فأبحر الملك طهارقة خلفاً لوالده بعنخي إلى منطقة الهلال الخصيب لحماية أورشليم من الآشوريين».

- ويحظى السودان كذلك باهتمام خاص من بعض الجماعات الدينية التي ترى أن أجزاء واسعة من السودان هي جزء من جغرافيا حياة نبي الله موسى، وبشكل خاص مولده وإلقاؤه في اليم والتقاطه جنوب مصر ولقاؤه بالرجل الصالح في مقرن النيلين الأزرق والأبيض، والصخرة العظيمة التي تدل على موقع هذا اللقاء، والتي يزورها اليهود كل عام، فضلاً عن اهتمام هذه الجماعات بمنطقة شرق السودان، التي تعتقد أن نبي الله موسى قد كلم الله في بعض جبالها (علماً بأن الجماعات اليهودية لا تجتمع على هذا الرأي، كما أن غالب المسلمين لا يوافقونه).

- وقد شاعت أنباء عن عمليات قطع طالت جبلاً في هذه الولاية منذ حقبة حكم الرئيس جعفر نميري، واستمرت حتى بداية الألفية الجديدة، وتم تصدير حجارته إلى دولة أوروبية. ومن تلك الحجارة تم قطع وتجهيز مكونات هيكل سليمان البديل، وتم ترحيل هذه القطع إلى داخل فلسطين لأن الأحكام التي استنبطها الحاخامات تقتضي بناء الهيكل من حجارة مباركة وفق الأحكام التوراتية.

- لقد جعلت «دولة» الكيان الصهيوني حدودها من النيل إلى الفرات، ونهر النيل الذي يتكون في الخرطوم من النيلين الأزرق والأبيض ويتدفق نحو الشمال باتجاه مصر له مكانة خاصة في المنظور الإستراتيجي الصهيوني شأنه شأن الفرات، وصممت علمها ليعكس أهمية النهرين من منظورها الإستراتيجي، ورمزت لهما بخطين أزرقين في أعلى وأسفل العلم بينهما نجمة داؤود، في تكامل بين الديني والإستراتيجي.

- في شهر آب/أغسطس 2008، قدم وزير الأمن الصهيوني آنذاك آفي ديختر محاضرة في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي عن الإستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة، تناول خلالها الرؤية الإستراتيجية للكيان الصهيوني تجاه 7 دول، هي فلسطين ولبنان وسورية والعراق وإيران ومصر والسودان.

- لخص ديختر الرؤية الإستراتيجية الصهيونية تجاه هذه الدول بمقولته: «إن إضعاف تلك الدول واستنزاف طاقاتها وقدرتها هو واجب وضرورة من أجل تعظيم قوة إسرائيل، وإعلاء منعتها في مواجهة الأعداء، وهو ما يحتم عليها استخدام الحديد والنار تارة، والدبلوماسية ووسائل الحرب الخفية تارة أخرى».

- وقال إن السودان، بموارده ومساحته الشاسعة، من الممكن أن يصبح دولة إقليمية قوية منافسة لدول مثل مصر والعراق والسعودية، وإنه يشكل عمقاً إستراتيجياً لمصر، وهو ما تجسّد بعد حرب 1967، عندما تحول إلى قواعد تدريب وإيواء لسلاح الجو المصري والقوات الليبية، كما أنه أرسل قوات مساندة لمصر في حرب الاستنزاف عام 1968. وبناء عليه، بحسب ديختر:

-- لا يجب أن يسمح لهذا البلد بأن يُصبح قوةً مضافةً إلى قوة العرب.

-- لا بدَّ من العمل على إضعافه وانتزاع المبادرة منه لمنع بناء دولة قوية موحدة فيه.

- - سودان ضعيف ومجزأ وهشّ أفضل من سودان قوي وموحّد وفاعل.

- - ما سبق يمثّل من المنظور الإستراتيجي ضرورة من ضرورات الأمن القومي الإسرائيلي.

- يمثل موقع السودان الجيوإستراتيجي والجيوحضاري مركز اهتمام كبيراً لـ«دولة» الكيان الصهيوني يمكن أن يكون لمصلحة مشروع التحرر والاستقلال الوطني والقومي في الوطن العربي وفي قارتي آسيا وأفريقيا، إن تمكّنت من بسط نفوذها في السودان حدّت من مخاطره عليها، لكونها مشروعاً كولونيالياً متعدد الأوجه والأهداف، وإن أفلت السودان منها وتحرر من نفوذها وقف في الضفة الأخرى المقابلة لها، كما كان منذ قيام «دولة» الكيان.

- لـ«دولة» الكيان الصهيوني مصالح اقتصادية في السودان الذي يتمتع بموارد اقتصادية هائلة ظلت هدفاً لـ«دولة» الكيان الوظيفية التي أقامها الغرب لتكون قاعدة اقتصادية متقدمة له حيث الموارد الاقتصادية وحيث مدخلات الإنتاج المتنوعة التي عرفت بها قارتا آسيا وأفريقيا، وحيث الأسواق التي تعتبر الأكبر في العالم، لأنها سوق لستة مليار نسمة يشكلون مجموع سكان القارتين.

- ولهذا الكيان كذلك مصالح سياسية في السودان، يحققها أو يخسرها وفقاً لموقعه في المسرح السوداني، ومن هذه المصالح موقف السودان من القضية الفلسطينية، وتأثيرات هذا الموقف في الفضاء الأفريقي، وبخاصة في أفريقيا جنوب الصحراء، وله مخاوف أمنية في السودان الذي ظل داعماً للقضية الفلسطينية في كل الحروب التي بدأت منذ حرب 1948 وحتى عملية سيف القدس، حيث كان للسودان مساهمة فيها كلها مشاركاً وداعماً لفلسطين، يمكن لهذه المخاوف أن تتحول لمصالح في حال تمكّن مع الغرب من تنصيب نظام حكم موالٍ لهما.

- لم يقتصر الإعداد للحرب الدائرة في السودان الآن على الجانب العسكري الذي مثلته قوات الدعم السريع فحسب، إنما قام على ركائز أخرى، منها آلة إعلامية مثلتها فضائيات خليجية، ومنصات رقمية تطلق حملات إعلامية مدروسة من عاصمة خليجية، ومن عواصم ومدن غربية ظلت تضطلع بمهمة صناعة رأي عام يعمل على إضعاف الحس الوطني الاستقلالي، وتهشيش التماسك الوطني، وتهيء الشبان والمجتمع لقابلية الاستعمار.

- كان الخطاب السياسي والحاضنة السياسية كذلك من ركائز مشروع الحرب، وقد بني الخطاب السياسي على عناوين رئيسة من بينها: إعادة السودان إلى حضن «المجتمع الدولي»، تبني النيولبرالية بأبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والقيمية، القبول بوصفات وشروط البنك الدولي، التطبيع مع الكيان الصهيوني، التنكر للهوية العربية والقيم الحضارية، وقد مثلت تلك العناوين مضامين خطاب تحالف الحرية والتغيير «المجلس المركزي» الذي يُعتبر الحاضنة السياسية لمشروع الحرب في السودان بطبيعتها الاستعمارية الاستيطانية.

- ما كان لهذا المشروع أن يكتمل دون توفر العامل الديموغرافي الذي يعتبر حاسماً في المعركة العسكرية من خلال توفير القدرات البشرية لها، ويعتبر عاملاً حاسماً وضرورياً لعملية التغيير الديموغرافي المفضي إلى صناعة سودان جديد يفاصل تاريخه السياسي والثقافي والاجتماعي والحضاري، لهذا تمت عمليات تهجير مدروسة من عربان الشتات الذين تعثر عليهم الاندماج في مجتمعات دول الساحل والصحراء الأفريقية بعد هجرتهم إليها منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فتم تهجيرهم من تشاد والنيجر ومالي وأفريقيا الوسطى وليبيا، ومن بقية دول الساحل الأفريقي إلى السودان، وقد وفرت دولة خليجية المال اللازم لعمليات التهجير والاستيطان داخل السودان.

- ولأن هذا المشروع هو مشروع تغيير شامل لا يتحقق ولا يكتمل من دون الاشتغال على هذا العامل، فقد حظي باهتمام كبير، فقد تمت عمليات تهجير واسعة النطاق خلال السنوات الأربع الماضية بلغت بضعة ملايين من أعراب الشتات إلى السودان أرض الميعاد الجديدة، وتم توطين هؤلاء المهجرين في دارفور وفي وسط وشمال السودان، وعلى امتداد نهر النيل.

- وتشير المعلومات إلى أن مليوناً ومئة ألف من هؤلاء المهجرين استخرجت لهم قوات الدعم السريع أرقاماً وطنية وجوازات سودانية من مركزين أسستهما لهذا الغرض؛ أحدهما في جنوب ليبيا، والآخر في دولة مالي.

- تم وضع خطة متكاملة كذلك لعمليات الاستيطان، كان التركيز فيها على الجغرافيا ذات الخصوصية التاريخية والاقتصادية، كما هي الحال في الشمال والوسط وعلى امتداد نهر النيل، وكان التركيز على الموقع الجغرافي المرتبط بالصراع العربي الأفريقي مثل دارفور التي ترتبط بحدود مع بعض الدول التي تم تهجير المستوطنين منها، فتم شراء الأراضي والمزارع في الشمال والوسط وعلى النيل، وتم توطين المستوطنين فيها، وتم ذلك في بعض ولايات دارفور الخمس.

- كما تمت عمليات توطين المستوطنين في الخرطوم بعد طرد وتهجير السكان من منازلهم، وتكرر ذلك في ولاية غرب دارفور، بعدما قامت قوات الدعم السريع بعمليات تطهير عرقي في هذه الولاية بتاريخ 2023/6/14، راح ضحيتها 5200 شاب ورجل في يوم واحد في مدينة الجنينة عاصمة الولاية وحاضرة قبيلة المساليت صاحبة الأرض والتاريخ في هذه الجغرافيا، وقد شبه البعض هذه المجزرة بمجزرة دير ياسين بفلسطين.

- بعدما قامت قوات الدعم السريع في ذلك اليوم بقتل شبان هذه القبيلة ورجالها، طردت نساءهم من المدينة إلى دولة تشاد المجاورة، وذبحت الأطفال الذكور المرافقين لأمهاتهم، ولم يسلم من الذبح حتى الأطفال الرضع. وفي اليوم التالي لهذه المذبحة، قتلت قوات الدعم السريع والي هذه الولاية خميس أبكر بعدما اعتقلته.

- لم يكن مشهد التصفية والتطهير العرقي مشهداً حصرياً في مدينة الجنينة، فقد تكرر في مدينة زالنجي، ومدينة كاس، كما تكرر في مدن وقرى أخرى في دارفور، ومثلت منطقة الزُّرق مثالاً خاصاً حيث حدث فيها إحلال سكاني طرد بموجبه سكانها التاريخيون وجعلت مستوطنة خاصة بأسرة قائد الدعم السريع.

- بذلت قوات الدعم السريع جهوداً كبيرة لإنجاح المشروع الاستيطاني، وقامت ببناء مدن وقرى جديدة، وقامت بتوريد منازل جاهزة من خارج السودان لتكون سكناً للمستوطنين في هذه المدن والقرى، وفّرت فيها من الخدمات ما يخاطب حاجات المستوطنين وتطلعاتهم، وقد استكملت ذلك في الخرطوم التي طرد الدعم السريع غالب مواطنيها من أحيائهم السكنية ومن بيوتهم ووطنت فيها منسوبيها وذويهم المهجرين من دول غرب أفريقيا في تكرار لما حدث للفلسطينيين على أيدي الاحتلال الصهيوني في القدس.

الولايات المتحدة والحرب الصهيونية ضد لبنان
سياسة «الخطوة خطوة» من كيسنجر إلى هوكشتين

د. ماري ناصيف-الدبس
المنسقة السابقة للقاء اليساري العربي، ونائبة الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني

منذ يومين، أرسلت لي إحدى الصديقات مقالاً لأحد الكتّاب الصينيين[1] فحواه أن من يريد الانتصار على الولايات المتحدة الأميركية عليه قطع الهواء عن الحروب، لأن السلم العالمي يشكّل «التهديد الأساسي» لواشنطن، كونه «يضع حداً نهائياً لإمبراطورية الدولار المبنية حول الحرب، حول اقتصاد الحرب وتجارة الحرب»...

لن نسترسل في ذكر ما جاء في المقال حول النتائج التي يمكن أن تنجم عن قطع الهواء عن الحروب الامبريالية الأميركية في عالمنا اليوم، فهي معروفة من القاصي والداني، بمن فيهم قيادات الأنظمة التابعة لها التي لن تلقى مصيراً أفضل من مصير أنظمة الحكم التي أقامتها المخابرات المركزية الأميركية (السي. أي. إي) في فيتنام الجنوبية أو في أفغانستان على سبيل المثال لا الحصر. فنحن، إذ عمدنا إلى الاستشهاد بعنوان المقال وفحواه، فلأننا نرى فيه تذكيراً بما نعيشه اليوم في بلادنا جرّاء تجدد الحروب الامبريالية في العالم، بدءاً من أوكرانيا وامتداداً إلى آسيا وأفريقيا، وإلى الشرق الأوسط، بالطبع، حيث يحتل الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة واجهتها العسكرية، إلى جانب غطاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) بزعامة واشنطن وإدارة جو بايدن «الديمقراطية» التي لا تختلف عن الإدارة «الجمهورية» التي سبقتها ولا عن الإدارات المتعاقبة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية...

وإذا ما أردنا التذكير ببعض المحطات الأساسية لتلك السياسة، خاصة في لبنان، لقلنا إن الإدارة الأميركية كانت لها على الدوام اليد الطولى في محاولة إدخال بلادنا في الأحلاف الامبريالية التي شكلتها في المنطقة، بدءاً من حلف بغداد وحلف تركيا – باكستان، وأن القوات الأميركية لم تتوان عن العدوان على لبنان من أجل الامساك به والاستفادة من موقعه الجيو-سياسي، أولاً، ومن ثم من إمرار المنتجات الأميركية عبره إلى البلدان العربية التي خرجت عن طاعة الرأسمالية العالمية... دون أن ننسى أهمية هذا البلد الصغير من حيث أهمية مصادر المياه فيه، عدا عن مصادر الطاقة في بحره. وإذا ما أردنا التحديد أكثر في هذا المجال، لأشرنا إلى محاولة تمركز قوات المارينز في العام 1958، ومن ثم في العام 1983، وصولاً إلى أيامنا هذه حيث عمدت الإدارة الأميركية إلى بناء سفارة جديدة لها هي بمثابة قاعدة عسكرية ليس إلا...

هذا لا يعني أننا نضع الكيان الصهيوني على الهامش، ولا مشروعه في إقامة ما يسمى بـ «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات، بل إننا نلفت النظر إلى أن المشروع الأساس يكمن في السيطرة الآحادية للامبريالية الأميركية على العالم، ومنه تنطلق مشاريع إقليمية متعددة، لعلّ أهمها المشروع الصهيوني الذي يتبع في تحرّكه المبدأ الذي وضعه هنري كيسنجر والمسمى بسياسة «الخطوة خطوة» الثلاثية: إقضم، ثم إهضم، ثم تقدّم من جديد.

لذا، ننظر إلى ما يقوم به الكيان الصهيوني اليوم على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة كخطوة جديدة بعد تلك التي تمت منذ عامين بالنسبة لترسيم الحدود البحرية، بإشراف الولايات المتحدة ممثلة بمندوب بايدن عاموس هوكشتين، والتي أدّت إلى قضم 1240 كيلومتراً مربعاً من البحر جنوب الناقورة تحت مسمّى «حقل كاريش»[2]؛ خاصة وأن الخطوة التالية هي ترسيم الحدود البرية وفقاً لمشروع يحمله إلينا هوكشتين نفسه باسم إدارة بايدن أيضاً وأيضاً. وهو مشروع يقضي بالتنازل عن جزء من تلك الحدود في ثلاثة عشر نقطة، دون أن ننسى أن الكيان الصهيوني لا زال، منذ العام 1968، يتواجد في مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وقرية الغجر بحجة أن هذه «أرض سورية»، على الرغم من أن الوثائق الموجودة لدى الأمم المتحدة والصادرة عن سلفها، عصبة الأمم، في العام 1926[3] تظهر عكس ذلك.

إذاً، مسألة الحرب العدوانية الصهيونية في لبنان مثلّثة الأضلاع.

وضلعها الأول هو الأرض، وما تزخر به، والمياه الإقليمية وما تحتويه.

أما الضلع الثاني، فيكمن في حرب إسناد مقاومة الشعب الفلسطيني، وبالتحديد في قطاع غزة.

وأما الضلع الثالث، فيعود إلى المحاولات التي بذلت وتبذل، منذ عدوان 1982، وسقوط «اتفاق 17 أيار» برصاص جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، من أجل تطبيع العلاقات مع العدو المحتل، تمهيداً لتوطين الفلسطينيين في لبنان وإنهاء مطلب حق العودة وبناء الدولة الوطنية الفلسطينية التي تنادي بها على كامل التراب الفلسطيني، وعاصمتها القدس.[4]

وأهمية هذا التوضيح تكمن في كيفية رؤية الصراع اللبناني – الصهيوني حالياً وفي المستقبل. أي أن الحل يكمن في انسحاب العدو من الأراضي اللبنانية المحتلة، من جهة، وفي إقامة الدولة الفلسطينية المشار إليها، من جهة ثانية. هذا، إضافة إلى الموقف الآني المتعلّق بوقف العدوان على قطاع غزة وانسحاب القوات المعتدية منه.

من هنا، نرى أن العدوان الصهيوني لن يتوقف في المدى المنظور، خاصة مع ارتباط هذا العدوان بالسياسة الأميركية التي أشرنا إليها، وارتباط هذه السياسة في الوقت الحاضر بالانتخابات الرئاسية وما يمكن أن ينتج عنها.

هل هذا يعني تصعيد إقليمي يؤدي إلى الحرب الشاملة؟

باعتقادنا أن الكيان الصهيوني عاجز، لوحده وبدون الدعم الامبريالي الأميركي وقوات حلف الناتو، عن فتح المعركة على مصراعيها في شمال فلسطين المحتلة. لذا، من المرجّح أنه سيحاول الاستمرار في حربه على لبنان بين التصعيد المحدود، تارة، والعودة إلى قواعد الحرب التي ارتسمت منذ الثامن من أكتوبر 2023، تارة أخرى، مع تكثيف عمليات الاغتيال في الفترة المقبلة... إنما هذا لا يعني انتفاء احتمال الحرب الشاملة كلياً؛ فأزمة نتنياهو تزداد داخلياً، والمعارضة الصهيونية تحاول الاستفادة من قضية الرهائن ومشكلة التجنيد الاجباري لمجموعة الحاريديم للخلاص منه والعودة إلى الحكم... وبحسب تجارب الماضي، فإن أي وقف لإطلاق النار، في ظل هذه الظروف، لن يكون أكثر من مجرّد هدنة، يمكن أن تطول أو تقصر حسب الحاجة الأميركية لها. من هنا، ضرورة إعادة تنظيم وتوحيد كل القوى المقاومة للعدوان والتطبيع ضمن حركة تحرر وطنية عربية شاملة، يمكن للقاء اليساري العربي أن يكون نواة أساسية ضمنها.

هوامش وحواشي

1 صدر المقال في 24 آذار 2023، ويمكن الاطلاع علية على صفحة إكس (تويتر سابقاً).

2 هذه المنطقة هي جزء لا يتجزأ من الحدود المائية اللبنانية، جرى التنازل عنها وثبتت ملكيتها للعدو كي يستطيع تسريع تلبية خطة واشنطن في تأمين بيع الغاز إلى أوروبا بعد أن أوقفت وصول هذه المادة الحيوية إلى القارة العجوز من روسيا بفعل الحرب الأوكرانية...

3 جرى إعادة ترسيم الحدود بين لبنان وفلسطين في الثالث من شباط / فبراير من العام 1923، بموجب تكليف من عصبة الأمم للجنة بوليه – نيوكومب الفرنسية – البريطانية التي أودعت المنظمة الدولية خارطة تؤكد صحة الترسيم المعمول به منذ العام 1920 والنقاط الـ 38 المحددة له.

4 هذا الموقف اتخذ في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي اللبناني، في العام 1968؛ وهو موقف كان قد اتخذ من قبل الحزب في العام 1948 وأذاعه الأمين العام للحزب آنذاك الشهيد فرج الله الحلو، خلافاً لما طرح من قبل الدولة السوفياتية آنذاك.

توسعة رقعة الحرب والتخاذل العربي

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

تتصاعد أصوات طبول الحرب الشاملة في المنطقة على وقع المجازر وجرائم حرب الإبادة الجماعية التي يرتكبها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وما يقوم به قطعان المستوطنين في الضفة الغربية بجرائم التطهير العرقي والقتل على الهوية وطرد المواطنين منها، في حملة شعواء سبقتها عملية توزيع الأسلحة على المستوطنين بقرار حكومي صهيوني قاده وزير الأمن الداخلي إيتمار بن غفير الذي يعتبر واحداً من أشد المتطرفين الفاشيين في حكومة نتنياهو.

حكومة تنخرها الخلافات الحادة واحتدام تبادل الاتهامات بين أعضائها حول الكيفية التي تدار بها حرب الإبادة ومفاوضات وقف إطلاق النار وطريقة التعاطي مع واقع المعركة في غزة الغارق في رمالها جيش الاحتلال. وفي الشمال، حيث وسعت المقاومة اللبنانية عمق استهدافاتها للمستوطنات عدة كيلومترات في الداخل الفلسطيني المحتل، رداً على العدوان المتكرر على المناطق اللبنانية وإسناداً لغزة. هذا التوسع في جبهة الشمال ينذر بتدحرج الأمور نحو حرب شاملة يسعى لها بنيامين نتنياهو ليُهرّب قضيته الشخصية في المحاكم الصهيونية التي تتهمه بقضايا فساد ربما تقوده إلى السجن مثلما حصل مع رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق، أولمرت، الذي قضى في السجن وطراً بعد إدانته بقضايا مماثلة.

ثمة شروط ومعطيات تحكم الحرب الشاملة التي تُقرع طبولها وتقرب انفجار الوضع تزامناً مع وجود حاملتي طائرات أمريكية وتوابعها من الفرقاطات والمدمرات والغواصات في البحر المتوسط وبالقرب من شواطئ غزة التي تخوض مقاومة شرسة أجبرت قادة الجيش الصهيوني على الإعلان بأن «ليس هناك مبرر للاستمرار في القتال». أولى هذه الشروط والمعطيات تكمن في وضع حكومة نتنياهو الفاشية، فهي تبحث عن المزيد من الثغرات لتوسعة الصراع وإشراك الولايات المتحدة عملياً في هذه الحرب بعد أن أمّنت منها الغطاء السياسي الكامل والدعم العسكري اللامحدود بما فيه تزويد الكيان بالأسلحة الفتاكة التي أحرقت أجساد الفلسطينيين ومزقتها، فضلاً عن الدعم المالي المتزايد الذي تواصل واشنطن تقديمه وآخرها 20 مليار دولار قررت تقديمها للكيان في أغسطس/ آب الماضي، لتضاف إلى العتاد المرسل منذ 7 أكتوبر/ تشرين الأول حتى نهاية العام الماضي، والبالغ «أكثر من 230 طائرة و20 سفينة شحن تحمل مساعدات وفتح جسر جوي لنقل الأسلحة»، وفق صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية، يضاف لها ما تم إرساله منذ مطلع العام الجاري من أسلحة دمار وفتك جديدة يجرى تجريبها على أجساد أطفال فلسطين في غزة للمرة الأولى.

إنهم يتوجعون أيضاً

لكن الكيان يواجه وضعاً غير مسبوق. فهو متورط في عدة جبهات: الأولى في غزة التي تؤكد مقاومتها وبيئتها الحاضنة على الصمود والاستمرار في المقاومة حتى دحر الاحتلال، والثانية في الضفة الغربية بتصاعد عمليات المقاومين والسير على خطى غزة، رغم كل الصعوبات وتوحش المستوطنين وجيشهم. والثالثة جبهة الشمال، حيث تعاظمت في الأيام الأخيرة قبيل تنفيذ الرد على اغتيال القائد العسكري الكبير في حزب الله الشهيد السيد فؤاد شكر (الحاج محسن). والجبهة الرابعة تتمثل في الرد الإيراني المرتقب على اغتيال زعيم حركة حماس الشهيد إسماعيل هنية. والجبهة الخامسة اليمن التي تواصل ضرباتها محكمة الحصار البحري على الكيان في البحر الأحمر، وجبهة العراق التي تقوم بعمليات نافذة..

فوق كل ذلك الجبهة الداخلية التي تعاني من احتقانات بدأت مع أسرى جنود الاحتلال في 7 أكتوبر/ تشرين الأول الذين تقتلهم ترسانة الكيان واحداً تلو الآخر، ومع نزوح أكثر من 200 ألف مستوطن من الشمال الفلسطيني بفضل ضربات المقاومة اللبنانية، والهجرة العكسية غير المسبوقة التي تقدرها بعض الأوساط ما بين 500 ألف إلى مليون مهاجر، نسبة كبيرة منهم لا يفكرون بالعودة إلى فلسطين المحتلة. هذا الوضع زاد من نزيف الكيان، فكما يتألم الفلسطينيون ويتوجعون في غزة والضفة، واللبنانيون في جنوب لبنان واليمنيون والعراقيون، فإن الكيان ينزف أيضاً ويتوجع في مختلف مفاصل حياته بما فيه الجانب الاقتصادي والمالي رغم حُقن الدعم الأمريكية التي لا تتوقف. وحسب الخبيرة الاقتصادية الصهيونية راكيفيت روسك أميناح، فإن العدوان كلف الاقتصاد الصهيوني أكثر من 67.3 مليار دولار حتى منتصف أغسطس/ آب الماضي، وأن مؤسسة الدفاع في الكيان تضغط للحصول على زيادة سنوية مقدارها نحو 5.5 مليار دولار، رغم أن الكنيست أُقر في مارس/ آذار الماضي زيادة كبيرة في حجم الإنفاق الحكومي للعام الجاري لتبلغ 160 مليار دولار، وفق صحيفة «تايمز أوف إسرائيل»، التي أوضحت أن الزيادة في الإنفاق بلغت 19 مليار شيكل، سيخصص منها 15 مليار دولار لتمويل الجيش، فيما تخصص 4 مليارات دولار للإنفاق المدني. تكلفة الحرب هذه لا تدخل فيها كلفة الجرحى والاحتياجات الاقتصادية، وبدء تراجع المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية عن ضخ الاستثمارات في اقتصاد الكيان، ومنها بنك باركليز الذي يتحضّر للانسحاب من عطاءات السندات «الإسرائيلية»، ما قاد وكالات التصنيف الائتماني إلى تخفيض تصنيف الكيان كما فعلت وكالة فيتش منتصف أغسطس/ آب وإبقاء نظرتها المستقبلية عند مستوى سلبي، وهي الدرجة التي ثبتتها الوكالة بداية العدوان في أكتوبر/ تشرين الأول 2023 عندما صنفت الديون الصهيونية تحت المراقبة السلبية، فضلاً عن إشارتها إلى تفاقم المخاطر الجيوسياسية مع تواصل حرب الإبادة على غزة.

تفاقم الأوضاع داخل الكيان تنذر بتفكك نسيجه، المصطنع أصلاً، وتؤسس إلى تآكله إذا ما تطورت المواجهات في الضفة الغربية وجبهات الإسناد. فالخلافات بين أقطاب القيادة تتفاعل أكثر وبلغت حداً دفع الفاشي إيتمار بن غفير إلى المطالبة بإقالة رئيس الشاباك لأنه مارس انتقادات علنية للقيادة السياسية، بينما يصم نتنياهو أذنيه عن سماع صرخات أهالي الأسرى الصهاينة ويمضي في حرب إبادته، الأمر الذي يقود إلى المزيد من قتلاهم وتفاقم الاحتقانات الداخلية مع تضاعف فاتورة الحرب على الدولة العبريّة.

حبل إنقاذ مقابل تشديد الحصار

وفي الوقت الذي تواجه فيه دولة الاحتلال المصاعب الداخلية واحتمال سقوط حكومة الفاشيين، بادرت الدول العربية المُطبعة إلى ضخ المزيد من السلع للكيان تعويضاً عن ما يفقده بسبب الحصار في البحر الأحمر والبحر المتوسط، فقد كشفت بيانات المكتب المركزي للإحصاء الصهيوني عن نمو التبادل التجاري بين الكيان وبين أربع دول عربية مطبعة، إذ زاد التبادل التجاري بين الكيان والإمارات بمقدار 7 بالمئة لتصل في النصف الأول من العام الجاري إلى 1.66 مليار دولار، وزادت بنسبة 64 بالمئة للفترة نفسها مع المغرب وبلغت 53 مليون دولار، وزاد التبادل التجاري مع مصر بنسبة 53 بالمئة لتصل إلى 246.6 مليون دولار، وزادت أيضاً مع البحرين خلال النصف الأول بمعدل 879 بالمئة لتصل إلى 70.5 مليون دولار. وكان الأردن هو الاستثناء من بين دول التطبيع، وذلك بتراجع حجم التبادل التجاري مع الكيان بنسبة 16 بالمئة وبلغ 213.8 مليون دولار في النصف الأول من العام الجاري.

هذه الزيادة اللافتة في حجم التبادل التجاري لدول التطبيع مع الكيان قابلها تشديد الحصار على قطاع غزة وخصوصاً في معبري رفح وكرم أبو سالم، حيث تراجعت المساعدات الإنسانية للقطاع التي بلغت أدنى مستوياتها لتصل إلى 874 شاحنة مقارنة مع 5660 شاحنة في أبريل/نيسان الماضي، بينما يتم تسهيل عملية دخول الشاحنات التجارية، نسبياً، في ظل انعدام القدرة الشرائية لأهل القطاع المدمر وصعوبة وصول هذه الشاحنات إلى المحال التجارية بسبب القصف المستمر على مختلف المناطق، ناهيك عن وجود أكثر من 42 مليون طن من الأنقاض خلفها العدوان، ولا تزال في ازدياد، وفق وكالة بلومبيرغ التي لفتت إلى أن هذا الركام «يكفي لملء خط من شاحنات القمامة يمتد من نيويورك إلى سنغافورة»، في حين تقدر تكلفة إعادة الإعمار بأكثر من 80 مليار دولار حتى الآن.

لا يبدو أن النظام الرسمي العربي معني بلجم التوحش الصهيوني الذي لا يكتفي بقتل الأطفال والنساء وتدمير المباني التي بلغت نسبتها أكثر من 70 بالمئة بما فيها المدارس والمستشفيات والمقار الحكومية، إنما بلغ به التوحش إلى سرقة جثامين الشهداء. فقد كشفت المعلومات عن سرقة جيش الاحتلال أكثر من 2000 جثمان من جثامين الشهداء بعد أن نبش الاحتلال مقابرهم بحجة البحث عن جثث أسراه الذين قتلتهم قذائفه. يؤكد النظام الرسمي العربي أنه مسلوب الإرادة والقرار المستقل لدرجة التخاذل والتواطؤ. وحتى مفاوضات وقف إطلاق النار التي رعاها الوسطاء انقلب عليها الكيان والإدارة الأمريكية وبدأ وزير الخارجية انتوني بليكن يصيغ عبارات يتلاعب فيها بالكلمات لتتماشى مع الإفلات من التزامات أعلنها رئيسه بايدن في ورقته ووافق عليها مجلس الأمن. يكفي أن الدول المطبعة لم تسحب سفراءها من الكيان ليتبين أي نظام رسمي عربي هذا!!

تُسرع المنطقة نحو فوهة بركان ربما ينفجر في أية لحظة بسبب إصرار الكيان على استمرار حرب إبادته بتأييد مطلق من الإدارة الأمريكية، وبتواطؤ بعض النظام الرسمي العربي وتخاذل البعض الآخر، ونفاق الحكومات الغربية المتورطة هي أيضاً في حرب الإبادة الجماعية. لكن الرهان على المقاومة التي تجترح المعجزات من العدم لتواصل مقاومتها مدعومة من جبهات إسناد صلبة وخصوصاً في الجنوب اللبناني، فإن هذا ما يؤزم الكيان وداعميه ويزيد من قلقه.

ريعية.. فساد.. محسوبيات..نزاعات.. واقع مرير للاقتصاد العربي

د. أدهم شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

على الرغم من ضخامة ثروته وموقعه الإستراتيجي، والقوى العاملة الشابة فيه يواجه الوطن العربي تحديات عميقة الغور فالمخاطر الجيوسياسية واضحة كل الوضوح، ومنها: النزاعات المتعاقبة في سورية واليمن، والصراع المستمر في بلدان ما بعد الانتفاضة، مثل مصر وتونس، والضغوط الاقتصادية المتواصلة لانهيار أسعار النفط العام 2014.

غير أن هذه القضايا الملحّة تحجب تحديات أكثر خطورة تواجه المنطقة: فقد تكشّف العطب في نموذج الدولة الريعية الذي بنيت عليه الاقتصادات العربية، وظهر الخلل في آليات التوزيع فيه.

بعد الحرب العالمية الثانية، اقترن تطبيق نموذج التنمية العربي بالتركيز على الإنتاج المحلي والنزعة التجارية الحمائية، وذلك ما يعرف بتصنيع بدائل المستوردات. وفي العقود الأولى بعد الحرب، حققت أغلبية البلدان العربية نتائج إيجابية في ميدان النمو الاقتصادي، وسجّل كثير منها ارتفاعاً ضخماً في معدل العمر المتوقع، والقدرة على القراءة والكتابة، والصحة العامة. وفي الستينيات والسبعينيات، كان الشرق الأوسط هو المنطقة الأسرع نمواً في العالم، وتعزّز ذلك بالحظر على النفط العام وأفضى ذلك إلى تغير دائم في بنية أسواق الطاقة العالمية، ومهّد السبيل أمام العائدات النفطية الاستثنائية التي أعقبت ذلك.

تنتفع كل دولة بريع ما، سواء مصدره الأملاك، أو السياحة، أو الموارد الطبيعية، أو «نِعَم الطبيعة» الأخرى، بيد أن الدولة الريعية تعتمد على الإيرادات المترتبة على استخلاص الموارد الطبيعية التي تملكها الدولة وبيعها. حيث إن في إحدى الدول المصدّرة للنفط في الشرق الأوسط، لا تتجاوز نسبة الأيدي العاملة التي تقوم باستخلاص النفط اثنين أو ثلاثة في المئة. غير أن العائدات الناجمة عن ذلك قد تمثل 80 في المئة من دخل الحكومة وعلى هذا الأساس، لم يعتمد ازدهار أي دولة ريعية في الشرق الأوسط على الإدارة المالية السليمة أو على نجاح المشروعات الخاصة فيها بقدر اعتماده على سعر النفط الخام.

في النظام الريعي، تستخدم الدولة ما تتلقاه من مدفوعات مقابل استخدام عوامل الإنتاج الثابتة لتمويل شبكة واسعة من مجالات الرعاية والخدمات الاجتماعية للسكان. وعلى مدى سنين عديدة، حافظت الريعية الناجمة عن مبيعات النفط على الوضع السياسي والاقتصادي القائم في الشرق الأوسط. غير أن انخفاض أسعار النفط، وتعاظم المنافسة العالمية، وارتفاع معدل التكاثر السكاني قد أفقدت هذا النموذج طابع الاستدامة. ويتجلّى ذلك بصورة أوضح عند مقارنته بمناطق جغرافية أخرى شهدت نمواً اقتصادياً ديناميكياً مستداماً في العقود الأخيرة، مثل جنوب شرق آسيا.

إن الجمهوريات العربية المصدّرة للنفط – الجزائر والعراق وليبيا - تستمدّ دخلاً مهمّاً من الموارد.

وكانت سورية واليمن ذات يوم من البلدان المصدّرة للنفط غير أن الإيرادات انهارت عندما تضافرت عوامل الحرب وتضاؤل الإنتاج وانخفاض الأسعار وفي هذه البلدان الخمسة، أنفقت العائدات بصورة غير عقلانية. وكانت محصلة ذلك اقتصادات متدنية الأداء، ولم يكن من قبيل المصادفة أن هذه الدول الخمس كانت هي الأكثر معاناة للصراعات الداخلية خلال العقود الأخيرة ..

وقد تسفر اكتشافات الغاز في شرقي البحر المتوسط في المستقبل عن عائدات جديدة مهمة في المشرق. ويتعاظم استخلاص الغاز بسرعة في مصر، لكن حصة الفرد من عائدات الموارد الهيدروكربونية تتضاءل بوجود ما يقارب 100 مليون نسمة من السكان، بالمقارنة مع نظائرها الأكثر ثراء.

بينما يحتل الإنتاج في الأردن والمغرب مرتبة هامشية. ليس في لبنان وفلسطين إنتاج هيدروكربوني حالياً. وثمة صناعات لاستخلاص الطاقة في السودان وتونس، غير أنها على العموم متواضعة وآخذة بالتناقص.

وتضم هذه الدول أكثر من نصف السكان في المنطقة، غير أنها تمثل ربع الناتج المحلي الإجمالي فيها. لكن على الرغم من تدني مستويات الموارد الهيدروكربونية، فإن النموذج الريعي يتغلغل في مرافق هذه الدول كذلك. وتتخذ الإيرادات أشكالاً عدة، بما فيها الاستثمارات الخليجية، وتحويلات العاملين في الخارج، وعطايا الموارد الطبيعية البديلة، مثل قناة السويس في مصر، والبوتاس في الأردن، والفوسفات في المغرب.

تُواجه كل دولة عربية تحديات فريدة من نوعها في بناء أطر إنتاجية مؤسسية. وسيكون من واجب كل دولة أن تجد مصادر مبتكرة للثروة والإنتاج مرتفع القيمة، وتحسّن من مستوى توزيع الموارد الاقتصادية، وتقيّم المؤسسات السياسية المناسبة. غير أن ثمة عناصر محددة مشتركة وواضحة . وإذا استثنينا تحويلات العاملين في الخارج، فإن تدفقات الدخل هذه تصب في خزينة الحكومات، التي تقوم من ثم بإعادة توزيعها على شبكات المحسوبية المحلية، من خلال الوظائف في القطاع العام، والعقود التفضيلية للمتنفذين السياسيين داخل النظام، أو الدعم المالي المباشر في بعض الحالات لشراء الولاء. كما أسفرت شبكات المحسوبية المتضخمة عن تفشي الفساد بصورة وبائية في الدولة.

وفي تقرير منظمة الشفافية الدولية عن مؤشرات مدركات الفساد للعام 2017، احتلت ست عشرة دولة من الدول العربية العشرين التي شملها المسح مراتب أدنى من الوسط الحسابي العالمي، وهو 43 (على سلم يتراوح بين صفر ومئة(.

وفي دراسة مسحية أجرتها مؤسسة كارنيغي في العام 2016، أعرب مئة من قادة الرأي العرب عن اعتقادهم بأن الفساد هو التحدي الثاني في المنطقة بعد النزعة السلطوية.

وبما أنه من الصعوبة بمكان تحديد الفساد والاستئثار الاقتصادي كمياً، فقد وجد البنك الدولي دلائل على أن الشركات التي تتمتّع بارتباطات سياسية تحظى بامتيازات خاصة. البلدان الملكية الخليجية تمثّل أكثر من نصف الناتج المحلي الإجمالي للدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، على الرغم من أنها تضم 15 في المئة فقط من السكان. وقد مكّنها توافر عائدات النفط الهائلة، وقلة عدد السكان وربما الشرعية السياسية التي تفتقر إليها جمهوريات الحزب الواحد، تاريخياً.

إلا أن انهيار أسعار النفط العام 2014 فرض ضغوطاً وقيوداً هائلة، ولا سيما في البحرين، وعُمان، والسعودية، التي ستجهد لاحقاً لمجاراة التزايد المطّرد في عدد السكان.

في حقبة الدول القومية الحديثة، كانت نماذج الاقتصاد السياسي الإقليمية تميل إلى التطور جنباً إلى جنب مع نماذج أخرى بالعالم أكثر نجاحاً. إلا أن مصر والمملكة العربية السعودية، اللتين تمثّلان بين الدول العربية الاقتصادين الأضخم والأهم من الناحية الجيوسياسية، قد فشلتا في أن تصبح كل منهما قوة اقتصادية ديناميكية بحدّ ذاتها. حيث لم تكن هناك وصفة وحيدة للنجاح الاقتصادي , كما جرى في جنوب شرق آسيا في تلك البلدان التي استفادت من قربها الجغرافي من اليابان وبعدها عن الصين وتعاقبت عليها تشكيلة واسعة من الأنظمة السياسية .وشكلت رابطة دول جنوب شرق آسيا وابتعدت عن الصراعات العسكرية فيما بينها.

الشرق الأوسط مقابل جنوب شرق آسيا: دراسة حالة في التباين

في أوائل الستينيات من القرن الفائت، كان الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا يخوضان حرباً مريرة ضد موروث استعماري تمخض عن سلسلة من الحروب الإقليمية والانتفاضات المحلية. وفي كلتا المنطقتين، حاولت تلك الدول التغلّب على مستويات التنمية البشرية المتدنية بانتهاج نماذج حمائية للاستعاضة عن الواردات. كانت هناك أوجه شبه بين مصر، في عهد الضابط العسكري جمال عبد الناصر من جهة، وتايلند التي كان يرأسها كذلك ضابط عسكري سابق تسلّم مقاليد الحكم .

وفي العام 1960، كان البلدان متماثلين من حيث عدد السكان (27 مليون نسمة في كل منهما) وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (631 دولاراً و571 دولاراً) غير أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في تايلند تزايد وبلغ ضعف ما هو عليه في مصر.

وقد كانت اليمن وفيتنام، وهما مجتمعان زراعيان دمرتهما عقود من الحرب الأهلية والانقسامات السياسية، تعتبران لمدة طويلة من أفقر الدول في هاتين المنطقتين. لكن فيتنام بدأت بهدوء خلال العقود الأخيرة مرحلة من الاستقرار والنمو، وارتفع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيها ثلاثة أضعاف منذ العام 1980، وبرزت كمركز إقليمي للصناعات التحويلية الإلكترونية. أما اليمن فقد انزلقت في تلك الأثناء إلى مهاوي البؤس، وتقلّص نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيها إلى نصف ما كان عليه قبل أربعة عقود.

لم يتجاوز معدل النمو في حصة الفرد من نمو الناتج المحلي الإجمالي في أي بلد عربي ثلاثة في المئة خلال نصف القرن الماضي في المقابل، لم يفشل في تحقيق ذلك بين دول جنوب شرق آسيا إلا بلدان، أحدهما بروناي، وهي الدولة النفطية الوحيدة التي يسودها حكم ملكي مطلق، ويشبه اقتصادها إلى حد كبير اقتصاد الملكيات الخليجية أكثر مما يشبه اقتصاد الدول المجاورة لها . على الرغم من هذه التحديات، لا يخلو الشرق الأوسط من حالات النجاح السياسي والاقتصادي النسبي. والسؤال المطروح هو ما إذا كانت هذه النجاحات تمثّل نماذج أوسع يجدر الاقتداء بها في المنطقة.

برزت الإمارات العربية المتحدة بوصفها الاقتصاد الأكثر ديناميكية في العالم العربي، ومع أنها تمثل اتحاداً فدرالياً بين إمارات سلطوية بصورة متزايدة، فإنها تتمتع بسمعة طيبة من حيث الفرص الاقتصادية والمحاسبة على أساس الجدارة والأعراف الاجتماعية الليبرالية نسبياً. وتنفرد الإمارات العربية المتحدة بين أنظمة الحكم الملكية في الخليج بأنها حققت تقدماً ملموساً في التنويع بعيداً عن الاعتماد الكلي على ريع الموارد الهيدروكربونية.

كما أنها تحتل بصورة ثابتة واحدة من أعلى المراتب بين البلدان العربية من حيث مؤشرات التنمية البشرية والاقتصادية.

إن إقامة نماذج الاقتصاد السياسي العربية الناجحة ستتطلّب من القادة استثماراً مجدياً في الفئات المهمّشة تقليدياً، مثل الشباب والنساء. كما أن على هذه النماذج أن تخلق أطراً تنظيمية ترتكز على قواعد واضحة، وتتميّز بالإنصاف والشفافية وتشجّع وضع معايير جديدة للمحاسبة. ويتعيّن على كل نظام جديد أن يخلق الضوابط والموازين التي تخضع الساعين للتمتّع بالريع إلى المنافسة الحقيقية .

الانتخابات الرئاسية التونسية:
رهان الاستبداد وطموحات الشعب

علي الجلولي ـ كاتب وباحث سياسي من تونس

تستعد السلطة في تونس إلى تنظيم الموعد الانتخابي الرئاسي، هذا الموعد الذي يعتبره قيس سعيد لحظة حاسمة ونهائية في بسط نفوذه على مفاصل القرار الرسمي بعد انقلابه على مجمل منظومة الحكم التي أوصلته إلى قصر قرطاج في شتاء 2019. وتعتبر هذه الانتخابات تتويجا لمسار انطلق بفرض دستور جديد صاغه سعيد بنفسه ولنفسه ترجم فيه أفكاره حول الحكم بتكريس الحكم الفردي المطلق و إلغاء فصل السلط التي سماها وظائف لا غير، وبسط نظاما رئاسويا لا حدود له ولا رقابة عليه، واثر ذلك نظم «انتخابات» لمجلس النواب لم تشارك فيه الأحزاب وتمت فيها المشاركة وفقا لترشحات فردية في دوائر ضيقة، وهو ذات الأمر الذي تمّ وفقه «انتخاب» المجالس المحلية التي انتظمت منذ عام وكان من المؤمل أن تفرز «مجلس الأقاليم والجهات» وفقا لنظام القرعة في عضويته، وهو بمثابة الغرفة الثانية التي تختص في القضايا الاقتصادية والتنموية، لكن هذا المجلس لم يبعث بعد ولم تصدر حتى القوانين التي تنظمه وتضبط مهماته، وهو ما يؤكد المضمون الشعبوي لمنظومة الحكم القائمة الآن في بلادنا، وللعلم فان «الاستفتاء» على الدستور و المواعيد الانتخابية التي انتظمت لم تتجاوز نسبة المشاركة فيها ال 12°/، وهي النسبة الأضعف عالميا في مثل هذه الاستحقاقات.

ـ الانتخابات الرئاسية خطوة لمزيد الاستبداد.

منذ انقلاب 25 جويلية 2021 بسط سعيد يديه على الفضاء العام وسن أفظع القوانين لأجل ذلك وفي مقدمتها المرسوم 54 الفاشي الذي حوكم ولا يزال في إطاره مآت التونسيات والتونسيين على خلفية التعبير عن آرائهم ومواقفهم وطال الأمر سياسيين و إعلاميين ومدونين ونشطاء...، كما أصدر المرسوم عدد 35 الذي وضع من خلاله كلتا يديه على القضاء بما في ذلك العزل والنقلة، ويعتبر العديد أن وضع القضاء في تونس هو الأسوأ في تاريخها المعاصر، فقد عاد بقوة قضاء التعليمات الذي يتحكم صحبة الأجهزة الأمنية في مجمل الفضاء العام. لقد عادت تونس طيلة الثلاثة سنوات الأخيرة إلى وضعية الدولة الاستبدادية بعد أن تغير شكلها بفضل الثورة وتحولت إلى الليبرالية السياسية التي وفرت على العموم الحريات، لكن هيمنة لوبيات المال والفساد وصعود التيارات الظلامية وعودة رموز العهد البائد إلى تصدر المشهد خاصة البرلماني الذي عرف قمة الترذيل والفضائحية بحكم النقل المباشر لمداولات البرلمان وتواصل تدهور الأوضاع المادية للشعب، كلها عوامل أججت الاحتجاج الذي ركبت عليه الشعبوية وقطفت ثماره للاستفراد بالحكم و ووضع اليد على أجهزته، وهاهي اليوم تستعد لاستئناف التربع على الكرسي من خلال انتخابات هيأت لها كل الشروط للتحكم في مسارها ومآلها، فالهيئة المشرفة أصبحت تنعت في تونس بهيئة الحملة الانتخابية للرئيس، وهي منصّبة بكل عناصرها، وقد تدخلت لإزاحة أغلب المترشحين من السباق، كما ألغت اعتماد

صحافيين لمتابعة الاستحقاق الانتخابي، أما الرئيس الذي دخل منذ مدة في حملة انتخابية متصاعدة تنشر مادتها على الأثير وفي الصفحات الرسمية لهياكل الدولة، فان الهيئة لا تشير له حتى مجرد الإشارة، لذلك اتجهت عديد القوى السياسية والمدنية والنقابية إلى اعتبار ما يجري في تونس لا علاقة له بالانتخابات، بل هو مجرد موعد لفرض بيعة للرئيس الحالي الذي صرح أكثر من مرة أنه لن يسلم الكرسي إلا ل»مرشح وطني» وهو الذي سحب صفة الوطنية من أغلب خصومه، بما يعني أنه قرر مسبقا البقاء في الحكم.

ـ انتخابات مهزلية بكل المقاييس

الصورة اليوم في تونس هي صورة نظام استبداد شرقي، فالرئيس ترشح واختار منافسيه، وهما مرشحين مما يسمّى عندنا «المساندة النقدية»، فيما لفقت قضايا وصدرت أحكام ضد العديد ممن أعلنوا نيتهم في الترشح. انه مناخ استبدادي يلغي الشروط الدنيا للعملية الانتخابية التي لا يردها الحاكم إلا تزكية وأداء بيعة، علما وأن الإحالة على القضاء طالت أيضا أحد اللذين قبل ترشحهما، وفيما حكمت المحكمة الإدارية لصالح الحق في الترشح لصالح قيادي سابق بحركة النهضة المطاح بها، فان شكوكا جدية تحوم حول تقيد الهيئة بحكم القضاء لأن المعني صدر ضده حكم جزائي يحرمه من الترشح مدى الحياة (وهو حكم صدر ضد العديد من النشطاء). وحتى إن تمّ قبول ترشحه، فان شروط اللعبة لن تتغير والمناخ العام فضلا عن القوانين والممارسات كلها تسلب الاستحقاق الانتخابي من أهم مرتكزاته، لذلك تتجه القوى التقدمية إلى مقاطعتها والطعن في مسارها ومشروعيتها.

تجب الإشارة إلى اللامبالاة الواسعة وغير المسبوقة التي تسم الرأي العام الشعبي، وهو مؤشر صاحب كل المهازل الانتخابية التي نظمها سعيد في العامين الماضيين ولا نعتقد انه سيتغير كثيرا هذه المرة، ففي الذهنية العامة عادت الصور الأكثر قتامة في تاريخ الدكتاتورية خاصة في عهد بن علي الذي كان يترشح ويختار «منافسيه» وينسب لهم النسب الصفرية وينسب لنفسه النسب التسعينية مثله مثل كل الحكام العرب الذين «يضطرون» إلى تنظيم هذه البيعات.

إن ما يجري في بلادنا هو مهزلة انتخابية معلومة النتائج مسبقا، وهي لن تكون مختلفة عن «الانتخابات» المصرية التي نظمها السيسي منذ أشهر أو التي يستعد النظام الجزائري لتنظيمها، فمجمل هذه المواعيد تربع فيها الحاكم بأمره محاطا ب»منافسيه» اللذين لن يلعبوا إلا دور التيّاس لخلق وتعزيز شرعية مفقودة ومشروعية غائبة في ظل أوضاع قاهرة تعيشها الجماهير على مختلف الأصعدة بحكم مواصلة الارتهان لنفس الخيارات اللاوطنية واللاشعبية والمكرسة للتبعية والمعمقة للتفقير والتهميش والفساد.

ـ الشعبوية لا تناصر فلسطين

لئن تعتبر القضية الفلسطينية في تونس أحد أهم القضايا الوطنية التي ظلت لعقود تعبّأ شعبنا وقواه الحية، فان مغالطة كبرى تسللت لأذهان بعض الأطراف منذ صعود سعيد في انتخابات 2019 مفادها أنه (أي سعيد) مساند لفلسطين وهو الذي خاض حملته الانتخابية السابقة تحت عنوان «التطبيع خيانة عظمى»، ويؤكد عديد المتابعين قناعتهم أن هذه الجملة جلبت لسعيد عددا كبيرا من الأصوات بل ولعبت دورا حاسما في صعوده. ونحن نقول أنها مغالطة لأن التطبيع في بلادنا لم يتراجع بل تنامى اقتصاديا وتجاريا وأكاديميا...، كما أن ادعاءات الرئيس قد انكشفت في البرلمان الذي أوقف المصادقة على قانون تجريم التطبيع بضغط من الشارع بعد «طوفان الأقصى» وانطلاق حرب الإبادة الحالية. لقد صرح رئيس البرلمان على الأثير أن قيس سعيد تدخل شخصيا لإيقاف المصادقة لأن ذلك يشكل مسّا من مصالح تونس الخارجية، وهذا يعني أن مسألة الموقف من القضية الفلسطينية ليست مسألة عاطفية انفعالية بمناسبة الخطب والحملات الانتخابية، بل هي إجراءات سياسية ومادية تفرز بين القوى. وهاهي الحرب المدمرة التي ينظمها الكيان الصهيوني مدعوما من الامبريالية العالمية وعلى رأسها الأمريكية وبتواطؤ الحكام العرب، تقيم الدليل القطعي أن الشعب الفلسطيني لا يجد له سندا إلا في قلوب الشعوب ومنها الشعوب العربية التي تعيش أكثر من غيرها القهر والإحساس بالخذلان أمام حجم الجرائم التي يواجهها حكامنا بالتآمر أو بالصمت، وفلسطين شعبا وقضية ليسا في حاجة إلى الخطب بل في حاجة إلى الأفعال مهما كانت محدودة وفي مقدمتها سن قانون لتجريم التطبيع مع العدو الصهيوني، وهذا الأمر لن يتحقق في بلادنا إلا بأيادي القوى الوطنية والتقدمية التي تدعو اليوم إلى مقاطعة المهزلة الانتخابية ومراكمة النضال من أجل استعادة الزخم الشعبي والثوري دفاعا عن مطالب الجماهير وانتصارا لقضاياها العادلة والمشروعة وفي الصدارة منها الانتصار للقضية الوطنية الفلسطينية.

حفلة الكذب والتكاذب في الكونغرس

د. صياح عزام ـ عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية

يوم الأربعاء 24-7-2024، شهد الكونغرس الأمريكي ظاهرتين متناقضتين داخله وخارجه عندما كان نتنياهو يلقي كلمته في الخارج، تجمع آلاف المتظاهرين الأمريكيين الذين جاؤوا من مختلف الولايات ورفعوا الأعلام الفلسطينية وشعارات مناوئة لزيارة نتنياهو، مع المطالبة باعتقاله، وبوقف تزويد كيان الاحتلال بالسلاح، وإنهاء الحرب على غزة نظراً لما نتج عنها من قتل للأبرياء ودمار هائل.

وفي الداخل، كان المشهد مخجلاً من خلال التصفيق الحاد وغير المسبوق من جانب المُشرعين الذين حضروا الخطاب، إذ تم إحصاء 81 مرة من التصفيق والوقوف خلال الـ 52 دقيقة (مدة الخطاب)، أي فرق التصفيق بلغ مرة كل نحو 40 ثانية، وهو ما لم يحدث مع أي رئيس أمريكي سبق أن ألقى خطاباً في الكونغرس، لكن هذه المظاهر تُعبّر عن حقيقة الممول والمال الذي يقدمه اللوبي الصهيوني (الإيباك) لتمويل الحملات الانتخابية للمصفقين.

هذه الصورة التعيسة التي بدا عليها الكونغرس أثارت حفيظة وغضب عدد من النواب الذين قاطعوا الخطاب، منهم الرئيس السابق في مجلس النواب «بيلوسي»، التي اعتبرت خطاب نتنياهو أسوأ عرض قدمته شخصية أجنبية حظيت بشرف مخاطبة الكونغرس، فيما قال العضو المستقل في مجلس الشيوخ «بيرلي ساندرز»:

إن نتنياهو ليس مجرم حرب فقط، بل هو كذاب أيضاً.

أما مضمون خطاب نتنياهو فقد ركز على غزة منزوعة السلاح بعد الحرب، وطلب المزيد من السلاح الأمريكي لمواصلة الحرب على غزة، زاعماً أن هذه الحرب هي صراع بين «البربرية والحضارة»، ومعتبراً أن قتل نحو 40 ألف فلسطيني معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن، وتدمير نحو 80% من مساكن غزة، وحرب التجويع وقصف المشافي، كل ذلك برأيه إنجاز حضاري؟!. كما زعم أن جيشه لم يقتل مدنياً واحداً في الهجوم على رفح، هذا مع الدعوة إلى تشكيل تحالف أمني لمواجهة ما أسماه محور الإرهاب الذي تقوده إيران وهذا مع تجاهل نتنياهو كلياً حل الدولتين.

لقد علق بعض الباحثين على المشهد في الكونغرس وخطاب نتنياهو واصفين إياه بالمشهد المخزي، الذي أهدر هيبة أمريكا باستقبال منافق مجرم ومتسول ومُدان في حرب إبادة جماعية وتجويع شعب أعزل وتشريده من منازله وأرضه.

إلا أن هذا التصفيق لدرجة تورم الأيدي لم ولن يغير الحقيقة، ولن يغطي على أفعال مجرم قدم إلى أمريكا لابتزازها، فالمصفقون باعوا الرأي العام وباعوا شعبهم مقابل شراء رضا من لا تتقبله الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي، وكان الأحرى بهؤلاء المصفقين أن يتعظوا بما حل بـ «بايدن»، الذي قدم لكيان الاحتلال ما لم يقدمه أي رئيس أمريكي قبله، ولم ينفعه كل ذلك، فهو يقبع الآن في زاوية مهمشة، ولم ينفعه نتنياهو الذي تنتظره المحاكمات وملفات الفساد، وسوء الإدارة الداخلية وقرارات المحكمة الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية.

هذا وما لم يكن متخيلاً قيام هاريس، المرشحة الأمريكية للرئاسة في انتخابات تشرين الثاني القادم بمقاطعة جلسة الكونغرس هذه والتي كانت أشبه ما تكون بحملة كذب وتكاذب في الكونغرس مليئة بالنفاق، إلى جانب أن 80 عضواً من أعضاء الكونغرس قاطعوا الجلسة، وهؤلاء كانوا على حق في هذه المقاطعة، بل ويستحقون الشكر والتقدير على هذا الموقف الجريء.

على أي حال، يمكن القول - كما أكد العديد من الباحثين والمتابعين للشأن السياسي خاصة مسألة العلاقة ما بين الولايات المتحدة وكيان الاحتلال الصهيوني- إن كل ما جرى على هامش زيارة نتنياهو الأخيرة للكونغرس وإلقاء خطابه على مدى ما يقارب الساعة من الزمن، يعتبر مؤشراً على تحول سياسي واجتماعي وإعلامي هام في تاريخ العلاقة الأمريكية مع هذا الكيان منذ الإعلان عن قيامه عام 1948، لا سيمّا فيما يتعلق بمسألة آلاف المتظاهرين الأمريكيين الذين جاؤوا من مختلف الولايات للاعتراض على زيارة

نتنياهو وخطابه في الكونغرس، والمطالبة بوقف الحرب العدوانية على غزة. فقبل هذه الحرب لم يكن يجرؤ الأمريكي على تسجيل اسمه حتى في طلب السماح بالتظاهر أو الاجتماع على أمر سياسي ما.

لا شك أن هذا المشهد السياسي الأمريكي أخاف أركان الحركة اليهودية ليس في الولايات المتحدة وحسب، بل في العالم أجمع. وهناك ظاهرة جديدة ولافتة للنظر، وهي أن أبرز سياسيي وصحفيي أمريكا وإعلامها بدؤوا يخرجون عن الطاعة العمياء للصهاينة ولمنظمة (الإيباك) الصهيونية.

وبالمناسبة، فإن المجتمع الأمريكي يعاني من انشقاقات خطيرة، ومن تجدد العنصرية داخله، وتصاعد موجات الحقد لدرجة وصلت إلى محاولات التصفيات الجسدية، كما حدث في محاولة قتل «ترامب»، إلى جانب تفوّل خطاب العنف لدى العديد من السياسيين الأمريكيين، ومن ذلك على سبيل المثال أن الرئيس الأمريكي الحالي بايدن، وقبل أن يُعلن سحب ترشحه لولاية جديدة تحت ضغوط متعددة مورست عليه، وعندما حُشر في زاوية ضيقة على إثر فشله في الأداء أثناء المناظرة الثقافية مع الرئيس السابق والمرشح حالياً ترامب، استخدم خطاباً عنيفاً تضمنه عبارات خارجة عن المألوف وعن اللغة الدبلوماسية وحتى عن آداب الكلام، وذلك أثناء مقابلة معه أذيعت مؤخراً قبل يومين من محاولة قتل ترامب، إذ ختم المقابلة بما معناه «ترامب لن يعود إلى البيت الأبيض إلا على جثتي!»، وهذه عبارات لا يرددها سوى المجرمين والقتلة.

بالمقابل، الرئيس السابق ترامب المُعتدى عليه عندما نهض من كبوته، ردد كلمة واحدة رافقتها إشارات بقبضته، وهي كلمة تصلح لأن يقولها قائد جيش في معركة محتدمة وحامية الوطيس وليس شخصاً مرشحاً لرئاسة دولة كبيرة تدعي أنها مؤهل ومصدر الديمقراطية وحاميتها في العالم، قال: (قاتلوا قاتلوا قاتلوا)، تلك وصيته لأنصاره ومؤيديه

إذاً، لغة الإثنين لغة قتل وإجرام.

هذه أمثلة على ما يعانيه المجتمع الأمريكي على مختلف مستوياته حتى في أعلى المستويات السياسية في السلطة من عنف ومن انشقاقات ومن عنصرية وتعصب وحقد على الآخرين.

موقف إسبانيا من الإبادة في غزة أسباب وتداعيات

ماجد دبسي - حقوقي وإعلامي فلسطيني - إسبانيا

عندما فوجئ العالم في السابع من أكتوبر الماضي بالمأثرة المعجزة التي انتشلت القضية الفلسطينية الغارقة حينها في عمق النسيان، وأرستها على شاطئ الأمل كقضية مركزية في منطقة الشرق الأوسط، ليس هذا فحسب، بل شكلت علامة فاصلة في العلاقات الدولية بين منظومة تحتضر يقودها الغرب الاستعماري منذ ما يفوق عن 200 عام، ومنظومة جديدة التشكيل تعيش مخاضا عسيرا، ولكنه مبشر للبشرية بكل تأكيد.

من هنا، تفهم حجم الهول الذي لحق بالغرب، وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية للهروع نحو الكيان، معتبرين ما جرى زلزالا مدمرا وما سيترتب عليه من معركة وجودية لا تنل الكيان الصهيوني فحسب، بل المنظومة الاستعمارية الإمبريالية بجلها.

هذا ما أعربت عنه الأوساط الغربية كافة وعلى كل المستويات السياسية والعسكرية والإعلامية التي جندت منذ اللحظة الأولى لترويج الرواية الصهيونية ناعتة بأقذر المصطلحات ما قامت به المقاومة الفلسطينية التي صنفتها كما العادة بالإرهابية مع لازمة حق «إسرائيل» في الدفاع عن النفس متجاوزة القوانين والأعراف الدولية التي كانت هي أي المنظومة الغربية قد وضعتها بعد حربين عالميتين تؤكد حق الشعوب بالدفاع عن النفس وحق تقرير المصير، وليس للدول المستعمرة والمحتلة أي من هذه الحقوق.

في هذا السياق، جاء رد فعل الحكومة الإسبانية كباقي ردود فعل الدول الغربية، رغم أنها حكومة يسارية، وتقوم على تحالف بين الحزب الاشتراكي وجبهة اليسار الموحد.

غير أن تطورات الأحداث المتسارعة منذ 8 من أكتوبر، والتي تجلت بإقدام الكيان الصهيوني بعملية إبادة ممنهجة، أكلت الأخضر واليابس ولم تبقي حجرا على حجر ضاربة عرض الحائط بكل المعايير القانونية والإنسانية والأخلاقية - كشفت زيف ادعاءاتها التي كان يتبناها الغرب خصوصا - أن المشاهد المروعة التي كان لوسائل التواصل الاجتماعي والتي نجح العشرات من الصحفيين الفلسطينيين بنقلها للعالم في زمن قياسي وأن الغضب في خلق مظاهر وعي جمعي وتضامني عالمي، وفي مقدمته العالم الغربي على المستوى الشعبي والأكاديمي والثقافي لم يشهد له العالم مثيلا منذ الحرب العالمية الثانية وضع الحكومات الغربية جلها في وضع حرج، اضطرت فيه التماشي مع هذا الزحف والوعي المتصاعد، والذي له انعكاسات مؤكدة على مستقبل القوى الحاكمة الانتخابية.

إلى جانب الكشف عن زيف ادعاءاتها بالدفاع عن قيم الحرية والعدالة، وحرية الرأي وحقوق الإنسان.. في الوقت نفسه هزت الأحداث وهولها أسس المنظومة الدولية نفسها بدءا من الأمم المتحدة على المستويين الجمعية العامة، ومجلس الأمن، وأمينها العام. وصولاً إلى محكمتي العدل والجنائية الدوليتين. وما ترتب عن ذلك من مبادرات لمحاكمة الكيان من قبل جنوب أفريقيا والتأييد المتواصل لجهود المبادرة ونزول المحكمة الجنائية الدولية أيضا عند مطالب العديد من الجمعيات والمؤسسات الحقوقية الدولية، رغم محاولات العرقلة والتهديد والوعيد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على كل الصعد دفاعا عن الكيان، بل والمساهمة المباشرة في عمليات الإبادة.

في هذا السياق، كان للحكومة الإسبانية عدد من المواقف المتقدمة نسبيا عن تلك التي شاهدناها في أروقة دول أوروبية كفرنسا وألمانيا وبريطانيا الخ.

كي نستطيع إذا تقييم الموقف الإسباني من حرب الإبادة على غزة بشكل دقيق، لا بد لنا أن نضعه في سياق محدد يستند إلى مجموعة عوامل تاريخية وجغرافية وثقافية واستراتيجية واقتصادية أيضا.

وهنا يطرح سؤال هام لماذا تميزت مواقف الحكومة الإسبانية نسبيا، والرأي العام الإسباني بشكل نوعي عن مواقف الغالبية العظمى من الدول الأوروبية؟!

عودة إلى الماضي، وحتى عام 1986 حيث يمكننا تقسيمها إلى حقبتين الحقبة الأولى وتمتد منذ نهاية الحرب الأهلية وتولي الدكتاتورية الفرانكونية السلطة حتى تاريخ وفاة فرانكو في نهاية 1975، والتي كانت تعيش فيها عزلة دولية باستثناء متنفسين هما مد يد الولايات المتحدة الأمريكية مقابل إنشاء العديد من القواعد العسكرية على الأراضي الإسبانية وتاليهما اتفاقية 1953 مع الكنيسة الكاثوليكية، والتي تستند إلى ادعاء السلطة هنا بتمثيلها الشارع الشعبي بغالبيته الكاثوليكية المطلقة والامتيازات التي حصلت عليها الكنيسة خلال تلك الحقبة.

أما المتنفس الثالث إذا جاز تسميته كذلك، هي العلاقات التقليدية المتميزة مع الدول العربية الرسمية في الوقت الذي لم تكن لإسبانيا رسميا أي علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وهنا يمكن التفكير بموقف إسبانيا المؤازر لمصر وسوريا أيام حربي 1967 و1973.

وللتذكير، قامت الحكومة العراقية بتقديم دعم لإسبانيا بإهدائها كمية من النفط المجاني عام 1973.

غير أن إسبانيا على الجبهة الداخلية السياسية، كانت تعاني أيضا تحديات كبرى على مستوى القوى المتحاربة التي كانت تعمل بالسر في إطار جبهة نقابية بزعامة الحزب الشيوعي أضف لذلك الحركة الوطنية الباسكية والتي انطلقت عام 1964 بتشكيل منظمة إيتا، والتي قارعت النظام حتى ما بعد انتهاء الفرانكفون ودخول إسبانيا مرحلة ما يسمى بالانتقالية نحو الديمقراطية والملكية البرلمانية، أي ما بعد منتصف الثمانينيات.

في العام 1981، حصلت المحاولة الانقلابية في الثالث والعشرين من فبراير، التي رسخت قواعد انتقال إسبانيا إلى الضفة الأخرى، أي تهيئتها للدخول في السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد الأوروبي لاحقا وإلى حلف شمال الأطلسي بعد إجراء استفتاء، وذلك عام 1986. حيث كان الحزب الاشتراكي فيليبي غونزالو تولى السلطة منذ 1983، وكان شرط انضمام إسبانيا إلى المجموعة الأوروبية وأيضا إلى الحلف هو الاعتراف بالكيان الصهيوني.

الخوض في تفاصيل هاتين المرحلتين ليس مكان لهما الآن، ولكن البصمات التي تركتها هي التي تحدد التمايز أو مترتبات الانضمام للمجموعة الأوروبية والأطلسية. ضمن العوامل الآتية:

أولاً: لقد تعززت اللقاءات مع الكيان الصهيوني تدريجيا على حساب العلاقات الإسبانية العربية التي بقيت في إطار رسمي، أما مع الكيان، فكان التعاون الاقتصادي والأمني والتقني في تزايد.

ثانياً: انعكاسات الموقف من القضية الصحراوية بمسؤولية اسبانيا التاريخية فيها.

ثالثا: الحزب الاشتراكي هو عضو في الاشتراكية الدولية وحالياً تشغل منصب رئاستها ممثلة بشخص رئيس الوزراء بيدرو سانشيز ومعلوم أن روحي فتوح من قيادة فتح ونائب الرئيس في الاشتراكية الدولية.

رابعاً: تولى العديد من القوى الوطنية اليسارية في الأقاليم التاريخية خاصة الباسك وكتالونيا وفالنسيا والحضور الشعبي المناصر للقضية الفلسطينية في قيادة هذه الأقاليم التي تشكل جلها عوامل ضغط اتجاه القضية.

خامساً: الرأي العام الإسباني، وعلى خلاف شعوب أوروبية أخرى، له ارتباط تاريخي روحي مع التاريخ المشترك مع العالم العربي، خاصة في الأندلس والمحافظات الشرقية، إلى جانب الباسكيين والكتالونيين.

إذاً ليس غريبا أن إسبانيا في حقبة رئيس الحكومة الاشتراكي خوسيه ثابيترو عام 2004، بادر بما أسماه تحالف الحضارات ودعا إلى تشكيل الاتحاد من أجل المتوسط، في محاولة جاءت بعد غزو أمريكا وحلفائها للعراق، والموقف المعارض لهذه الحرب لدى الشعب الإسباني.

كل ذلك ترك بصمات على مدار السنين الماضية خاصة عقب المذابح المتلاحقة من قبل الكيان في جنين وغزة. وكما كان للانتفاضتين الأولى والثانية أثرهما على الرأي العام، هذه العوامل ورغم المعوقات التي لا تقل أهمية .. حاولت الحكومة الإسبانية التميز النسبي من خلال دعمها لحل الدولتين على مستوى الأمم المتحدة، والاعتراف بالدولة الفلسطينية، بصرف النظر عن ماهية هذه الدولة وحدودها وقابليتها للحياة وتماشيها مع القوانين الوطنية في هذا السياق.

كانت اسبانيا من الدول ال147 التي اعترفت على مستوى الجمعية العامة بعضوية فلسطين كدولة مراقبة.

وتكررت المواقف للحكومة الإسبانية باتجاه إسناد مبادرة جنوب أفريقيا لدى محكمة العدل الدولية وعززتها بمبادرة الاعتراف بالدولة الفلسطينية والتماشي مع ما تشدق عنه فقه الإدارة الأمريكية بالاعتراف بحل الدولتين.

لهذه المبادرات ردود فعل متفاوتة بين الحماسة والإشادة، والرفض المطلق، وما بينهما من يحذر من هذه الخطوات التي تستهدف ترويض الرأي العام كونها لا تشكل فعليا خطوة بإتجاه حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في العودة والتحرير وتقرير المصير.

التعاون الروسي الإيراني واحتمالات الحرب الأقليمية

حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي

تستند العلاقات الإستراتيجية بين الدول الكبرى على عدد من المرتكزات كالأهداف والمصالح المشتركة، وصنع السياسات والتهديدات المضادة التي تتطلب أدوات لرفع العلاقة إلى المستوى الإستراتيجي كالثقة المتبادلة والتحديات المشتركة وتحديد الأولويات على صعيد السياسة الخارجية بتعاون وتنسيق على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري بهدف الحفاظ على الاستقرار والأمن الدولي والإقليمي.

وتسعى كل من روسيا وإيران لمنع تدحرج الأوضاع في المنطقة نحو الأسوأ وإيصال رسالة إلى الإدارة الأمريكية والغرب بأن أي خطأ في الحسابات أو التقدير قد يكون الشرارة الأولى وراء أشعال الحرب الإقليمية في ظل عدم وقف الحرب على قطاع غزة المستمرة بدعم من النظام العالمي الأحادي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وما زال الموقف الروسي الإيراني المشترك ثابت ضد هذه الحرب. إضافة للموقف المشترك تجاه القضايا الدولية الكبرى وتعمل كل من روسيا وإيران على مواجهة المخاطر و التهديدات الغربية، وإيجاد الحلول للمشاكل التي تفرضها التدخلات الأمريكية والغربية باستراتيجية عمل مشتركة من أهدافها تحويل النظام العالمي الأحادي إلى نظام متعدد الأقطاب، وكذلك العمل على منع نشوب حرب أقليمية ذات مخاطر عالمية غير محدودة، إضافة لما ستشكله من خطر يفوق التوقعات على الممرات المائية كمضيق هرمز وباب المندب وبحر العرب شمال المحيط الهندي.

ويعتقد الكثير من المحللين بأن فشل الإدارة الأمريكية بفرض عملية إبتلاع رد الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحزب الله على جريمتي أغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس اسماعيل هنية والقائد الجهادي السيد فؤاد شكر يعتبر المؤشر الأبرز على إحتمال إندلاع الحرب الأقليمية لأن الرد على الرد سيدفع إيران نحو رد أقوى وأقسى وعندها يمكن أن تتدحرج الأمور نحو الحرب الأقليمية الكبرى.

وتسعى الإدارة الأمريكية بمواجهة التعاون الروسي الإيراني، إلى تفكيك هذا التعاون عبر سياسة التحريض الخارجي والداخلي في كلا البلدين عبر تكنولوجيا المعلومات ووسائط التواصل الإجتماعي ومضاعفة الدعم المادي للمعارضين، إضافة للعمل الحثيث مع عدد من دول المنطقة لتقويض علاقاتها مع إيران وروسيا مع تركيز خاص على السعودية والإمارات.

وفي سياق الرؤية المشتركة بين البلدين تجاه التطورات الطارئة أقليمياً ودولياً و منها الحرب الأوكرانية على روسيا بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها و التي وصلت إلى حد قيام أوكرانيا بغزو الأراضي الروسية و قصف محطة كورسك النووية يتخذ التعاون المشترك الروسي الإيراني في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية جوانب سياسية وأمنية عسكرية شملت توقيع إتفاقيات دفاع مشترك وتبادل خبرات والسماح لقواتهم البحرية بالإستخدام المتبادل للمرافئ، كما دفع التعاون الإقتصادي في مواجهة العقوبات الغربية العمل باتجاه فكرة التخلص من الدولار لإنهاء الهيمنة الأمريكية على الأسواق المالية العالمية، وفي ظل قرع طبول الحرب في المنطقة زار الأمين العام لمجلس الأمن الروسي سيرغي شويغو طهران بهدف تعزيز التواصل والبحث في القضايا الأقليمية والدولية واحتمالات توسع الحرب مع التقدير بأن وقف العدوان على قطاع غزة يمكن أن يؤجل الرد الإيراني على جريمة إغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران والدفع نحو الإبتعاد عن الحرب الشاملة لأن مخاطرها سوف تمتد وتطال مصالح الدول الكبرى في العالم.

العلاقات الروسية الإيرانية والقلق الإسرائيلي:

تتحدث وسائل إعلام إسرائيلية عن خطر يقلق قادة الإحتلال بسبب تطور العلاقات الروسية الإيرانية والتعاون الوثيق بين الجانبين فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط، وقد برز هذا التعاون بشكل واضح منذ بداية الحرب على قطاع غزة من خلال الجهود في مجلس الأمن وجهود إيران لوقف الحرب وادخال المساعدات ورفع الحصار، ولكن كيان الإحتلال دفع بالمقابل نحو التصعيد العسكري وتوسيع دائرة الصراع عبر عمليات الإغتيال في طهران وبيروت، وتوعدت إيران والمقاومة في لبنان بالرد على هذه العمليات بأشد العقاب، وهذا ما دفع عدد من الخبراء العسكريين للحديث عن حرب أقليمية تطرق الأبواب في ظل التصعيد الإسرائيلي والحشودات العسكرية الأمريكية والغربية لدعم كيان الإحتلال الذي يعيش حالة خوف وقلق كبير بانتظار الرد الحتمي الذي تحدثت عنه إيران والمقاومة مع ترجيح بعض الأوساط بأن سبب تأخر الرد مرتبط بإبقاء عصا الإنتقام مرفوعة لفترة أطول مما يرفع التكلفة على كيان الإحتلال وحلفائه الغربيين، وقد تؤدي حالة الإنتظار والترقب إلى مزيد من الإنهيار في الحالة النفسية للمستوطنين وتكبيد اقتصاد الإحتلال والإقتصادات الغربية خسائر أكبر، مع التقدير بأن الرد القاسي سيفرض على كيان الإحتلال معادلات جديدة تتعلق بقواعد الإشتباك في المنطقة المفتوحة على أكثر من تصعيد واقل من حرب.

ويستعد محور المقاومة وعلى رأسه الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأي حرب في المنطقة سواء أقليمية أو أقل أو حتى أكثر من ذلك لأن محور المقاومة هو في أقوى ظروفه وكيان الإحتلال هو الآن أكثر ضعفاً وأكثر تطرفاً وجيشه منهك في الحرب على غزة والولايات المتحدة الأمريكية تستعد للإنتخابات الرئاسية وأي تصعيد في المنطقة سوف يؤثر حتماً على الداخل الأميركي مع احتمال عدم انتقال سلمي للسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية و تخوف البعض من تكرار ما حدث في الحرب الأهلية الأميركية عام 1860.

وأمام حتمية الرد على عمليات الإغتيال وقرع طبول الحرب وضع كيان الإحتلال نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما، الأول هو إبتلاع الضربة والعودة لقواعد الإشتباك السابقة والثاني أن يرد على الضربة وحينها سيكون هناك رد مضاد وأقوى ومتزامن وصولاً إلى إحتمال حدوث حرب أقليمية في منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية والحساسة والمؤثرة على الإقتصاد العالمي حيث تمر عبر هذه المنطقة ناقلات النفط والسفن التجارية خاصة في البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن ومضيق هرمز، وستكون منطقة الخليج كلها تحت النيران التي يمكن أيضاً أن تطال العالم كله.

ولا يتوقع أن تقف روسيا مكتوفة الأيدي أمام اشتعال هكذا حرب سيتضرر منها الجميع في المقدمة المصالح الأمريكية بالمنطقة، مع الإشارة بأن ترجيح حصولها يستند إلى حسابات دقيقة ومعقدة ، الثابت فيها أن إيران تمتلك عناصر الردع الأقوى وخبرة إستراتيجية وصبر مستمر حتى ينفذ صبر الآخرين.

وتنظر كل من روسيا وإيران نظرة متقاربة للمخاطر و التهويل والتهديد الأميركي لأمن واستقرار المنطقة، و من هذه النظرة المشتركة يتوقع أن يعملا معا لمواجهة هذه التهديدات التي تطلق تحت عنوان الحد من رد إيران المرتقب والذي بدأ بإجراءات دفاعية تتناسب مع التهديدات حيث قام الحرس الثوري الإيراني بإزاحة الستار عن أسلحة تشكل رداً مناسباً على حشد حاملات الطائرات والمدمرات والغواصات الأمريكية والغربية، وقال أحد المحللين العسكريين أن ما كشفه الحرس الثوري الإيراني هو جزء بسيط مما يتوفر لديه، وأنه تعمد عرض بعض الأسلحة القادرة على أصطياد وتدمير القطع البحرية وسحق مصادر التهديد.

وكانت إيران قد أكدت بأنها لا تساوم على سيادتها ولا على دماء ضيفها، وهي توافق على التقدير الذي يقول بأنه من المستبعد أن يقوم كيان الإحتلال الصهيوني بارتكاب حماقة ويشن هجوم استباقي ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأن أي هجوم لن يكون مجدياً لعدة أسباب ومنها إتساع جغرافيا إيران ويفتح هذا الهجوم المستبعد حصوله الباب على مصراعيه للرد بحرب طويلة الأمد تزول بسببها البقعة السوداء المسماة (إسرائيل) عن الخارطة.

ملامح نهاية مرحلة بايدن في الشرق الأوسط: إلى أين تتجه المنطقة ؟ نحو تصعيد أم انحسار؟

أحمد عويدات ـ كاتب فلسطيني ـ السويد

إذا كان قرار بايدن بالتنحي والانسحاب من سباق الرئاسة شجاعاً ومؤثراً، فهل ستشهد نهاية ولايته الرئاسية مواقف مشابهة من شأنها أن تنعكس على كافة الملفات المعقدة في الشرق الأوسط؟ أم أن الأمور ستذهب من صفيح ساخن ملتهب إلى صفيح بارد تُؤجل فيه النزاعات والصراعات إلى مرحلة ما بعد بايدنً؟ أم ستأخذ هذه الملفاتً هدناً مؤقتة بمناوشات وخروقات محدودة لا تأتي بتغيير جوهري جيوسياسي في المنطقة؟ أم أنها ستتصاعد أكثر فأكثر وتكسر كل الخطوطً الحمراء خاصةً أن هناك استحقاقات كثيرة تنتظرها الجماهير العربية وقواها من ردودٍ «مزلزلة» يمكن أن تُدخل المنطقة برمتها في أتون حربٍ إقليمية واسعة لا يمكن التنبؤ بمداها ونتائجها؟

في واقعةٍ غير مسبوقة في تاريخ الانتخابات الأمريكية؛ تأخر دخول سياسات البيت الأبيض في استحقاق السُبات الانتخابي إلى ما بعد آب/أغسطس بسبب سخونة ملفات الشرق الأوسط المختلفة وارتفاع نسبة التوترات التي تهدد فرص تحقيق السلام والاستقرار لشعوب المنطقة، وتهديد المصالح الأمريكية بثوابتها التي باتت معروفةً للجميع، وفي مقدمتها ضمان أمن وسلامة الكيان الغاصب.

إن هذا التأخر يعكس مخاوف الإدارة البايدنية من انزلاق المنطقة إلى مخاطر لا يُحمد عقباها يعمل على تأجيجها نتنياهو بالتماهي مع مصالح المنافس الرئاسي الجمهوري دونالد ترامب مما يؤثر على نتائج الانتخابات المنتظرة لصالح هذا الأخير. لذلك فإن سعي الإدارة الأمريكية - من خلال تدفق مجيء مبعوثيها ودبلوماسييها إلى دول المنطقة وآخرها وزير الخارجية بلينكن مؤخراً بزيارته التاسعة - يُركّز على خفض بؤر التصعيد على طريقته للانقضاض على المقاومة بأقل الخسائر، ونزع فتيل اتساع الحرب على غزة إلى حرب إقليمية واسعة، مع ضمان تحقيق الأهداف الإسرائيلية الأمريكية المشتركة من حربهم العدوانية. وعليه فإن لقاءات واتصالات المسؤولين الأمريكيين المتكررة في الآونة الأخيرة ببعض المسؤولين الإقليميين هدفت إلى:

١- الترويج المخادع لما سُميَّ بمقترح بايدن لعقد صفقة تبادل الأسرى وإنهاء الحرب؛ والذي

هو في حقيقة الأمر مقترح إسرائيلي، والضغط على الوسطاء لحملهم ممارسة الضغط على المقاومة بعد إضافة شروطٍ إسرائيلية جديدة تتعلق بمحور فيلادلفيا ونيتساريم وتجزئة الصفقة إلى ملفات منفصلة ومراحل عديدة.

٢- ضمان مصالح «إسرائيل» الأمنية والعسكرية، والحد من أي تهديد لقوى المقاومة الفلسطينية دون التراجع عن تحقيق أهداف قادة الكيان بإنهاء سلطة حماس للقطاع والقضاء عليها وإطلاق سراح الأسرى، وتقليم أظافر «الأذرع الإيرانية»، والإبقاء على التفوق العسكري وقوة الردع الإسرائيلية والتي تآكلت بفعل صمود وثبات المقاومة.

٣- الحيلولة دون تنفيذ الرد الإيراني ورد حزب الله المنتظر على اغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس الشهيد إسماعيل هنية والقائد العسكري لحزب الله الشهيد فؤاد شكر؛ عبر عقد صفقات تتعلق باختيار رئيس للجمهورية في لبنان موالٍ لحزب الله، والإفراج عن الأرصدة المجمدة الإيرانية، ورفع العقوبات، والسماح بحدٍ مُعيّن من مراحل تنفيذ البرنامج النووي الإيراني بما يضمن عدم تمكين إيران من حيازة سلاح نووي، وتحقيق انفراج في الجنوب اللبناني بما يضمن عودة الهدوء إلى شمالي فلسطين المحتلة، وعودة المهجّرين من كلا الطرفين الى بيوتهم، والسماح بالتنقيب عن الغاز.

٤- الإبقاء على جملة التفاهمات القائمة على الساحة السورية مع كل من روسيا وإيران وتركيا دون المساس بالمصالح الأمريكية هناك، وللحيلولة دون انخراط سورية بأي صراع محتمل.

٥- إحباط مخطط نتنياهو المتماهي مع مصالح المنافس الرئاسي ترامب الهادف إلى توسيع الحرب إقليمياً تحقيقاً لمآربه الشخصية في استمرار قيادته للكيان الصهيوني، و لتغطية فشله الميداني الذريع في غزة.

٦- توجيه رسالة إلى الداخل الأمريكي والشارع الانتخابي تظهر سعي الحزب الديمقراطي وإدارة بايدن للاستجابة إلى مطالب الأقليات العربية والمسلمة واللاتينية وغيرها لوقف الحرب في غزة، وإيقاف توريد السلاح والعتاد؛ هذه المطالب التي طالما طالبت بها نخب الجامعات الأمريكية.

٧- تحسين صورة الولايات المتحدة أمام الرأي العام العالمي والهيئات والمنظمات الدولية والإنسانية؛ بوصفها راعياً للسلام ووقف الحرب وإدخال المساعدات ووسيطاً في المفاوضات وليس شريكاً بامتياز إلى جانب «إسرائيل» في حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني.

٨- تحقيق نوع من الانفراج السياسي والاستقرار المؤقت في المنطقة يسمح باستئناف وتبرير خطوات التطبيع مع باقي دول المنطقة وعلى رأسها المملكة السعودية التي باتت محرجة بعد تعطيلها عقب عملية طوفان الأقصى، ولفك العزلة العالمية عن «إسرائيل» والتي نجمت عن ارتكاب الكيان الغاصب جرائم الإبادة الجماعية والمجازر الممنهجة بحق المدنيين الفلسطينيين، والتعاطف الدولي الواسع مع قضية فلسطين.

٩- التنسيق والتعاون الأمني والعسكري مع بعض الأطراف الاقليمية.

في واقع الحال، إن مفتاح الحل لنزع فتيل كل التوترات والمخاطر المحدقة في المنطقة، وبالتالي الولوج إلى كافة ملفات الشرق الأوسط يبدأ بوقف إطلاق النار؛ الذي هو بمثابة الخطوة الأولى في مسير الألف ميل. وهذا ما تدركه تماماً إدارة بايدن، لكن لم تبدأ هذه الإدارة بستمتر واحد في هذا الاتجاه، بل على العكس زادت الأوضاع خطورة بدعمها اللامحدود العسكري والسياسي واللوجستي لدولة الكيان في حربها ضد الشعب الفلسطيني، وتعاميها عن المجازر اليومية التي تُرتكب بحق المدنيين، ولعل خطاب بايدن في مؤتمر الحزب الديمقراطي مؤخراً عبّر عن ذلك، وتحميل حماس مسؤولية إفشال صفقة تبادل الأسرى، وكذلك منع أية شخصية من أصول فلسطينية للتحدث أمام المؤتمر وأيضاً منع داعمي غزة في صفوف الديمقراطيين من ذلك أيضاً؛ مما يحمل دلالات عدم جدية الولايات المتحدة بممارسة أي ضغط على نتنياهو لحمله على القبول بمقترحه لوقف إطلاق النار، وموافقته على قرار مجلس الأمن، أو الاستجابة لمطالب الشارع الأمريكي الرافض لهذه السياسة المنحازة، بل عمد إلى ممارسة الضغط على الوسطاء، وإدارة الظهر للتطورات الميدانية الخطيرة في غزة. وكثّف من اتصالاته ومساعيه لاحتواء الرد الإيراني ورد حزب الله المحتمل وإصدار المزيد من التصريحات المهدئة، والتي لا أساس لها من الصحة، بقرب التوصل إلى عقد صفقة التبادل، وجعل من مسار المفاوضات طبخة بحص في مسلسل مكسيكي يحمل عنوان «مفاوضات من أجل المفاوضات»، وذلك بقصد تمييع الأمور، وإعطاء نتنياهو المزيد من الوقت والمناورة؛ لإحداث تغيير ما في الميدان من شأنه أن يُشكّل عامل ضغط على طاولة المفاوضات. وما إرسال المزيد من حاملات الطائرات والسفن الحربية والقيادات العسكرية إلا بمثابة العصا الغليظة لفرض سياسة الأمر الواقع على اللاعبين الإقليميين وفق المنظور الأمريكي. وليس مستغرباً أن وافق بايدن قبل أيامٍ قليلة على تزويد «إسرائيل» بأسلحة تبلغ قيمتها 20 مليار دولار، وهذا بدوره يفند ادعاء إدارة بايدن سعيها إلى وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب، ويؤكد دعم وشراكة الكيان في ارتكاب المزيد من المجازر.

إن ما تمارسه إدارة بايدن من سياسة الأقنعة على يد انطوني بلينكن وزير الخارجية ومبعوثيها هو امتداد لليبرالية الغربية، التي لا ترى في مواقفها الحالية انفصاماً بين ما تؤمن به من أيدولوجيات وما تمارسه على أرض الواقع.

إن اندلاع حرب في المنطقة من شأنه أن يعزز فرص ترامب الانتخابية، وأن التطورات المتلاحقة في الشرق الأوسط من المنتظر أن تُحدث معادلة إقليمية جديدة تسفر عن تشكيل واقع جديد مختلف عن المشهد الحالي، والمخاوف تزداد من أن يقوم نتنياهو بعملٍ مباغت استباقي يعيد وضع المنطقة على فوهة بركان؛ متجاوزاً كل التحذيرات من إدارة بايدن، لهذا الغرض دفعت الإدارة الأمريكية بطواقمها الدبلوماسية والعسكرية والأمنية إلى المنطقة بحثاً عن استقرار إقليمي يضمن مصالح الجميع.

من ناحية أخرى، تحاول إدارة بايدن- وهي على أعتاب اقتراب موعد التصويت المبكر للانتخابات الأمريكية، وبدء العد التنازلي لها – الإمساك بكل الخيوط على سبيل إدارة المشكلة وليس حلها. وهذا ما يزيد من مخاطر التصعيد؛ لأنه أيضاً مع بدء نهاية مرحلة بايدن الذي أصبح «بطة عرجاء»، هناك محدودية أكبر للتأثير الأمريكي على «إسرائيل» وممارسة ضغط فعلي لضبط السلوك الإسرائيلي، وتحديداً ضبط سلوك نتنياهو الإجرامي. لكن من الواضح أن ما يترتب من الجانب الأمريكي هو فقط «غضب» بايدن أو إدارته دون إدانة أو استنكار، أو فرض عقوبات أو وقف المساعدات العسكرية أو تعليقها، بل على العكس زيادتها، أو حتى التلويح بما يمكن تحقيق وقف إطلاق النار. وبالمقابل هناك ضغط أمريكي فعلي على الوسطاء للضغط على حركة حماس، وتكثيف الاتصالات من كل حدبٍ وصوب، لمنع أو احتواء الرد الإيراني وردٍ حزب الله على عمليتي الاغتيال؛ وكأن في ذلك طرحاً قائماً تنقصه بعض التفاصيل «صفقة تبادل مقابل عدم الرد». هل تفعلها إدارة بايدن وتمارس ضغوطاً غير عادية على نتنياهو بقبول هذا الطرح، ويكون بمثابة طوق النجاة لبايدن من التورط بحربٍ لا يُعرف مداها ورقعتها وأطرافها؟!

لقد بات واضحاً أن فشل السياسة البايدنية في المنطقة وخصوصاً في مواجهة المقاومة في غزة واليمنيين، ووقوع القوات الأمريكية في مرمى صواريخ المقاومة العراقية، وإجماع كافة فصائلها على المطالبة بانسحابها الفوري من العراق، وفشلها أيضاً في إحداث خرقٍ على جبهة التطبيع لأسبابٍ عديدة في مقدمتها الحرج الذي تواجهه القيادة السعودية في هذا الصدد؛ كل هذا سيدفع بالتأكيد هذه الإدارة إلى تجميد خططها في المدى المنظور لحين الانتهاء من أهروجة الانتخابات، وبانتظار ظهور تطورات جديدة ميدانية قد تكون عاملاً في تغيير المشهد السياسي.

إن هذا العجز الأمريكي في نهايات مرحلة العجوز بايدن، ربما يؤدي إلى انهيار كل الخطوط الحمر- كما أسلفنا - ويأخذ المنطقة برمتها إلى حافة الهاوية؛ ما لم تتصرف الولايات المتحدة كقوة عظمى مؤثرة بفاعلية في الحفاظ على الأمن والسلام في العالم، وإلا سيبقي بايدن أسيراً لمواقفه الكارثية أمام محكمة التاريخ، ويبقى هذا الروبوت مجرد تابع مطيع لسلوك نتنياهو الإجرامي الذي يعمل على تسيير وتطويع سياسة الولايات المتحدة بالاتجاه الذي يريد ويحقق مصالحه.

في نهاية المطاف، هل ستبقى المواجهة شبه مستحيلة؟ أم أن الرد الأولي الذي قام به حزب الله، لحظة كتابة هذه السطور، بقصف أهدافٍ عسكرية إسرائيلية بما يزيد على 320 صاروخاً ومسيّرة سيدفع إلى مزيدٍ من التصعيد؟ في انتظار فصل الخطاب ، إننا ننتظر الحسم.

قراءة في الرد الإيراني على جريمة اغتيال اسماعيل هنية في طهران

إبراهيم أبو ليل - كاتب سياسي فلسطيني - سورية

منذ 31 يوليو/تموز 2024 يقف العالم مشرئباً، بعيون مشدودة نحو منطقة الشرق الأوسط، لمتابعة التطورات التي ستحدث إثر الرد المحتمل من الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومحور المقاومة على الكيان الصهيوني، بعد اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس المجاهد إسماعيل هنية في طهران، والقيادي في حزب الله المجاهد فؤاد شكر في بيروت. ومنذئذ أصبح الشرق الأوسط كالمرجل وفي حالة ترقب، وخصوصاً في الكيان الصهيوني، حيث الجمهور الإسرائيلي يساوره الخوف ويشعر بأنه يعاقب بسبب الجريمة التي ارتكبتها القيادة الإسرائيلية، ويرغب في أن يتم الرد بأسرع وقت، أملاً في أن يعود إلى وضعه الطبيعي، كما قال السيد حسن نصر الله: «إن جوهر الانتظار القلق للضربة المتوقعة هو جزء من معاقبة الجمهور الإسرائيلي».

لحظة جريمة اغتيال المجاهد إسماعيل هنية، وجه الإيرانيون أصابع الاتهام نحو الموساد الإسرائيلي وتوعدوا بالثأر لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس الذي كان في زيارة للجمهورية الإسلامية بمناسبة حفل تنصيب الرئيس الإيراني الجديد مسعود بزشكيان. ويجمع المتابعون للشأن الإيراني أنه لا تراجع عن الوعد الذي قطعه المرشد الأعلى السيد علي خامنئي مهدداً، بعد ساعات من الجريمة الغادرة، بالثأر لدماء هنية «لأن الاغتيال وقع على الأراضي الإيرانية». وكان السيد علي خامنئي، واضحاً وصريحاً في تهديده الذي أكد فيه «أن إيران تعتبر الثأر لدمه واجباً عليها، وأن إسرائيل هيأت لنفسها أرضية العقاب الشديد». وكرر المسؤولون الإيرانيون العسكريون والسياسيون الحديث عن حتمية الرد الحاسم والقاسي على الكيان الصهيوني، رافضين بشكل قاطع جميع الرسائل والطلبات والوساطات التي تقوم بها دول غربية وشرقية وإقليمية، لضبط النفس وتجنب التصعيد، مؤكدين مراراً أن الرد على جريمة اغتيال إسماعيل هنية في طهران هو حق طهران المشروع، مما يرجح كفة الرد العملي على حساب الدبلوماسية الغربية الرامية لثني طهران عن تنفيذ انتقامها. الأمر الذي أثار ويثير القلق لدى المراقبين من جراء «الهجوم الإيراني المحتمل»، الذي قد يدفع المنطقة إلى حرب شاملة.

في الكيان الصهيوني يشهد الجمهور الإسرائيلي موجات متلاحقة من الخوف والرعب الذي يشل الحياة الإسرائيلية، والتي لا تعرف الاستقرار والهدوء منذ عام تقريباً. ومن وجهة نظر الإسرائيليين، فإن التهديدات الإيرانية تبدو جدية وأكثر حدة، حيث تحمل في طياتها رسائل مزدوجة للقيادة الإسرائيلية وجمهورها، وتعكس جدية إيران بالرد والعقاب. وتحسباً

من الرد الإيراني، تشهد الأجهزة الأمنية الإسرائيلية درجة عالية من اليقظة وحالة استنفار غير مسبوقة، وتعبئة تامة لسلاح الجو، وإلغاء الإجازات بصفوف الجيش، على خلفية احتمال وقوع الرد. وفي هذا الإطار توجّهت الجبهة الداخلية في الجيش الإسرائيلي إلى عدد من المصانع في شمالي فلسطين بطلب تفريغ ما لديها من غازات سامة «خشية أن يستهدفها حزب الله». ودعا الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ الجبهة الداخلية لليقظة والحذر وأن تكون موحدة وقوية. وقبل استعراض الخيارات وسيناريوهات الرد المتنوعة، رفعت القوات الجوية الإسرائيلية درجة التأهب إلى الدرجة القصوى وستزيد من منظومة الدفاع الجوي، مع العلم أنه لا يوجد أي مسؤول في الكيان الصهيوني يعرف كيف سيكون الرد الإيراني. وتبدو التقديرات الإسرائيلية مشوَّشة جداً، إذ قالت القناة الرسمية الإسرائيلية إنه في ما يتعلّق بإيران، فإن الأمور لم تتّضح بعد، حول ما إذا كانوا قد اتخذوا قراراً بشأن الرد، وإلى أي مدى يعتزمون التصعيد في ظل مخاطر اندلاع حرب إقليمية واسعة. ويوضح يوسي يهوشع مراسل الشؤون العسكرية في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية أن هناك صعوبة حقيقية في اعتراض المسيّرات المتفجرة، وأنه لا توجد دولة في العالم لديها قدرة مثبتة على القيام بذلك. ذلك أنه «في بعض الأحيان يكون التوقع أعلى من القدرة على الأداء».

وفور الإعلان عن الرد الإيراني بدأت حالة الاستعداد تتزايد في الكيان الصهيوني لامتصاص الضربة، فجهاز الأمن أعلن عن الاستنفار الكامل، وسلاح الجو انتقل إلى حالة استعداد قصوى دفاعية، والقيادة الإسرائيلية والإدارة الأمريكية تنسقان فيما بينهما النشاطات لصد هجوم صاروخي محتمل ومسيرات، وحتى أن الأمريكيين أعلنوا عن نقل حاملة طائرات أخرى إلى الشرق الأوسط، «لنكولن»، التي ستنضم إلى «روزفلت» الموجودة في خليج عُمان، إضافة إلى ذلك ينشرون في المنطقة منظومات دفاع جوي وسفن وطائرات قتالية، ومن المرجح الافتراض أنه يتم التنسيق مع دول عربية صديقة في المنطقة. وفي المؤسسة الأمنية الإسرائيلية يقدرون أن إيران ومحور المقاومة لن يتراجعا عن تنفيذ تهديدات الانتقام، وأن الأمر يتوقع أن يحدث قريباً. لا يوجد أي تغيير في تقدير الاستخبارات الإسرائيلية الأصلي الذي يقول بأن إيران غير معنية الآن بحرب شاملة في الشرق الأوسط. مع ذلك، الخوف هو من أن تبادل الضربات بين الطرفين، سيؤدي إلى موجة تصعيد سيكون من الصعب وقفها، وربما يؤدي إلى الانزلاق نحو الحرب الشاملة.

تكثّف الولايات المتحدة جهودها على الصعيدين العملي والسياسي بشكل ملموس، في محاولة لإنقاذ الكيان الصهيوني من المأزق الذي جعله هدفاً لهجمات عنيفة محتملة، من قبل محور المقاومة وفي مقدمته الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فما إن وقع الاغتيالان في بيروت وطهران، حتى توجه الجنرال الأمريكي المسؤول عن القوات الأمريكية في الشرق الأوسط إلى الكيان الصهيوني، ملتقياً بوزير الحرب الإسرائيلي ورئيس أركان جيش الاحتلال، من أجل حشد التحالف الدولي والإقليمي بقيادة الولايات المتحدة، وبالشراكة مع بريطانيا وفرنسا ودول عربية، للتصدي للهجوم الإيراني المتوقع على غرار ما حدث في نيسان الماضي، وبحثوا سبل توسيع هذا التحالف وتنسيق التعاون العسكري بين أعضائه. ومن بين الاحتياطات التي بوشر باتخاذها تسيير دوريات للطائرات المقاتلة والسفن الحربية التابعة للدول المتحالفة. وتشتغل واشنطن، في هذا الإطار على الدفع بالمفاوضات المتعلقة بصفقة تبادل الأسرى المصحوبة بالهدنة، على أنها جزء من مسار إنهاء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وتحقيق هدف استعادة الأسرى الإسرائيليين. وبخصوص الرد الإيراني على الاغتيالات، تسعى الإدارة الأمريكية لإيجاد ذريعة للكيان الصهيوني والتغطية على تهرب نتنياهو من استحقاقات الصفقة، والإيحاء بأن الردود - في حال وقعت - ستتسبّب بتعطيل هذا المسار وحرمان غزة من فرصة وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب ومعاناة المدنيين. ومن المهم للرئيس جو بايدن ونائبته كمالا هاريس خلق الانطباع وكأن الأمور أخيراً تتحرك بالإيجاب في الشرق الأوسط. وللسبب نفسه فإن الإدارة الأمريكية غير معنية باندلاع حرب بين الكيان الصهيوني وإيران التي ستضع في الظل الحملة الانتخابية وستسمح لدونالد ترامب بالعودة واتهامها بتدهور الساحة الدولية. في البيت الأبيض يؤمنون بأن وقف إطلاق النار في قطاع غزة سيهدئ أيضاً الجبهة الشمالية التي أخذت تزداد سخونة على الحدود اللبنانية الفلسطينية.

لقد انصبّت الجهود الإيرانية على اغتيال إسماعيل هنية الذي اعتبرته خطأً كبيراً من جانب الكيان الصهيوني، ولن يمر دون رد. وكان الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان ردّ على الرئيس الفرنسي ماكرون خلال اتصال بينهما، محملاً المسؤولية للحكومة الإسرائيلية بتأجيج الصراع في المنطقة عبر اغتيالها هنية، وارتكابها جرائم إبادة وممارسة العدوان والإرهاب في قطاع غزة، ومنتقداً الولايات المتحدة والدول الأوروبية على دعم هذه الأعمال بدلاً من إدانتها، ما يعني أنهم شركاء في هذه الجرائم. وطالب الرئيس الإيراني بوقف إطلاق النار في غزة، مؤكداً على التزام إيران بالدفاع عن مصالحها وفقاً للقانون الدولي، في حين أبلغ مسؤولون إيرانيون نظراءهم العرب أن ردّ الجيش الإيراني سيكون محسوباً للغاية. فقد اعتاد الإيرانيون على ضبط النفس، والعد حتى عشرة بل وعند الحاجة حتى إلى مئة. ذلك أن الجمهورية الإسلامية تعطي دائماً الأولوية لمشروعها النووي، ولا تريد تعريضه للخطر، كما لا تريد أن تعطي الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية الذريعة بالتهرب من إتمام صفقة تبادل الأسرى ووقف العدوان على قطاع غزة، وكذلك لا تريد أن يتم استهداف مشروعها النووي وتعطيل أجزاء منه، وخصوصاً أن إيران قطعت مسافة كبيرة في بنائه. ولهذا السبب تتصرف القيادة الإيرانية بمنتهى الحكمة والصبر الإستراتيجي مع الاحتفاظ بحق الرد في أي وقت وبالطريقة التي تراها مناسبة، ولا تتسرع في العمل أو تنجر وراء رغبة العدو في توسيع نطاق المعركة بشكل غير محسوب.

كلما مرّ يوم على الكيان الصهيوني ولم يأتِ الرد الإيراني على جريمة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، التي ارتكبت في الأراضي الإيرانية، تزداد الأزمة التي يغرق بها الكيان بوجوهها المختلفة، وفي جميع المجالات العسكرية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية. وبات الوعد الإيراني بالرد والتهديد بتنفيذه في أقرب وقت، هو جزء من الرد، وهو بمثابة عقوبة للإسرائيليين الذين يسيطر عليهم الرعب والهلع، ويبقيهم في حالة من الشلل والانتظار القلق.

مستقبل الحرب في الشرق الأوسط... تحليل السيناريوهات واحتمالات التهدئة

عزيز موسى ـ باحث وكاتب في الشؤون الدولية والأمنية

تتصاعد احتمالات اندلاع حرب إقليمية واسعة في منطقة الشرق الأوسط، تبعاً لعوامل استقطاب القوة المتصاعد وتعقيدات المشهد السياسي والعسكري والتغيرات الميدانية الكبيرة، لا سيما بعد ارتفاع مستوى الجرائم التي يقوم بها الكيان الصهيوني من اغتيالات وتدمير ممنهج للبنى التحتية في قطاع غزة.

تشهد المنطقة منذ نهاية تموز الماضي تصعيداً دراماتيكياً للأحداث بفعل إقدام الكيان الصهيوني على اغتيال الشهيد (فؤاد شكر) القيادي البارز في المقاومة الإسلامية في لبنان (حزب الله) في الضاحية الجنوبية في بيروت، إضافة لاغتيال الشهيد (إسماعيل هنية) رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الفلسطينية أثناء تواجده في إيران، مما فتح الأبواب امام احتمالات تشتعل فيها جبهات حرب إقليمية شاملة واسعة النطاق تتدخل فيها مجموعة من القوى الإقليمية والدولية، وتتفاعل من خلالها الديناميات السياسية والميدانية إلى حد فرض تهديد وجودي للفواعل والقوى المؤثرة.

- ديناميكية الحرب وسيناريوهاتها

تتعدد احتمالات الحرب وسيناريوهاتها والتي تعتمد على مجموعة من المؤشرات بناء على التصعيد من الأطراف الفاعلة في الحرب، وخاصة الكيان الصهيوني الذي يعمد إلى استخدام كل الوسائل الممنوعة في سبيل تحقيق أهدافه وغاياته، والذي يعاني بدوره من مأزق حقيقي في مختلف المستويات العسكرية والسياسية، وتمسك رئيس وزرائه بخياراته المتعلقة «بالقضاء على المقاومة»، إضافة للانقسامات المتشعبة التي تجعل من احتمالية التفكك الداخلي خياراً مطروحاً وواضحاً، ومن هذا المنطلق تبرز ثلاثة سيناريوهات أساسية للحرب والصراع:

السيناريو الأول: يتجلى في استدامة الصراع واستمرار المعارك على الجبهتين الشمالية والجنوبية، وهذا بالتالي يجهد جيش الكيان الصهيوني ويرهقه، وخاصة بأنه غير مدرب على المعارك والحروب الطويلة، ويرهق قواته نفسياً وجسدياً، بالمقابل فإن المقاومة وقواتها مدربة بشكل عملي على مثل هذا النوع من المعارك الطويلة.

السيناريو الثاني: يذهب نحو احتمالية نشوب حرب إقليمية واسعة يشترك فيها عدد من دول الإقليم أبرزها إيران وسورية، إضافة لقوى المقاومة وفصائلها مع احتمالية دخول فواعل دولية داعمة، بالتالي فإن تداعيات هذا السيناريو كارثية على مستوى المنطقة في ظل احتمالية الانتقال نحو حرب عالمية، واستعراض القوة الذي قامت به كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من خلال تحريك القطع الحربية وتفعيل قواعدها العسكرية سواء في الخليج العربي أو في مضيق هرمز.

السيناريو الثالث: يتجلى في القيام بتبادل دوائر المعارك بين أطراف الحرب في مناطق جغرافية محددة في الأراضي المحتلة، إضافة للاستمرار باستهدافات لمواقع وبنى وقيادات عسكرية لقوى المقاومة، وهذا ينذر على المدى المتوسط بانفجار للأوضاع واندلاع المعارك في مناطق جغرافية واسعة.

ضمن هذه السيناريوهات تأتي احتمالية إطالة الرد على عمليات الاغتيال من قبل إيران وحزب الله كنوع من الاستنزاف المعنوي والاضطراب النفسي الذي أصاب صفوف جيش الكيان، في ظل حرب نفسية وتواتر التحليلات التي قدمتها مراكز الدراسات والإعلام الإسرائيلي عن شكل وآليات الرد، ومن ثم نشر الإعلام الحربي للمقاومة اللبنانية فيديو عن منشأة (عماد 4) الذي أظهر جزءاً من القدرات اللوجستية التي هيأها وأعدها حزب الله في مواقع كبيرة سرية جبلية، تتضمن سلاحاً صاروخياً ومرابط مجهزة للإطلاق ، وتأكيد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله: أن الإستراتيجية المتبعة هي جزء من الرد والعقاب وأن الليالي والأيام والميدان هو من سيحدد شكل الرد وتوقيته، ليأتي لاحقاً في صباح 25 آب إعلان مجاهدي الحزب عن عملية عسكرية أطلق عليها عملية «يوم الأربعين» باستهداف عدد من المواقع العسكرية للكيان الصهيوني على رأسها موقع «جليلوت» الذي يتضمن قاعدة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «شعبة أمان» إضافة لقاعدة للموساد ومقر الوحدة 8200 المعنية بالرصد والتجسس وانتقاء خيارات مسارح العمليات الاغتيالية والقائمة على الحرب النفسية والإعلامية، إذ عمل مجاهدو حزب الله على إطلاق 340 صاروخ كاتيوشا بهدف إشغال القبة الحديدية والصواريخ الاعتراضية للعدو، ليليها استهداف بعشرات المسيرات التي عبرت الحدود اللبنانية مع الأراضي المحتلة واستهدفت مجموعة من المواقع العسكرية الخاصة بالكيان، مما يعكس تآكلاً إستراتيجياً يعاني منه الكيان وهذا ما أكده الجنرال يائير غولان النائب السابق لقائد جيش الاحتلال، والجنرال في قوة الاحتياط إسحاق بريك.

- مفاوضات ولكن

على الرغم من تصاعد الحديث الإعلامي حول وجود مفاوضات بين وفد المقاومة الفلسطينية وممثلي الكيان من خلال وسطاء، إلا أن هذا الحديث بقي في إطار البروباغندا الإعلامية بهدف إطالة أمد المفاوضات دون

نتيجة وذلك يعود إلى عدم جدية الكيان الصهيوني في التوصل إلى اتفاق لإيقاف الحرب، وخاصة لأسباب شخصية تتعلق بإنقاذ المستقبل السياسي الخاص برئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو وخوفه من المحاكمة والتهم التي تتعلق به نتيجة الإخفاقات الداخلية المتكررة، وهنا يبرز سيناريوهان يتعلقان بالتهدئة والمفاوضات باحتمالية نجاح قليلة نسبية نتيجة تعقيدات الوضع الراهن:

السيناريو الأول: التوصل إلى تهدئة شاملة تمهد لعقد جولات مفاوضات تتعلق بإمكانية عقد اتفاقيات مستقبلية، وهذا يبدو خياراً غير مطروح حالياً بسبب المباغتة من الكيان ودعمه من قبل الولايات المتحدة والغرب لمحاولة استحصال مكاسب سياسية، والعمل وفق وجهة نظر العدو على استنزاف جبهة المقاومة والقضاء عليها وهذا ما لا يمكن الحصول عليه نظراً للعديد من الاعتبارات العسكرية.

السيناريو الثاني: يتجلى في القيام بتهدئة مؤقتة من خلال الوسطاء للقيام بصفقة شاملة أو جزئية للأسرى والبناء عليها لإيقاف الحرب بشكل كامل، ويبدو هذا الخيار مطروحاً على المدى المتوسط والبعيد نظراً لعدم جدية العدو في هذه المفاوضات في سبيل إضاعة الوقت، واستمرارية الدعم العسكري المقدم من الولايات المتحدة وحلفائه، وهنا يبرز من الضغوط الشعبوية العالمية التي تدعو لإيقاف المجازر التي يقوم بها جيش الاحتلال، وسط صمت دولي مطبق من مختلف المؤسسات الدولية المعنية.

يمكن القول إن طبيعة الحرب التي بدأت منذ 7 تشرين الأول من خلال عملية «طوفان الأقصى» أدت إلى إعادة هندسة التوازنات الجيوسياسية في المنطقة، وأظهرت حجم القوة التي تمتلكها قوى المقاومة بمختلف تشكيلاتها وفواعلها، وهذا بالتالي أدى إلى إحداث صدمة لدى الكيان الصهيوني، فإما يقبل بهزيمة تؤدي إلى انكسار صورته عالمياً في ظل الخسائر التي لحقت به بالمقارنة مع حجم القوة التي يمتلكها، وإما يستمر في حرب استنزاف تؤثر سلباً عليه في المقام الأول وتعمق الخلافات والانقسامات الداخلية في مؤسساته وأجهزته تؤدي في النهاية إلى تلاشي قوته التدريجية وصولاً إلى الانتفاء.

المملكة المتحدة بعد الانتخابات الأخيرة

د. كاظم الموسوي ـ باحث سياسي وأكاديمي من العراق

كشفت نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة في المملكة المتحدة (04/07/2024) عن هزيمة تاريخية لحزب اليمين، المحافظين، بزعامة ريشي سوناك، وفوز كبير لحزب العمال، المحسوب على يسار الوسط، بزعامة كير ستارمر، واستفادت الأحزاب الأخرى المشاركة في الانتخابات من خسارة حزب المحافظين لأكثر من نصف مقاعده التي حصل عليها في انتخابات 2019، في الحصول على مقاعد لها. ورُسمت هذه الصورة الجديدة في المشهد السياسي كبادرة للتغيير والتجديد واستجابة ديمقراطية إلى مطالب الحراكات الشعبية الواسعة في المجتمع، ومواجهة التحديات، لا سيما البارزة في السياسات الخارجية والداخلية، التي تميزت واقعيا بالتراجع والتدهور واستقالة رؤساء وزراء وتقلبات وصراعات في شتى القطاعات الأساسية.

رغم هذا المتغير الواضح في سدة الحكم والبرلمان، مجلس العموم، كانت قيادة حزب العمال الفائزة، التي وصلت إلى مقر الحكومة الرئيسي في 10 داوننغ ستريت، كانت عمليا تتماهى في تقاربات قبل الانتخابات وثم بعدها مع اتجاهات المحافظين في سياسات المملكة الداخلية والخارجية خاصة، وأحيانا زادت في طبيعة العلاقات والتصفيات والتبعية التخادمية، خصوصا مع الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي/ الناتو، « حلفائها الذين لا غنى عنهم»! حتى صار من الصعب التمييز بينهما تكتيكيا وإستراتيجيا. وإزاء هذه المتغيرات السياسية تعارضت سياسات الحكومة العمالية مع شعاراتها الانتخابية وما يطرحه الشارع والاحتجاجات المتصاعدة في العاصمة لندن وأغلب المدن الأخرى والتي تحمل في استمرارها إعلانا عن تناقض السياسات الرسمية وعدم تلبيتها للأهداف والتحولات المنتظرة، في سياساتها الداخلية والخارجية.

في المشهد العام برزت لفظيا تغيرات في خطط عمل الحكومة على الأصعدة الاقتصادية المتدهورة اجتماعيا وطبقيا، وكذلك في التحديات الداخلية في مجالات الصحة والخدمات العامة والتوظيف ومعالجة أزمات تكاليف المعيشة والركود الاقتصادي والتضخم المالي، وبحدود المقارنة الزمنية غير المتكافئة مع التطور الصناعي والتقني والتجاري، بين المملكة أساسا وجوارها الأوروبي، المتقدم معها في مجالاته الأخرى. وظلت كذلك المواقف العمالية من أهم حدثين دوليين كما هي، في تصعيد التخادم مع القوة الإمبريالية المتفردة في إستراتيجيتها العدوانية، خصوصا في الحرب الأوكرانية، ومثله في القضية الفلسطينية، مع بعض تغيير يمكن متابعته في تصريحات لفظية متغايرة عما كانت عليه، وتجاوب محدود مع الضغوط الشعبية الداخلية وأطراف دولية، بما فيها الأمم المتحدة، في شؤون إدانة الإجرام والإبادة الجماعية والعدوان النازفاشي والمطالبة بمحاكمته، إلا أن الحكومة لم توقف تسليح الكيان والتعاون العسكري الحربي بينهما واكتفت بالصمت على الجرائم المروعة وانتهاكات القوانين الدولية وحقوق الإنسان. وجاءت استقالة دبلوماسي من وزارة الخارجية شاهدا ودليلا على تلك السياسات، وكصحوة ضمير إنساني، إذ اعتقد مارك سميث، سكرتير ثان في سفارة المملكة المتحدة في إيرلندا أن الوزارة «قد تكون متورطة في جرائم حرب» بسبب استمرارها في السماح ببيع الأسلحة «لإسرائيل». وكتب، في رسالة استقالته إلى زملائه التي نشرت على الإنترنت أنه «يرى أن أعضاء الحكومة والجيش الإسرائيليين قد عبروا عن «نية إبادة جماعية علنية»، بحسب وكالة الأنباء البريطانية. وأضاف سميث: «كل يوم نرى أمثلة واضحة ولا جدال فيها على جرائم الحرب وانتهاكات القانون الإنساني الدولي في غزة ترتكبها إسرائيل»، وأشار أيضا إلى أن «الجنود الإسرائيليين يلتقطون مقاطع فيديو تظهرهم وهم يحرقون ويدمرون ويسرقون ممتلكات المدنيين ويعترفون علنا باغتصاب وتعذيب السجناء»، وتابع سميث: «لا يوجد مبرر لاستمرار مبيعات الأسلحة البريطانية لإسرائيل ومع ذلك تستمر بطريقة ما. لقد طرحت هذه القضية على كل مستوى في الوزارة بما في ذلك من خلال تحقيق رسمي للشكوى ولم أتلق ردا سوى شكرا، لقد أخذنا مخاوفك بعين الاعتبار»!.

تتواصل مع الرسالة المظاهرات الواسعة والحراك الشعبي والطلابي المؤيد للقضية الفلسطينية والمندد ببيع الأسلحة والتعاون العسكري وجرائم الإبادة والعنصرية، ومشاركة شخصيات بريطانية وعربية على منصات خطابة وقوف المظاهرات الشعبية مقابل مكتب رئيس الوزراء والمطالبة العالية بوقف الحرب الآن، ووقف تسليح الكيان عسكريا الآن، والتنديد بالإبادة الجماعية والتهجير الجماعي والتجويع الجماعي والتدمير الجماعي.

من جهة أخرى برزت أعمال وممارسات قوى اليمين المتطرف ووقوفها العنفي بالضد من المشهد السياسي الجديد، وكأنها رد على الحراكات الشعبية والتضامن مع حقوق الشعوب والعدالة والحرية، والسباق على التماشي مع السياسات الصهيو استعمارية والضغط على أية توجهات للتغيير والإصلاح، فانطلقت برفع شعارات وتنفيذ أعمال عدائية، لمواجهة التحديات التي تسيطر على المشهد السياسي في المملكة عموما. وأبرزها على الصعيد الشعبي والشارع السياسي تصاعد الوعي السياسي بأهمية الحراك الشعبي المؤيد للقضية الفلسطينية والمعارض بشدة لسياسات الإمبريالية المتحالفة مع الصهيونية في الإبادة الوحشية والعنصرية والتهجير الجماعي والقتل والأسر والتدمير والتعذيب للفلسطينيين في فلسطين المحتلة، والتي تتجاوب معها الحكومات وتتماشى مع نهجها العدواني. والتحدي الآخر يتعلق بالهجرة والمهاجرين وسياسات الحكومة اليمينية السابقة وممارساتها العنصرية في هذا الشأن، وربطهما بقوة مع الحراك الشعبي الواسع المحتج على سياسات الحكومات اليمينية الاقتصادية والاجتماعية والموقف من القضية الفلسطينية.

عمليا شهدت عدة مدن في المملكة منذ نهاية تموز/ يوليو 2024 موجات عنف متطرف وصفت بأنها الأسوأ في تاريخ المملكة منذ الحرب العالمية الثانية، استخدمت فيها ممارسات إجرامية وتحريضية، وإشاعة الكراهية وأعمال شغب وتخريب وفتنة بين السكان وتلاوينهم القومية والدينية، بدأت هذه المرة بمقتل ثلاث فتيات في هجوم بسكين خلال حفل للأطفال في مدينة ساوثبورت، في شمال غربي المملكة. وقد شنت مجلة إيكونوميست هجوما عنيفا على من سمتهم «البلطجية» من أنصار أقصى اليمين الذين أثاروا أعمال شغب عنصرية احتجاجا على مقتل الفتيات في بلدة ساوثبورت القريبة من مدينة ليفربول، على يد قاصر مهاجر من أبوين من رواندا قيل زورا إنه مسلم، واسمه علي. وأضافت المجلة في افتتاحيتها إن كلمة «مثير للاشمئزاز» قوية، إلا أنها لا تكفي لوصف سلوك «البلطجية» في شوارع المملكة منذ تلك الحادثة المأساوية.

أخذت هذه الممارسات العنفية مديات لها وتداعيات تعري تنسيقا وتخطيطا لها وتكشف عن تراكم تحريض الحكومات اليمينية السابقة وتشجيعها لها. فقد تجاهل رئيس الوزراء السابق ريشي سوناك هذه الممارسات وخطاب التحريض المشحون بالكراهية والتفت إلى الحراك الشعبي المناهض للإبادة الجماعية التي تقوم بها قوات الكيان الصهيوني في غزة، فوصفه: بانفجار مفترض في التحيز ومعاداة السامية، ومعلوم ما قالته سويلا برافيرمان، وزيرة الداخلية السابقة، وهي من أصول مهاجرة أساسا: «الحقيقة هي أن الإسلاميين والمتطرفين ومعادي السامية هم من يتولون السلطة الآن»، ومثله موقفها العنصري من المهاجرين. عموما.

ولم تتوقف وسائل الإعلام اليمينية، من جي بي نيوز إلى ديلي ميل، عن الكتابة والتحريض العنصري، اللاإنساني واللا أخلاقي في مجتمعات تعيش في هذا الزمان من التاريخ، ووصفت المهاجرين – الذين تفترض بأنهم مسلمون – بـ ”سرب جراد“ يغمر حدود المملكة ويأخذ الوظائف والإسكان. «حتى الهيئة المكلفة بتحديد وحماية الأقليات العرقية اعتمدت استثناءً واضحا للغاية في حالة معاداة الإسلام. وكذلك حرصت لجنة المساواة وحقوق الإنسان على التحقيق مع أعضاء حزب العمال عن تهمة معاداة السامية، التي تبين بعدها أنها ادعاءات مقصودة بلا أدلة ولا صحة لها واستخدمت حجة لتصفيات داخلية، وهذه اللجنة رفضت إجراء أي تحقيق في معاداة الإسلام الموثقة جيدا في حزب المحافظين على الرغم من تلقي ملف من المجلس الإسلامي في المملكة يحتوي على مزاعم بالتعصب من 300 شخصية في الحزب.

على صعيد العنف والشغب الذي قادته قوى اليمين والعنصرية ومارسته في الاعتداء على الأفراد، دون أدلة أو شواهد تستدعي ذلك، وأصبحت هذه الممارسات تواجه المهاجرين عامة والمسلمين خاصة، يصحبها تخريب الممتلكات العائدة للمهاجرين أو القائمة لصالح الأقليات، مثل دور العبادة أو بعض أماكن اللجوء وفنادق الإيواء، وحتى الأسواق والمحال التجارية أو الخدمية.. وبالتالي توسعت الاتهامات وإعلان جهات لعبت دورها في هذه الموجات العدائية والعنصرية، إضافة إلى الحزب المهزوم والأحزاب اليمينية المتطرفة الأخرى.

حتى الأمير هاري، ابن الملك الأصغر، هاجم ما وصفها بالمعلومات المضللة على وسائل التواصل الاجتماعي خلال قمة حول المسؤولية الرقمية، ملمحا لدور خارجي، وملقيا اللوم على الأخبار المزيفة في إثارة الفوضى، موضحا أن «ما يحدث على الإنترنت في غضون دقائق ينتقل إلى الشوارع، والناس يتصرفون بناء على معلومات غير صحيحة».

شهدت المملكة المتحدة تصاعداً ملحوظاً في أعمال العنف من أقصى اليمين ضد المسلمين، لأنهم الصوت الأعلى في إدانة الإبادة والعنصرية وانتهاك حقوق الإنسان والمطالبة بالحرية والعدالة والسلام والأمن، ما أثار مخاوف كبيرة لديهم من زيادة حوادث «الإسلاموفوبيا» والاعتداءات العنصرية وأعمال الشغب الإرهابية.

أجرت منظمة «Muslim Census» استطلاعا أظهر أن 92% من المسلمين يشعرون بأنهم أقل أمناً في حياتهم اليومية، وهو ما يعكس تماهي الحكومة العمالية الجديدة بسلوك من سبقها من حكومات المحافظين في تشويه سمعة المسلمين والمهاجرين عموما والمعارضين لجرائم الحرب والإبادة الجماعية، رغم التصريحات اللفظية والوعود الانتخابية بالتغيير.

لن نكون غير مباليين أبدًا

د. وطن العبد ـ طبيب وكاتب فلسطيني ـ كوبا

بهذه الكلمات بدأ الرئيس الكوبي كلمته في أول فعالية تضامنية مع نضال الشعب الفلسطيني؛ كوبا تحمل إرث نضالي عميق في تاريخ التضامن الاممي الذي يتجاوز الحدود والكلمات فبعد ستة أشهر فقط من انتصار الثورة الكوبية، أرسلت هافانا أول بعثة أممية إلى فلسطين/ غزة حيث التقى رئيس الوفد الرفيق الشهيد ارنستو تشي غيفارا بمجموعات المقاومة في حينه ونقل رسالة الثورة الكوبية بأنهم لن يكونوا غير مباليين أبدًا بما يحدث في فلسطين وسيكون دعم هافانا للثورة الفلسطينية غير محدود على جميع الأصعدة وبنفس الوقت على المقاومة الفلسطينية أن تعتمد على ذاتها وتطور من امكانياتها وأن تصنع القنابل والهاون وكل ما يدعم من صمود الشعب الفلسطيني.

يقول نعوم تشومسكي/فيجاي برشاد في كتابه On Cuba إن الثورة هي من صنيع البشر، والبشر هم نتاج زمانهم وقدراتهم وهذا التعريف هو أساس قيام الثورة الكوبية وبهذا المبدأ وفهمه العميق آمن الكوبيين بأنه بدون أممية لا توجد ثورة كوبية والأممية تعني أن ندفع ما علينا من ديون للإنسانية وهي أممية غير مشروطة ولا تنتظر مقابل.

فلسطين وثورتها حظيت دائما باهتمام عالي من الكوبيين وكانت من أولى محطات اهتمام القيادة الثورية وعملت كوبا بتحويل كل منصة أممية وكل مشاركة لها على صعيد عالمي لمنصة للحديث والدفاع عن فلسطين ويأتي هذا من قناعة الكوبيين بوحدة المصير والنضال. ساهمت كوبا بتعليم العديد من الفلسطنيين في مختلف المجالات العلمية وحتى الكادرية الحزبية ليساهم خريجي كوبا بوضع ولو ذرة رمل في سبيل الثورة الفلسطينية.

بعد السابع من أوكتوبر وجه الحزب الشيوعي الكوبي كل قواعده لعمل تحركات جماهيرية لدعم نضال الشعب الفلسطيني، الامر الذي لقي دعما جماهيريا واسعًا من مختلف قطاعات الشعب، فكان أكثر الفعاليات تأثيرا في نفوس طلبة فلسطين في هافانا هو دعوتهم للقاء مع الرئيس الكوبي ميغيل دياز كانيل الذي أراد ان يستمع لاحتياجاتهم واخبارهم، الأمر الذي لم يفعله أي رئيس في العالم، اللقاء الذي أثر في الطرفين على حدٍ سواء حيث استمع الرئيس بعناية لجميع الطلاب وكان لقاء أب بأبناءه أكد من خلاله على أن دعم نضال وصمود الشعب الفلسطيني لا ينبع فقط من كون القضية الفلسطينية عادلة ولكن القضية الفلسيطينة هي إحدى وصايا الراحل فيديل كاسترو، في كل مرة يتحدث كانيل عن فلسطين يأتي على ذكر هذا اللقاء وكيف أن أحد الطلاب قد طلب منه إرسالهم إلى غزة ليكونوا مع شعبهم ويدعموا صمودهم وكانت اجابته أن كوبا ستبقى ترعاكم وتقدم لكم كل ما تحتاجونه من علوم لخدمة قضيتنا جميعا.

كانت هذه الفعالية الاولى التي فتحت بعد ذلك العديد من الفعاليات ليس فقط على الصعيد المحلي بل الدولي حيث حولت كوبا كل فعالية أو نشاط لمنصة للحديث عن فلسطين، فقد تم تنظيم مسيرة مرت من امام السفارة الامريكية في هافانا وكانت الوحيدة في العالم التي كان يقودها رئيس الدولة.

الفعاليات التضامنية تتعدى الصعيد الرسمي الكوبي بل هو احساس مشترك بين الغالبية العظمى من الشعب الكوبي فكما ذكرنا سابقا الكوبيين قد عانوا ولفترات طويلة من احتلال واليوم يتعرضون لإبادة جماعية صامته من خلال الحصار الاقتصادي والعقوبات القاسية وعلى الرغم من هذا فقد ابدت كوبا استعدادها لاستقبال جرحى فلسطينيين في مستقشفياتها وايضا قدمت أطنان من الادوية والمستلزمات الطبية للقطاع الامر الذي لايفهمه العديد من الناس أنه كيف لبلد يعاني من الحصار والاوضاع الاقتصاديه السيئة أن يشارك شعبا يبعد عنه أكثر من 11 الف كم لاتجمعه معه لا لغة ولا دين هذه الكمية من الادوية أو حتى أشكال التضامن والدعم الذي تقدمها الثورة الكوبية للثورة الفلسطينية.

إن الشرح أو السبب بسيط جدا، وهو أن الكوبيين يطبقون بالمعنى الحرفي لتعريف الاممية (Hiperinternationalism) المكثفة والذي باعتقادي أنه الرد الطبيعي للامبريالية المكثفة (Hyperimperialism) الذي يعني بالضرورة أننا كأحزاب يسارية وتقدمية علينا أن نكون أكثر أممين وأن نجد اقل القواسم بالحد الادنى لتعزيز مستوى التعاون والدعم الثوري المتبادل حيث أن الصهيونية هي أحد اشكال أو نتائج أممية الامبريالية والتي بالاعتقاد الغالب تعيش مرحلتها الأخيرة الاخيرة ولهذا نرى باليوم هذه الكمية من الاجرام في ارتكاب الابادة ضد الشعب الفلسطيني.

إن نضال الشعب الفلسطيني هو جزء من نضال الشعوب ضد الصهيونية والامبريالية، وعامل النضال الاكثر قوة هو كرهنا لاعداءنا هذا ما تتركه لنا الثورة الكوبية.

فنزويلا: الشعب يجدد لرئيسه والإمبريالية الأمريكية تجدد عدوانها

إسحق أبو الوليد ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ فنزويلا

جرت الانتخابات الرئاسية في فنزويلا في الثامن والعشرين من شهر تموز الماضي وقد تمت إعادة انتخاب الرئيس ماذورو لست سنوات قادمة بفارق مليون ومئتي ألف صوت عن مرشح المعارضة الكهل أدموندو غونسالس، الذي كما كان متوقعاً لم يعترف بنتيجته الانتخابية، ودعا جمهوره « للنزول إلى الشوارع لتفريغ غضبهم والتعبير عن رفضهم للتزوير وسرقة النصر الانتخابي.

هذه ليست المرة الأولى التي ترفض فيه المعارضة اليمينية الفاشية والخاضعة لمشيئة البيت الأبيض الاعتراف بنتائج الانتخابات، بل يمكن القول إنها لم تعترف بأي من نتائجها منذ رحيل القائد البوليفاري الراحل اغو شافيز. السبب لا يعود في الواقع «للتزوير «كما تدعي قيادات هذه المعارضة ومن خلفها الإدارة الأمريكية بل يعود لعدم اعترافهم أصلاً بالنظام وبالدستور البوليفاري. وقد ازدادت أوهام المعارضة بإمكانية عودتها للسلطة وخاصة بعد رحيل مفجر الثورة ومؤسس أول دولة بوليفارية في أمريكا اللاتينية..

ففي هذا السياق عملت الفئات اليمينية الأكثر تطرفاً وفاشية بكل الوسائل لنزع الشرعية عن الانتخابات وعن النظام الانتخابي، منذ أن رشح نيكولاس ماذورو نفسه، بناء على وصية الراحل شافيز، ولم يعترف في حينه منافسه راذونسكي كبريليس، في تلك الانتخابات نيسان ٢٠١٣ بفوز نيكولاس ماذورو كرئيس منتخب. هذا الرفض ترافق أيضاً مع أعمال العنف والقتل ونهب المحلات التجارية وحرق مقرات الشرطة والبوليس ونهب وتخريب بعض مؤسسات الدولة الغذائية، وسقط في أعمال شغب ٢٠١٣ العشرات بين قتيل وجريح, كما سقط في أعمال الشغب بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات في الشهر الماضي خلال يوم واحد أكثر من٢٥ قتيلاً، من المواطنين وعناصر الأمن والجيش.

وقد فشلت هذه القوى الفاشية هذه المرة أيضاً، فشلاً ذريعاً، كما في المرات السابقة، ليس بسبب التأييد الشعبي فقط بل أيضاً بسبب التأييد الكامل لشرعية الرئيس المنتخب من قبل الجيش والقوات المسلحة وكافة الأجهزة الأمنية التي تصدت بصلابة وبقبضة حديدية للقوى الفاشية التي ثبت أنها كانت مجهزة ومعدة مسبقاً من قبل لتنفيذ « انقلاب على الشرعية، لعبت فيه وسائل التواصل والإعلام الرجعي دوراً مركزياً « كما صرح بذلك الرئيس المنتخب نيكولاس ماذورو: إن الإدارة الأمريكية ومعها الإمبريالية والصهيونية هي المعني الأساسي بإشاعة العنف والفوضى في البلاد كمدخل للتدخل المباشر بحجة «إنقاذ الديموقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان». الإمبريالية الأمريكية، ومعها كافة القوى الرجعية في القارة، ناصبت مبكراً العداء للثورة البوليفارية منذ أن فجرها، في الرابع من شباط عام١٩٩٢ القائد الراحل اغو شافيز بتمرده العسكري على حكم الرئيس اليميني الراحل كارلوس أندرس بيرس.. هذا العداء المستحكم للثورة يعود أيضاً لسبب آخر يتمثل بإخراج فنزويلا، ولأول مرة منذ تحريرها من

قبل سيمون بوليفار، من المعسكر الإمبريالي ومن الحضن الأمريكي الصهيوني، واحتلالها لمكانة مركزية في قوى الثورة والتحرر في القارة والعالم، ولأنها رسمت بوضوح طريق المستقبل، طريق التحرر والتقدم والاشتراكية، للشعب الفنزويلي وشعوب أمريكا.

هذا الفوز الانتخابي الذي حققه الرئيس نيكولاس ماذورو، يمنح الحزب الاشتراكي الموحد فرصة جديدة وربما الأخيرة لإجراء الإصلاحات المطلوبة، وفي مقدمتها مكافحة الفساد، وخاصة في الأجهزة الحكومية، والقيام بحلول للأزمة الاقتصادية تنصف فيها العمال والموظفين والشغيلة، وليس على حسابهم حيث بات من الملح رفع سقف الأجور بما يتماشى وتكاليف السلة الغذائية الشهرية التي تقدر بـ ٥٠٠ دولار كحد أدنى، في الوقت الذي يحدد القانون الحد الأدنى للأجور الحالية بـ ٧٥ دولاراً، مع العلم أن الحد الأدنى للأجور في عهد الرئيس الراحل اغو شافيز كان من بين أفضل الأجور في القارة حيث وصل إلى ما يقارب الـ٥٢٠ دولاراً. صحيح أن سبب تآكل القدرة الشرائية للنقد هو الحصار المالي والعقوبات غير الشرعية التي فرضها البيت الأبيض من طرف واحد ما أدى إلى تضخم مالي وتطور إلى ما يعرف بفوق التضخم الذي مر به الاقتصاد الفنزويلي.. ولكن هذا لم يكن السبب الوحيد رغم أنه السبب الأهم. في هذا الصدد صدر عن مصادر حكومية رسمية وأخرى صحفية غير رسمية أن خسارة الخزينة والبنك المركزي وشركة النفط الوطنية مئات آلاف الملايين من الدولارات بسبب السرقات والنصب لوزراء بارزين في الدولة. وهذا يعود إلى الشللية في المؤسسات الحاكمة وعدم الرقابة والإفلات من المحاسبة والعقاب، مما شجع ويشجع على التمادي في هذا السلوك وتعميقه إلى درجة يصعب مكافحته والقضاء عليه، وأخذ يتطلب « ثورة داخل الثورة».

إن الأجواء ما زالت ملبدة ومتوترة والأعداء يتربصون ويتحينون الفرص لإعادة الكرة لأعمال العنف والشغب بدعم كامل من القوى الإمبريالية والصهيونية. هذا الوضع وهذه المرحلة تتطلب إعادة الثقة الشعبية بعملية التغيير الثوري، من خلال البدء بإصلاحات ملموسة تبدأ بتغيير ليس فقط الطاقم الحاكم بل بأسلوب الحكم وإعطاء الحزب الاشتراكي الموحد وحلفائه في القطب الوطني الكبير (سيمون بوليفار (مقاليد الحكم الحقيقية وعدم التعامل معهم كآلة انتخابية فقط.

إن لم يتم استغلال هذا الفوز، بغض النظر عن حجمه، إلى أقصى الدرجات لتطوير أدوات الحكم بما يخدم الشعب ويخرجه من الأزمة الاقتصادية الحالية، وهذا ممكن إذا توفر القرار السياسي الصارم، ربما لا تأتي فرص أخرى، وتذهب» الثورة» في مهب الريح.

«إسرائيل» والعودة لنهج الإغتيالات محاولات تحقيق انجاز

علي بدوان - كاتب سياسي فلسطيني - سورية

نقف اليوم أمام جملة عناوين غاية في السخونة بعد التحوّلات النوعية الأخيرة التي زادت من المفاعيل والتفاعلات الهائلة الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط، وفلسطين على وجه التحديد، وذلك منذ تشرين الأول/أكتوبر 2023 في قطاع غزة، وامتداداً إلى عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة، خاصة شمال الضفة الغربية في جنين وطولكرم ومخيماتهما وريفهما.

مستجدات ساخنة

فقد دخلت الأمور والمستجدات السياسية نفقاً جديداً مع اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران، فعملية الاغتيال وفي طهران بالذات، وبما أحاطَ ومازال يُحيط بها جملة من الألغاز و«الطلاسم»، جعلت من قنوات التفاوض غير المباشرة لترتيبات وقف النار وتأمين (صفقة التبادل) تنتكس، وقد تكون تلك الانتكاسة طويلة زمنياً.

الولايات المتحدة ومصر وقطر، وكما تُشير مصادرهما أكدت كل منهما أكثر من مرة أنهما قادا مرحلة صعبة لأشهر من المحادثات غير المباشرة، وكان لهما دور مباشر وأحياناً من خلف الكواليس بهدف تأمين الوصول لوقف النار، لكن «ما بات» يُعرَف بـــ «صفقة» التبادل أصبح في مهب الريح، لدرجة نستطيع القول عندها: «إنَّ مفاوضات الصفقة انتهت تقريباً مع عمليتي الاغتيال اللتين وقعتا مؤخراً..؟

فمع عملية اغتيال إسماعيل هنية وفؤاد شكر (الحاج محسن)، باتت كل الرهانات وكأنها «مُعطّلة» بشأن صفقة التبادل وباتت معها القناتين المصرية والقطرية شبه معطلتين، بل قد تندفع الأمور نحو صراع أوسع نطاقاً، وعودة لهيب النار إلى درجة اشتعال عالية من جديد في العدوان على قطاع غزة. وهنا، ووفق مصادر مختلفة نشرتها مؤخراً «الصحف الإسرائيلية» أنَّ «إسرائيل تستعد لأي سيناريو عسكري ومواجهة متوقعة مصدرها إيران وحزب الله».

إن «إسرائيل» ووفق ما جاء به، وقاسه الخبير في شؤون الشرق الأوسط، أندرياس كريج، وهو محلّل عسكري ومحاضر أول في الدراسات الأمنية في «كينغز كوليدج لندن»: قوله «حتى قبل اغتيال إسماعيل هنية لم تمنح الحكومة الإسرائيلية، وخصوصاً (بنيامين) نتنياهو، أي ثقة للوسطاء خلال الأيام والأسابيع القليلة بل الفترات الماضية».

وبالمنطق، وفي الساعات التي أعقبت اغتيال إسماعيل هنية في طهران، كيف ستستقيم الأمور على سكة تفاوضية غير مباشرة تحت نار الاغتيالات، على حد تعبير رئيس الوزراء القطري، محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، الذي شكك في نجاح المحادثات المستقبلية. وتساءل عبر منصة «إكس»: «كيف يمكن أن تجري مفاوضات يقوم فيها طرف بقتل من يفاوضه في الوقت ذاته..؟

حقيقة، لقد كان نتنياهو ومنذ فترات الحرب الأولى ضد شعبنا في قطاع غزة وعموم مختلف مناطق الضفة الغربية، يُمارس لعبة التكتيك، ويناور طوال الوقت، وآخر ما «تفتقت به عبقريته» كان في وقتٍ التقى وسطاء مصريون وقطريون وأميركيون، مع «مفاوضين إسرائيليين» قبل أسبوع في روما من اغتيال إسماعيل هنية.

تكتيك نتنياهو

فنتنياهو لا يريد لا صفقة، ولا غيرها، حتى لو تم قتل كل الأسرى أو الرهائن «الإسرائيليين» (وفق عقيدة هانيبال)- بل كان يلعب لعبة التكتيك بوضع العصي في دواليب أي تفاهمات لإتمام صفقة تبادل، تارة باشتراطاتٍ جديدة، وتارة بإطلاق تصريحاتٍ على عواهنها، وتارة بالضغط العسكري على القطاع واستهداف المواطنين وعموم المدنيين، وتزويد القطاع بـــ (القطارة) من مواد الإغاثة التي يتم إدخالها للقطاع عبر وكالة أونروا وعموم المؤسسات الإنسانية.

وكل ذلك في خطوات سياسية مدروسة من قبله، فيما كان يَعِدُ العدة لنسف كل شيء من خلال عملية الاغتيال الملعوبة جداً والتي جرت بحق إسماعيل هنية في طهران وفؤاد شكر في الضاحية الجنوبية في حارة حريك، وهو ما يفتح الأمور على أبواب جهنم في صراع إقليمي لن تكون مختلف الأطراف بعيدة عنها وخاصة إيران باعتبارها كانت مُستهدفة أيضاً حين وقعت عملية الاغتيال فوق ترابها، ومسّت سيادتها الوطنية. وسيكون مشابهاً لهجوم إيران السابق على «إسرائيل»، في 13 نيسان/أبريل 2024 الماضي، لكن ربما سيكون أكبر في حجمه وأن يكون مشتركاً مع حزب الله، الذي يسعى وفق تصريحات قادته اليومية للرد على اغتيال «إسرائيل» للقائد الكبير في الحزب، فؤاد شكر (الحاج محسن).

لقد كان إسماعيل هنية بالطبع المفاوض الرئيسي عبر قناة الاتصال غير المباشرة القطرية المصرية، لكنه لم يكن قادرًا على اتخاذ أي قرارات دون موافقة الجميع من حوله من المكتب السياسي لحركة حماس. وكان كشخصية بمثابة جسر، وكان يريد بالفعل إنجاز صفقة تبادل، وكان يتصرف بحسن نية وقادرًا على معالجة بعض الصعوبات أثناء عملية الوساطة، وقد يكون ذلك عنصراً إيجابياً دفع بنتنياهو لإعطاء توجيهات اغتياله من قبل «إسرائيل».

العطب أصاب قناة التفاوض غير المباشر

من هنا، إنَّ أسوأ السيناريوهات المُمكنة تأتي مع العطب الذي أصاب الأمور بشأن استئناف محادثات الهدنة، فالأمور وكأنها دخلت حلقة خطيرة، وفي خضمّها لن تكون هناك أي محادثات لإطلاق سراح الرهائن، أو لوقف إطلاق النار.

فنحن الآن أمام مرحلة اختلطت بها الأمور، وباتت أكثر استعصاء مع اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية. ونتنياهو لا يريد حلاً، بل يريد إعادة خلط الأوراق، ليستهدف كل الفلسطينيين، بما في ذلك السلطة الوطنية الفلسطينية، الواقعة بدورها تحت الضغط «الإسرائيلي». وتحت ضغط مجموعة من التوجهات والقرارات التي تم اتخاذها بالقراءة الأولى في الكنيست، ومنها اتخاذ قرار الكنيست برفض قيام دولة فلسطينية على النقيض من إجماع الأسرة الدولية.

وللمزيد من الإفصاح والإيضاح، فنحن الآن أمام جملة مما تختزنه العناوين التي ترتبت على قيام حكومة نتنياهو والطاقم الأمني والعسكري الضيق (الكابينيت) بتصعيد العمل العدواني وحرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، فضلاً عن دور المجموعة الأمنية الملتصقة بنتنياهو وكاتمة أسراره، والتي قامت باتخاذ سلسلة من الإجراءات الأمنية والعسكرية على الأرض، وكان على رأسها استهداف الشهيد إسماعيل هنية (أبو العبد) في العاصمة طهران، واستهداف الضاحية الجنوبية من بيروت في حارة حريك واستشهاد فؤاد شكر (الحاج محسن)، في مغامرة «إسرائيلية» محسوبة باعتبارها تستند للموقف والدعم الأمريكي، وحتى معرفة الإدارة الأمريكية المسبقة بعملية الاغتيال كما أشارت المطبوعات الأمريكية اليومية، و»الإسرائيلية» وذلك بعد توفير الدعم والغطاء الأمريكي لشخص نتنياهو وتحضير الاستقبال والخطاب الترويجي له في الكونغرس الأمريكي، وهو خطاب «التزمير والتطبيل» بالرغم من الاحتقان الدولي الهائل ضد نتنياهو وسياساته وضد ما يجري من عملية إبادة بحق الشعب الفلسطيني وفق محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات.

إن خطاب الكونغرس الذي ألقاه نتنياهو قبل يومين من عمليتي الاغتيال بين طهران وبيروت، جاء بعد أن تم تحشيد عدد وافر من أعضاء مجلس النواب (عددهم 435) الذين حضر بعضهم جلسة الكونغرس (الكونغرس 100 عضو) والهدف كان الترويج لنتنياهو والتصفيق له إلى أبعد الحدود، حيث بلغت حالات التصفيق 53 مرة أثناء إلقاء نتنياهو كلمته التي كانت تخفي ما وراءها من خطة اغتيالات تمت بعد عودته للمنطقة. فالتواطؤ بل والمشاركة الأمريكية واضحة في أداء نتنياهو، على عدة جوانب:

الجانب الأول، أن واشنطن والإدارة الأمريكية الحالية (إدارة الرئيس جو بايدن وخليفته كاريلا هاريس المُرشحة للسباق الرئاسي في وجه الرئيس السابق دونالد ترامب) تريد توفير الدعم السخي لنتنياهو بكل المجالات، في سياق الدعم والإسناد المطلق للسياسة «الإسرائيلية» بوجه المرشح المنافس للحزب الديمقراطي والمزاودة عليه (أي بوجه الجمهوريين ومرشحهم الرئيس السابق دونالد ترامب) برفع مستوى الدعم لـــ «إسرائيل» بما في ذلك إعادة إرسال صفقة القنابل الفتاكة لـــ «إسرائيل».

الجانب الثاني، أن الإدارة الأمريكية متورطة بعمليتي الاغتيال اللتين تمتا من خلال (المطمطة) في صفقة التبادل وفي تضييع الوقت الذي كان فيه نتنياهو يناور ويتكتك ويفتعل الشروط اليومية ويعطل مسار (صفقة التبادل)، وواشنطن تُسايره، بل وتعمل معه على خطة تنفيذ عمليتي الاغتيال لكسر ظهر الفلسطينيين وإجهاض معنويات الناس وإنزالها للحضيض.

والجانب الثالث، إنَّ واشنطن وفق الإدارة الحالية، ترى ضرورة تحقيق إنجاز لتلميع صورة نتنياهو في مجتمعه بعد فشل عملية الحسم أو الوصول لقيادات ميدانية فلسطينية في القطاع، وبالتالي إعادة إنتاجه في مجتمع كيان الاحتلال دون وقوع هزات تمس مكانته، أو الائتلاف الحكومي الحالي حيث تعيش «إسرائيل» مرحلة من الاعتمالات الداخلية نتيجة تركات الشارع من قطاعات تتزايد كل يوم بحدود معينة وهي تنتقد نتنياهو وأداء حكومته.

ختماً بالعودة لنهج الاغتيالات

وفي إغلاقنا لملف المادة المرفقة، نقول إن نتنياهو يعود «إسرائيلياً لنهج الاغتيالات، ويُماطل ويسعى لعدم إيقاف الحرب، لأسباب لها علاقة بشخصه وما تبقى له من عمرٍ سياسي بالرغم من أثقال تلك الحرب على كيان الاحتلال اقتصادياً وعسكرياً وبشرياً وخسائرها الباهظة التي لا تتوقف.

ولأسباب أيديولوجية لها علاقة بحلفائه من المهووسين المتطرفين، لذلك يستمر في حربه ضد الشعب الفلسطيني والتي وصلت إلى مستويات حتى حرب الجوع والإبادة بتعطيش الناس وحرمانهم من مقومات الحياة عبر تعطيل عمل المؤسسات الدولية الإنسانية وشل عملها في القطاع.

الكيان كمعسكر
يقلقه استجلاب مستوطنين أكثر من الاقتصاد!

د. عادل سمارة ـ فلسطين المحتلة

لعله كائن عجيب، لو قلنا: معسكر، فليس للمعسكر اقتصاد، لأن شغله الحرب والعدوان ونفقاته على سيده. ولو قلنا مستوطنة رأسمالية بيضاء لوجدناها غير مثيلاتها يشاركنها العدوان لكنهن لسن تابعات لسيد كبير. ولو قلنا كيان متطور تكنولوجياً لوجدنا كل ما لديه امتداداً للسيد الغربي إلى حد المنح والتبرعات. ولأنه يحتل، الضفة والقطاع والجولان، إضافة لما اغتصبه عام 1948 فهو كيان استعماري، كيان رابح مدعوم تابعاً كان أو متبوعاً!

ويكفي للتوضيح أن كل مستوطنة رأسمالية بيضاء كانت لها دولة أم «متروبول» أما هذا الكيان فله متروبول هائل، إنه جميع النظام الرأسمالي العالمي، بل ذات زمن كان السوفييت ضمن ذلك المتروبول وخاصة حين زودوه بمليون مستوطن عشية انهياره. أما معظم الأنظمة الصهيونية العربية فهي في ذيل ذلك المتروبول أيضاً. وليس هذا فقط فهو كان قاعدة للإمبريالية، بل استثمار إستراتيجي لها واليوم هو محمية ولكنه ما زال يقوم بدور أربحية الاستثمار الإستراتيجي طالما وسّع محيطه بالأنظمة التطبيعية العربية. ولذا يقاتل المركز الإمبريالي وبعض الأنظمة العربية دفاعاً أو نيابة عنه. لكل هذا، يصعب القول «الاقتصاد الإسرائيلي». ولكن لا بد من التجاوز لتسهيل التحليل.

هذا الاستثمار الإستراتيجي ملخصه أن الكيان لا يكلف المركز الإمبريالي سوى قروش ضئيلة مقابل دوره في تركيع، هزيمة، احتجاز تطور، تسهيل تقشيط بلدان عربية لثرواتها. كيف لا؟ وذلك المركز/ الغرب هو خالق كراهية اليهود واللاسامية، ولكن ما يُستجلب من الوطن العربي يجعل هذا «اليهودي» جميل جداً. إنه المال وكما قال السيد المسيح: « لا تعبدوا إلهين: الله والمال».

فيما يخص كون الكيان استثماراً إستراتيجياً لأنه من رئيس الوزراء حتى عامل النظافة في خدمة الغرب بينما في الوطن العربي الأنظمة في الخدمة والشعب لا، والأنظمة ليست دائمة، لذا فالكيان أضمن حتى حينه في تسهيل السيطرة على :

أولاً: النفط والغاز (عموم الهيدرو كربون) ليس فقط لحاجة أمريكا لها بل كي تتحكم بتصريفها وسعرها الدولي وبالدولار وثروات أخرى، ولعل في تحكم أمريكا بنفط العراق أوضح الأدلة حيث تتحكم أمريكا بسعر وتصريف النفط أكثر من أوبك.

وثانياً السيطرة على الأسواق العربية وخاصة أسواق البلدان التي تتمتع بسيولة مالية وشره استهلاكي وتصنيع ضعيف لذا هي ذات قدرة استهلاكية هائلة وخاصة في عالم كثرت فيه الأمم المفتقرة للسيولة المالية مما يعطي هذه البلدان ميزة نسبية عالية.

وثالثاً: السيطرة على المعابر الثلاثة التي يحتاجها العالم براً وبحراً وجواً.

إن 30% من حجم حاويات الشحن في العالم يمر عبر قناة السويس و 12% من إجمالي التجارة العالمية تتكون من البضائع التي تمر عبر قناة السويس وقد رأينا هذا في عام 2021 عندما كان هناك هذا الحجم الكبير الذي تعرفه من وسائل الإعلام فضيحة عندما علقت سفينة أمريكية في قناة السويس جاء ذلك في الوقت الذي كان فيه العالم يخرج من وباء كوفيد 19 وحصلت حينها كل تلك الصدمات لسلاسل التوريد، ويمكننا أن نرى مدى حساسية الاقتصاد العالمي حتى عندما تتحدث عن طرق الشحن فإننا لا نتحدث فقط عن قناة السويس بل أيضًا عن البحر الأحمر باتجاه الجنوب حيث يوجد أيضًا باب المندب، وهو طريق مهم جدًا قبالة الساحل مباشرة. هذا إذا لم نذكر مضيق جبل طارق رغم ضعف التحكم المغربي فيه.

المهم أن البر والبحار والأجواء العربية بوسعها شل العالم إذا كانت هناك دولة عربية مركزية.

وهذا يكشف لنا أهمية الكيان في تفكيك الوطن العربي واستقطاب أنظمة عربية للتطبيع.

رابعاً: وجود فوائض مالية في هذه البلدان لا تقوم باستثمارها، بل تُرصد في صناديق سيادية بمعزل أين؟ لكل هذا ترى الإمبريالية أنه محظور وجود منافس لها في السيطرة على هذه المنطقة نظراً لكونها لا تزال مفتوحة على مصراعيها للمركز الإمبريالي، بمعنى أن سيطرة قوة أجنبية أخرى على موارد هذه المنطقة الحرجة يمكن أن يشكل تهديداً كبيراً للغرب وخاصة للولايات المتحدة.

فيما يخص دور الكيان، يقول الاقتصادي المعروف مايكل هدسون: «عملت في معهد هادسون حوالي خمس سنوات من 1972 إلى 1976، وعملت عن كثب مع عوزي أراد الإسرائيلي هناك. عوزي وأنا قمنا برحلتين إلى كوريا واليابان للحديث عن المالية الدولية، لذا كانت لدينا فرصة جيدة للتعرف إلى بعضنا البعض. في إحدى الرحلات، توقفنا في سان فرانسيسكو من نيويورك، وكان هناك تجمع للناس لمقابلتنا، وجاء أحد الجنرالات الأمريكيين وقال لعوزي: «أنت حاملة الطائرات المدرعة لدينا هناك، نحبك». رأيت عوزي يتوتر ويصبح محرجًا ولم يكن لديه ما يقوله» والذي كان مستشار رئيس وزراء الكيان لشؤون الأمن القومي. لعل هذا يؤكد قولنا بأن الكيان بنية عبودية للغرب لكن كليهما بحاجة حتمية للآخر، وهذا يفسِّر مماحكة نتنياهو ضد بايدن، وليس تناقضهما.

كلفة وخسائر الحرب:

ليس من السهل تقييم حدث جارٍ مما يحصر التحليل في توفير مؤشرات عامة، فليس الأمر تقييم حدثٍ انتهى وبالتالي يُحاول المرء التأريخ له. صحيح أن للاقتصاد مؤشرات تجعل من السهولة بمكان البناء عليها، ولكن هذه معرضة للتغير نتيجة أمرين:

الأول: تغيرات الواقع أو الحدث السياسي.

والثاني: حدود كون الاقتصاد قيد الدراسة هو من الدول المميزة لدى المركز الغربي الإمبريالي أم لا لأن لها معاملة خاصة.

بلغ الإنتاج الأهلي الإجمالي للكيان عام 2023 ما قيمته 525 مليار دولار، ولإيران 413.5 مليار دولار، ولأوكرانيا 160,5 ولمصر مليار دولار وهذا يبيِّن دينامية عالية لاقتصاد الكيان مقارنة بمصر ذات السكان ألـ 100 مليون وإيران بسكانها 80 مليوناً وطبعاً مقارنة بأوكرانيا التي تشبه حال الكيان من حيث الحرب.

ولكن هذه الدينامية التي تشبه المعجزة تتكشف عن كون الكيان استثماراً إستراتيجياً يحظى من حيث المعلن بأكثر من 3 مليارات دولار هبة سنوية. ولكنه يحظى بتبرعات واستثمارات من معظم الجامعات الأمريكية الكبرى وهي استثمارات مالية وعلمية بحثية مدنية وعسكرية وخاصة معهد ماساشوستس حيث يُنقل للكيان آخر التطور العلمي في الغرب وخاصة في أمريكا. من هنا نرى أن المعجزة هي حالة وظيفية بدعم الغرب. فحتى عام 2010 كانت المساعدات الأمريكية والألمانية المعلنة أكثر من 130 مليار دولار.

ولكن على سبيل المثال، فقد تدفقت إلى الكيان إثر توقيع اتفاقات أوسلو 1993 أكثر من 100 مليار دولار بينما تم تحويل 4 مليارات دولار إلى المناطق المحتلة، لم تُوظف في قطاعات الإنتاج!

تشير تقديرات بأن :

«... الحرب ستكلف الكيان خسائر اقتصادية تقدر بنحو 400 مليار دولار ممتدة في النشاط الاقتصادي المفقود على مدى العقد المقبل - مما يهدد مستقبل إسرائيل الاقتصادي. بالنسبة لإسرائيل، فإن 90% من الصدمة الاقتصادية ستأتي من تأثيرات غير مباشرة: انخفاض الاستثمار، وتباطؤ نمو الإنتاجية، واضطراب سوق العمل.»

بل إن انخفاض الاستثمار مزدوج، أي انخفاض الاستثمار المحلي سواء لتردد رأس المال المحلي في الاستثمار أو خروج شركات محلية إلى الخارج، أو خروجها من السوق بإغلاق أبوابها. فبحلول 10 يوليو 2024، اضطرت 46000 شركة في إسرائيل إلى إغلاق أبوابها بسبب التأثير الاقتصادي للحرب، مما أثر على كل قطاع من قطاعات الاقتصاد تقريبًا. علاوة على ذلك، في 12 يوليو، أعلن ميناء إيلات إفلاسه بسبب الحصار البحري الذي فرضته اليمن مساندة لفلسطين، مما أدى إلى عدم رؤية أي نشاط اقتصادي أو إيرادات لمدة ثمانية أشهر إلى الخارج إلى جانب تردد الاستثمار الأجنبي وخاصة بعد ثورة الطلبة الشبابية الأممية في أمريكا وهم يمثلون طلبة الجامعات الكبرى هناك والتي هي صاحبة أضخم الاستثمارات في الكيان. ولكن السؤال الذي يلي هذه المعطيات: هل ستعود الاستثمارات بعد الحرب؟

إذا كان الأمر كما هو مألوفاً، فإنها ستعود بغض النظر عن الوتيرة لأن الإمبريالية معنية بهذه المحمية، بل بدور المحمية وخاصة على ضوء أن عديد الدول العربية تصر على التطبيع مما يؤكد للإمبريالية أن الكيان يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه. ولكن، هذا الأمر متعلق بدرجة كبيرة بما ستؤول إليه الحرب.

إن تباطؤ الإنتاجية هو أمر مؤكد لأن كثيراً من قوة العمل نفسها قد تحولت إلى مجالين:

الأول: امتصاص الاحتياطي العسكري إلى الحرب والذين بلغ عددهم في بداية العدوان 300 ألف، ويتم تبديلهم خلال مجريات العدوان.

والثاني: اضطرار كثير من العمال للبقاء في البيوت لرعاية الأولاد.

كما أن اضطراب سوق العمل متسبب عن أمرين:

الأول: كما أشرنا عن امتصاص قوة العمل للجيش وهذا اقتصادي.

والثاني: توقف قوة العمل الفلسطينية وهذا عامل قومي/ اقتصادي/ أمني/ أيديولوجي معاً.

فالشارع الصهيوني أخذ يرفض تشغيل الفلسطينيين بينما يقوم أصحاب الأعمال بتهريبهم خفية ووضعهم في بيوت لأكثر من أسبوعين دون عودتهم لزيارة اسرهم. وكثير من العمال الفلسطينيين يخشون العودة للعمل لأسباب أمنية وقيام الكيان بتعليق تصاريح العمل الفلسطينية ولذا يقوم الكيان بتعويض الفلسطينيين بعمال من الهند وتايلاند والمغرب وسريلنكا .

لذا انكمش اقتصاد الكيان في الربع الأخير من عام 2023، بنسبة 20% بسبب نقص العمالة في البناء وتعبئة أكثر من 300 ألف جندي احتياطي. وبينما لايزال الكيان يشهد نموًا اقتصاديًا بنسبة 2%، فإن هذا يمثل انخفاضًا عن النمو البالغ 6.5% في العام السابق للحرب.

تقول تقارير أخرى بأن:

«... من عواقب الحرب انخفاض الإنفاق الاستهلاكي بنسبة 27%، وانخفاض الواردات بنسبة 42%، وانخفاض الصادرات بنسبة 18% حتى نهاية عام 2023».

وهذه أمور طبيعية فانخفاض الاستهلاكية ناجم عن الشعور بمخاطر الحرب وهذا يقود بالضرورة إلى تراجع الواردات مهما كان المجتمع استهلاكياً، كما تنخفض الصادرات نظراً للتوقف في قطاعات الإنتاج. لكن القلق الذي ساد الكيان في توقع ردٍّ إيرانيٍّ على اغتيال الشهيد إسماعيل هنية ورد حزب الله على اغتيال الشهيد محسن دفع الشارع إلى هستيريا استهلاكية انتقلت حتى إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، وهذا يزيد الأزمة بمعنى زيادة الواردات دون تزايد الصادرات مما يزيد الأزمة الاقتصادية. وزيادة الواردات أو الحفاظ على وتيرتها يُنجي الكيان من صفقات تعاقد عليها قبل الحرب ولم يقم بتنفيذها بسبب الحرب، ولكنه لا ينجو من غرامات عدم تلبيته تعاقدات التصدير في حينها.

يظل الاستهلاك الخاص هو محرك أي اقتصاد رأسمالي، والذي تراجع إلى حد كبير ولكن حاولت السلطة تعويض ذلك سواء بالحرص على عائدات الضرائب أو:

«... قيام الحكومة بإنشاء صندوق قروض بقيمة 10 مليارات شيكل (2.7 مليار دولار أمريكي) وتقديم المنح للشركات التي تعاني من انخفاض حاد في المبيعات» لكن ظروف الحرب والمخاطر تجعل من الصعب التنبؤ بالأثر المالي الإجمالي للصراع، نظراً لعدم اليقين المحيط بمدته. ولذا:

«...قامت الحكومة مؤخرًا بزيادة الميزانية الوطنية بحوالي 19 مليار دولار أمريكي وتوقعت عجزًا بنسبة 6.6% للعام الحالي، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى النفقات المتعلقة بالحرب».

مجدداً إلى السؤال:

في حالة بلد طبيعي وبحجم الكيان وما يحيط به من طوق يُفترض، ولا بد أن يصبح مضاداً، فإن اقتصاد الكيان باتجاه ورطة خطيرة تُفضي في أفضل الأحوال إلى الاضطرار إلى بيع كثير من موجوداته لسداد الديون كما يقول الأمريكي والأوروبي اليوم لأوكرانيا، ناهيك عن تجارب أخرى كثيرة في العالم.

لكن الكيان كحالة مُعطاة عياناً هو معسكر للغرب عامة، ولذا، يحظى بهبات ومساعدات وتمييز وضمانات قروض وحتى إعفاءات.

سُأدلِّل على ما أزعم بمثالين متباعدين زمنياً.

الأول: كنت عام 1994 مستشاراً اقتصادياً للأونروا في القدس المحتلة وحينها قدمت الولايات المتحدة 10 بلايين دولار ضمانات قروض للكيان، هذا رغم تدفق استثمارات غربية إلى الكيان في نفس الفترة تحمُّساً لسوق واسعة يفتتحها «السلام» وطبعاً المقصود تغلغل الكيان تطبيعياً في الوطن العربي وما يحمله ذلك من فرص التسويق. وكان شرط إدارة كلينتون أن يتوقف الكيان عن توسيع المستوطنات في المحتل 1967. كان حينها لدى الأونروا 30 مراقباً في أنحاء

هذه المناطق وهم عرب وأجانب، وكانت تقارير الجميع أن الكيان لم يوقف توسيع المستوطنات فحظي بالأرض والمال معاً. ومن يدري إن كان قرض تغطية الضمان قد تحول إلى هبة أم لا.

والثاني: "أعلنت وزارة الخارجية الأميركية في 13 آب/أغسطس أن واشنطن وافقت على صفقة أسلحة بقيمة 20 مليار دولار لإسرائيل. وتم إخطار الكونجرس الأمريكي بالصفقة التي تشمل أكثر من 50 طائرة مقاتلة من طراز إف15- وصواريخ جو- جو متطورة وقذائف دبابات عيار 120 ملم ومدافع هاون شديدة الانفجار ومركبات تكتيكية. وقد يستغرق استكمال عقود الأسلحة سنوات، ومن غير المتوقع أن يتم التسليم الأول قبل عام 2026."

يوضح كلا المثالين طبيعة الكيان الاستيطانية العسكرية وطبيعة علاقته بالولايات المتحدة. وهذا يُربك التحليل الاقتصادي بمعنى أن العامل الحاسم في قراءة اقتصاد الكيان هو علاقته بالولايات المتحدة ودوره في الوطن العربي وليست ديناميته الاقتصادية الخاصة والتي رغم تطورها فهي أساس وباستمرار مدعومة مالياً وتقنياً من الخارج إما دعماً جزئياً أو كلياً. فكيف لك أن تفرز المقومات الذاتية عن الدعم الخارجي؟

لذا، فما يتدفق على الكيان من مساعدات واستثمارات ليست ضمن علاقات اقتصادية وسوقية بحتة بل هي سياسية/ إستراتيجية للإمبريالية في الأساس، وعليه تكون شروطها غير قاسية، وفوائدها ليست عالية، وحينما تتعثر عملية السداد تُعطى المرونة مما يجعل ديون الاحتلال وخاصة المترتبة على الحرب الحالية ديون علاقة سياسية بعمق تذهب إلى الإعفاء في حالات عديدة.

ولذا، لا تقلق سلطات الكيان كثيراً حين قامت شركات التصنيف الائتماني الدولية بتخفيض تصنيف اقتصاد الكيان بل تصنيف ديون الكيان في الأسواق إلى مستوى شبه خردة. فقد أظهرت الدراسات أن ما يسمى بعلاوة المخاطر هذه هي في الواقع شيء مُصطنع بالكامل وتمييزي، بل هو دائمًا علاقة سياسية، وتدخل فيها كل أنواع العوامل بما في ذلك التحيزات الاجتماعية.

صحيح أنه على الصعيد الداخلي هناك ارتباك في الحياة اليومية وتراجع في الخدمات لأن مختلف الميزانيات قد تغيرت بينما بقيت ميزانية الأمن والائتلاف الحاكم ثابتتين بحجة الحرب.

وهذا أمر علينا فهمه من باب أن الكيان بعد طوفان الأقصى واجه الحقيقة وهي أن اقتلاعه ممكن، فاسترخى ليتحكم به العسكر والدينية السياسية كما تريد- ولا قيمة حقيقية، حتى اليوم على الأقل، لمعارضي الحرب وحتى معارضتهم هي فقط لاستعادة الأسرى فقط.

وفي سياق هيجان الحرب والانتقام لا يكون أثراً لا للعلمانيين الذين يرفضون تحول الكيان إلى دولة دينسياسي، ولا لأهالي الأسرى ولا حتى للمحاسب العام في وزارة المالية الذي يطالب بميزانية مسؤولة لعام 2025 .

القلق على العنصر البشري لا الموارد:

مألوف بين الشعوب أن اليهودي هو أكثر حرصاً على المال وأكثر خبرة ومهارة في جمع المال وتشغيله وخاصة في الربا والسمسرة، لكن هذا في التاريخ المنفوي لليهود حيث يعتبرون أنفسهم منفيين دائماً كما كرر كثير من اليهود وخاصة الفيلسوف اليهودي من مدرسة فرانكفورت ثيودور أدورنو. 1903-1963. والذي أثَّر في الراحل إدوارد سعيد فلقَّب سعيد نفسه بـ «اليهودي الأخير» في تعبير عن لا ضرورة للوطن!

ولكن الحركة الصهيونية التي أُقيمت وقامت على الاستيطان بهدف مسبق للاستدوال وعلى ضوء قلة عدد اليهود في العالم ولكن تحكمهم بقلعة راس المال (روكفلر وروتشيلد ومورجان) وتشغيل كيانهم في خدمة رأس المال المعولم جعل الأهمية القصوى لدى الكيان هو العنصر البشري.

لذا، فإن كياناً مُتخماً بالمال وبالسلاح الأكثر فتكاً وحداثة في العالم كان معنياً بحروب صغيرة قصيرة وخارج جغرافيته المحدودة.

لكن واقعة طوفان الأقصى قلبت معظم هذه الأُسس، فكانت الحرب داخل جغرافيا الكيان، وأفقدته من القتلى أكثر مما فقده في كافة الحروب التي قام بها ضد الفلسطينيين والعرب الآخرين، وفقد قرابة نصف مليون غادروا الكيان إثر هذه الحرب. وعليه، فإن وفرت له الإمبريالية التمويل والتسليح وتجهزت للقتال نيابة عنه، إلا أنها لن توفر له العنصر البشري المطلوب وعليه، فإن تعويض الخسائر الاقتصادية ولو على المدى الطويل يبقى أمراً ممكناً للكيان سواء من الإمبريالية أو الصهيونية العربية.

لكن المفارقة، أن يكون السلاح الاقتصادي هو الذي سيحسم الصراع ولو بعد حين!

كيف؟

وهذا يفتح على مصير الصراع العربي الصهيوني؟ وخاصة على ضوء الاقتراب من توازن الرعب بمعنى أن الكيان الذي يملك السلاح النووي يواجهه المحور بتوفر أسلحة قادرة على تدمير مقارب للتدمير النووي الذي يُحدثه.

لذا، إن صحت معادلة توازن العرب تبقى معادلة تغير الواقع العربي.

لن أُطيل هنا، ولكن تجربة واقعة طوفان الأقصى على عظمتها قد أثبتت أن التحرير ممكن، ولكن بأدوات أخرى مما يجعل المقاومة المسلحة هي العمل الضروري لبقاء القضية حية على أن يتم شرطان آخران:

الأول: إعادة القضية إلى عمقها العربي والتخلص من المزاعم الخبيثة بأن الفلسطينيين قادرون وحدهم على تحرير فلسطين

والثاني: تغيير الواقع العربي بتفكيك الدول القُطرية لصالح الدولة العربية الواحدة.

إن إقامة الدولة المركزية الواحدة هو الذي يسمح للعرب بالتحكُّم في العالم من حيث الممرات المائية والطرق البرية والأجواء وتصدير الثروة. وبالتالي تمنع هذا عن كل من يدعم الكيان الأمر الذي يرغم حُماة الكيان على تسليمه كما حصل في حالة جنوب إفريقيا لأن المصالح الاقتصادية هي التي تتكلم أولاً وأخيراً.

كتب جورج أنطونيوس في بداية القرن العشرين بأن الصراع في فلسطين لن ينتهي إلا بإزالة طرف للآخر، وفي عام 1930 كتب كارل كاوتسكي بأن مصير دولة اليهود مرتبط بمصير الإمبريالية التي إذا طُردت من المنطقة يذهب معها. كيف لا، لأن قيام دولة عربية موحدة يعني بالضرورة اقتلاع الإمبريالية، كما كتب بهذا المعنى زبجنيو بريجنسكي بعد انتصار حزب الله 2006. وهنا مهمة الإشارة إلى أن أقل نسبة استجلاب أو مجيء مستوطنين إلى فلسطين كانت في السنوات الثلاث للوحدة المصرية السورية 1958-1961، ناهيك عن أن المستجلبين من الاتحاد السوفييتي ليسوا جميعاً يهود التابعية الدينية.

قد تقول لي، هذا مشوار طويل، نعم وتاريخي، لكنه ليس أطول من جزئه الذي مضى.

ماهيّة التّغلغل الصّهيوني في الذّهنيّة العدوانيّة الغربيّة

د. سامي الشيخ محمد ـ باحث أكاديمي ـ سورية

يرى البعض أنَّ الصّراع بين الغرب والشّرق في الماضي والحاضر يعود لأسباب اقتصاديّة صرفة، وأنَّ ما يُشاع عن أسباب عقديّة أيديولوجيّة مجرّد وهم لا أساس له من النّاحية الواقعيّة، في حين يرى آخرون بأنَّ جذر الصّراع دينيٌّ يتعلّق بالعقائد الدّينيّة المسيحيّة والإسلاميّة واليهوديّة، ويولون أهميّة كبيرة في نشوب ذلك الصّراع لليهود الصّهاينة ومعتقداتهم التّوراتية والتّلمودية، في حين يرى فريقٌ آخر بأنّ الصّراع بين الغرب المسيحيّ والشّرق العربي الإسلامي عبر حقبه المختلفة، ينطوي على عناصر اقتصاديّة تهدف للسّيطرة على ثروات الشّرق لصالح الغرب وبلدانه، وعلى عناصر أيديولوجيّة تتصدّر الفرضيّات العقديّة الدّينيّة موقعاً متميّزاً فيها،

من هنا يتعذّر الفصل بين ما هو اقتصاديٌّ وأيديولوجي، والدّليل على ذلك أنَّ الحملات (الصّليبيّة) الغربيّة على المنطقة العربيّة في العصور الوسطى، رفعت شعار الصّليب لمواجهة العرب والمسلمين وتخليص بيت المقدس من السيطرة العربيّة الإسلاميّة عليه – رغم تناقض تلك الحملة مع المبادئ الإنجيليّة المسيحيّة-، فطغت النّزعة الدّينيّة النّأرية على ثقافة الغرب المسيحيّ آنذاك. انظر «دانتي» يضع رموز الإسلام ومثقّفيه في الجّحيم، بينما يضع راحاب (بغي أريحا) في الفردوس، إلى جانب جميع شخصيّات التّوراة اليهوديّة، كذلك مشاهير الفنّ الأوروبّي رسموا لوحاتٍ فنيّة تبخس قَدْر الإسلام والمسلمين في فتراتٍ معيّنة. أيضاً الحملات العسكريّة الاستعماريّة الغربيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين على المنطقة العربيّة، ارتكزت من بين ما ارتكزت عليه على الدّراسات الاستشراقيّة عن العرب والمسلمين، حتّى إنَّ نابليون في حملته على مصر، وجّه خطاباً مكتوباً للمصريين يزعم فيه بأنّه صديقٌ للإسلام والمسلمين وبأنَّ الغرض من حملته هو الانتقال بمصر والمصريين من الظّلمة إلى النّور ومن الجهل إلى المعرفة، مع أنَّ حقيقة المواقف السّياسيّة الفرنسيّة من الإسلام والعرب المسلمين كانت على النّقيض ممّا ورد في خطابه تماماً، فقد أراد من وراء إظهار حسن علاقته بالإسلام والمسلمين إخفاء حقيقة النّوايا الاستعماريّة في الاستيلاء على ثروات مصر وخيراتها من ناحية، وعن الرّوح العدائيّة للإسلام والمسلمين من ناحية أخرى، وليس أدلّ على ذلك ممّا أفصح عنه (مسيو هانوتو) وزير خارجيّة فرنسا في العام 1900م من آراء شخصيّة في المسألة الإسلاميّة، كالحديث عن خطر الإسلام، وعدم قدرته على الاستجابة للتّقدّم والمدنيّة، وضرورة عدم الارتكان عليه في السّعي لتحقيق نهضةٍ حقيقيّةٍ في حياة العرب والمسلمين .

وكيف قالها أحد قادة الحرب الفرنسيّة في حملته على سورية: «ها قد عدنا هنا يا صلاح الدّين». ولعلَّ أثر العنصر العقدي الدّينيّ في السّياسات الغربيّة تجاه العرب والمسلمين يتجلّى أكثر ما يتجلّى في الموقف من إنشاء دولة (إسرائيل) الّتي كان لبريطانيا دورٌ مركزيٌّ في إقامتها، عبرَ وعدها المشؤوم وعد بلفور (بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين) استناداً للمزاعم التّوراتيّة بوجود حق تاريخيٍّ لليهود فيها، والّذي أصبح هدفاً أساسيّاً من بين أهداف الانتداب البريطاني على فلسطين إلى جانب نهب خيراتها، فلم تخلص بريطانيا المنتدبة للمبادئ الدّوليّة المعلنة لعصبة الأمم الخاصّة بالانتداب والّتي تقضي بوجوب العمل على تأهيل شعوب الدّول الواقعة تحت الانتداب لحكم نفسها بنفسها بعد مضيّ فترة محدّدةٍ من الزّمن، فعمدت إلى إعلان قيام دولةٍ (إسرائيل) في فلسطين الخاضعة لوصايتها

يوم انتهاء وصايتها عليها، ليس هذا فحسب، بل أنَّ جميع الدّول الغربيّة وافقت على صدور قرار التّقسيم عام 1947م، وبادرت للاعتراف بالدّولة اليهوديّة الصّهيونيّة في فلسطين عضواً في الأمم المتّحدة، انطلاقاً من قناعتها المستمدّة من ثقافتها الأيديولوجيّة التّوراتيّة بحقّ اليهود التّاريخيّ في فلسطين. وما نعيشه هذه الأيّام يؤكّد حرص الغرب بزعامة الولايات المتّحدة الأمريكيّة على اعتبار الخطر الحقيقيّ الّذي يتهدّد المصالح الغربيّة الإمبرياليّة بعامّة والأمريكيّة بخاصّة بعد سقوط الشّيوعيّة، هو الإسلام العالمي بصفةٍ شموليّة والمُقاوِم على وجه الخصوص، باعتباره يشكّل عقبةً تعترض سبيل استغلال الغرب لثروات الشّعوب المستضعفة واحتكارها لنفسها، فممّا لا شكّ فيه بأنَّ حرب الولايات المتّحدة في أفغانستان وحربها ضدّ العراق في العام 2003م استهدفت بالدّرجة الأولى الاستيلاء على الثروات الطّبيعيّة والنّفطيّة في منطقتي بحر قزوين والشّرق الأوسط، مع أنّ شعارها المعلن لتلك الحرب هو محاربة الإرهاب وقواعده، من هنا أصبحت التّهمة الجاهزة في ضرب أفغانستان والعراق وأيّ دولة عربيّة وإسلاميّة هي صلة تلك الدّول بمنظّمات إسلاميّة وعلمانيّة تصفها الولايات المتّحدة بالإرهابيّة، كمنظّمة القاعدة، وحزب الله، وحماس، والجهاد الإسلاميّ، وفصائل منظّمة التّحرير الفلسطينيّة المقاومة بأطيافها المختلفة.

وهذا كلّه يثبت عمق الصلة بين ما هو أيديولوجي وما هو اقتصادي في الحملات الاستعماريّة الغربيّة على منطقتنا العربيّة وغيرها من مناطق العالم، حتّى أنَّ تهديد وزير الخارجيّة الصّهيونيّ باحتفاظ كيانه بحقّ الرّدّ على لبنان جرّاء ضخّه لمياه الوزّاني اللبنانيّة للقرى المجاورة، قبل عقدين ارتكزت على مزاعم توراتيّة صهيونيّة تنص على أنَّ لإسرائيل حقّاً بتلك الأرض ومياهها.

وما الحديث المتكرّر عن صلة اليهود ببناء الأهرامات في مصر، وعن حقوقهم التّاريخيّة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في المملكة العربيّة السّعوديّة، وفي مدينة بابل وغيرها من المدن العراقيّة، وفي مياه النّيل والفرات، إلاّ تجسيدٌ عمليّ للأثر العقدي الدّيني التّوراتي في السّياسة الصّهيونيّة الرّسميّة.

حقاً يستغرب المرء عندما يصغي لشخصيّاتٍ سياسيّة وثقافيّة ترى بأنَّ أثر العنصر الدّيني في السّياسة الصّهيونيّة ضعيفٌ وغير مؤثّر بالمقارنة مع أثر العناصر العلمانيّة المتشدّدة في الكيان الصّهيوني، وكأنَّ تلك العناصر بريئةٌ من أثر العقيدة التّوراتيّة الصّهيونيّة عليها، وللتدّليل على صدقيّة أثر العنصر العقديّ في السّياسة الصّهيونيّة الرّسميّة وفي الأوساط السّياسيّة العلمانيّة فيها، بوسع أولئك الأشخاص الإجابة على السّؤال الآتي دون حاجةٍ لسماع إجابة العلمانيين الصّهاينة عليه: هل يعتقد رموز ما يُسمّى باليسار الإسرائيليّ، بأنَّه لا حقّ لهم في ملكيّة أرض فلسطين؟ وبأنَّ وجودهم فيها وجود احتلالي لأرضٍ ليست لهم؟ بالطّبع سيجيبون بأنَّ لهم حقّاً تاريخيّاً بهذه الأرض، وإذا سُئِلوا عن مرجعيّتهم في ذلك سيجيبون بالقول: ثقافتهم اليهوديّة كما هي مدوّنةٌ في التّوراة الّتي يؤمنون بها حصراً .

وهذا يعني أنّه يستحيل إقصاء العناصر العقديّة والرّوحيّة من حياة أيّ إنسانٍ على وجه الأرض حتّى الإنسان غير المؤمن أو العلمانيّ، فوجود تلك العناصر وأثرها في الشخصّيّة لصيق بالثّقافة الأسريّة والمجتمعيّة للفرد وإن لم يتّخذ أشكالاً طقسيّة دينيّة عبر دور العبادة .

وعليه فالعنصر العقديُّ هو عنصرٌ أساسيٌّ مكوِّن للأيديولوجيا مع أنّه ليس الوحيد فيها، الأمر الّذي يدعو إلى عدم الاستخفاف بأهميّته وفاعليّته في حياة الإنسان سواء كان فرداً أو جماعة .

والسّؤال: كيف تغلغل المعتقد الصّهيوني في الذّهنيّة الغربيّة بعامّة، والذّهنيّة الأمريكيّة بخاصّة؟ هل يعود ذلك التّغلغل إلى فاعليّة العناصر اليهوديّة في مجتمعات تلك الذّهنية، أمْ أنَّ حاجة تلك المجتمعات لأيديولوجيا تجيز استخدام العنف والإرهاب بصوره المختلفة، في الدّاخل والخارج لتكون بمثابة مرجعيّة روحيّة دينيّة تضفي عليهما طابعاً من المشروعيّة في حقل ممارساتها العمليّة هو ما سمح للعقيدة الصّهيونيّة بذلك التّغلغل؟

إنَّ دراسةً نقديةً تأمّليّة لمسار تطوّر المجتمعات الغربيّة بما فيها المجتمع الأمريكي تكشف أنَّ حاجةً ماسّة حملت الغرب للاسترشاد بالعقيدة الصّهيونيّة وتبنّيها في مضمار سياساتها العامّة في القارّتين الأوروبيّة والأمريكيّة وخارجهما، تمثّلت في البحث عن مسوّغٍ أيديولوجيٍّ لاستخدام العنف في مواجهة الخصوم والأعداء، على اعتبار أنَّ مثل هذا المُسوِّغ غير متوفّر في العقيدة المسيحيّة، كونها عقيدة تنبذ العنف، وتمجّد السّلم، وتدعو للصّفح والمحبّة والتّسامح.. وعدم إجازة استخدام العنف الجسدي والنّفسيّ والأخلاقيّ بحقّ الإنسان، بوصفه صورة شبيهة بالله .

وبالطّبع ليست العقيدة اليهوديّة وحدها تجيز استخدام العنف والقتل والتّدمير، فالعقيدة الإسلاميّة تجيز استخدام العنف في مواجهة العنف، مع وجود فارقٍ جوهريٍّ بين العقيدتين، وهو أنَّ اليهوديّة تُمجّد استخدام العنف إلى حدّ القداسة، ولا تقيم وزناً بين استخدامه كوسيلة أو كغاية، فالأمر في الحالين سيّان، الأمر الّذي ينزع عنه أيّ سمةٍ أخلاقيّة وإنسانيّة، وعليه فالعنف اليهوديّ الصّهيوني إرهابٌ شرّيرٌ بعينه، فهو يسمح بقتل النّساء والأطفال والحوامل والكهول وتدمير وحرق الأشجار والحيوان دون ضابط، على النّحو الّذي تشهده غزّة منذ عشرة أشهر إلى يومنا هذا، وهو بذلك يتلاءم والطّبيعة العدوانيّة الهمجيّة للمجتمعات البربريّة .

بينما يخضع استخدام العنف في الإسلام لضوابط دينيّة إنسانيّة وأخلاقيّة رفيعة، ويجري التّعامل معه بوصفه وسيلةً وليس غاية، ويرتبط بتحقيق العدالة والحقّ، وهما قيمتان إنسانيّتان ساميتان، تقرّهما الشّرعيّة الدّولية، وهو بذلك يتلاءم والطّبيعة الإنسانيّة المتحضّرة.

والسّؤال لماذا وقع اختيار المجتمعات الغربيّة على العنف التّوراتيّ وليس الإسلاميّ؟ رغم أنَّ عداء المسيحيّين في الأصل هو مع اليهود وليس مع الإسلام؟ نتيجة إنكار اليهود للسّيّد المسيح واضطّهادهم له وقتله على خشبة الصّليب حسب معتقدهم؟ بينما اعترف الإسلام به وبجّله واعتبر الإيمان به وبرسالته ركناً من أركان الإيمان الإسلاميّ؟ الجواب ببساطة: أنَّ الطّبيعة العدوانيّة للغرب تتناقض مع مفهوم الإسلام للعنف، وتحديد المجالات الّتي يجوّز للإنسان استخدامه فيها، أمّا المفهوم اليهوديّ للعنف فيتطابق مع تلك الطّبيعة، من هنا مارست السّلطات الدّينيّة وسلطات الحكم المدنيّ في العصور الوسطى، القتل والسّجن والنّفي بحقّ المواطنين المختلفين معها في الرّأي، كذلك أزهقت أرواحاً كثيرة من العرب والمسلمين والهنود الحمر في غزواتها الاستعماريّة للشّرق العربي الإسلامي والقارّة الأمريكيّة .

ولا تزال حتّى يومنا هذا تقدّم الدّعم العسكريّ والسّلاح للكيان الصّهيوني في عدوانه على قطاع غزّة ومواجهة المقاومة الفلسطينيّة الباسلة.

وهذا يعدُّ أوّل اختراقٍ توراتيّ صهيونيّ للذّهنيّة الغربيّة، الأمر الّذي لفت أنظار اليهود لأهمّيّة تغلغل عقيدتهم في الفكر الغربيّ ومؤسّساته الرّوحيّة والزّمنيّة، فأعادوا تنظيم صفوفهم، وشرعوا بممارسة نشاطاتهم العقديّة بفاعليّة، والانضواء تحت راية الحروب الصّليبيّة في العصور الوسطى - (فشاركوا في تلك الحروب عبر تشكيل جماعة أُطلقَ عليها فرسان الهيكل)- والاستعماريّة في القرنين التّاسع عشر، والعشرين (من خلال الانتدابات العسكريّة وتقسيم الوطن العربي إلى دويلات، وتقسيم سوريا إلى أربع دول هي: سورية والأردن وفلسطين ولبنان بموجب قرار سايكس بيكو، وإصدار وعد بلفور المشؤوم، وصولاً لقيام ما يُسمّى بدولة الكيان الصّهيوني (إسرائيل).

وفي هذا السّياق فإنَّ تغلغل الفكر الصّهيوني في المعتقد السّياسي والرّوحي للمجتمع الأمريكي بخاصّة، تحقّق كون الكتل البشريّة المكوّنة لهذا المجتمع هي في الأساس من أصولٍ أوروبيّة غربيّة، مارست الغزو والاستيطان والتّطهير العرقي بحقّ السّكان الأصليين للقارّة الأمريكيّة، عملاً بنصوص العقيدة الصّهيونيّة التّوراتيّة، وفي هذه القارّة وجد اليهود أنفسهم قادرين على التّأثير العقيديّ والسّياسيّ فيها، نتيجة توفّر شروط موضوعيّة لممارسة هذا التّأثير، وليس أدّل على ذلك من كثرة انتشار الكنائس البروتستانتيّة والدّهريّة في عموم الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ناهيك عن إذكاء النّزعة العدوانيّة للمجتمع الأمريكيّ، بالإشعال المستمرّ لفتيل الحرب بين أمريكا والعديد من دول العالم، وتقديم العون العسكري والتّقنيّ لدولة الكيان الصهيوني المحتل (إسرائيل)، وصولاً إلى إقناع إدارة الولايات المتّحدة الأمريكيّة بأنَّ العرب والمسلمين وحركات المقاومة هم العدوّ الأوّل الّذي يهدّد المصالح الأمريكيّة في منطقة الشّرق الأوسط والعالم بهدف فرض الهزيمة على العرب والمسلمين ونهب ثرواتهم الاقتصاديّة لصالح التّحالف الأمريكي الصّهيونيّ في العالم .

الكيان الصهيوني
وجرائم لا تسقط بالتقادم

سحر محرز ـ كاتبة سورية

لم تشهد البشرية استعماراً أشد همجية من الاستعمار الصهيوني لفلسطين العربية، إذ أن الكيان الصهيوني يعامل المواطنين الفلسطينيين منذ النكبة بأفظع الطرق الوحشية، ويرتكب أشنع الجرائم والمجازر بحقهم، وإذا كانت مجزرة «دير ياسين» 1948 تمثل عنواناً لشلال الدماء، فقد صارت غزة اليوم رمزاً لشلال جديد ما زال ينزف.

ومنذ بدء حرب «طوفان الأقصى» في 7 أكتوبر 2023، لم يكف الاحتلال عن ارتكاب أبشع المجازر في قطاع غزة في إطار عزمه على إبادة جماعية لسكان القطاع.

وفيما يلي أبرز المجازر التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني منذ 7 أكتوبر 2023 في غزة:

-مجزرة مستشفى المعمداني:

هي مجزرة ارتكبها سلاح الجو الصهيوني حينما شن غارة على المستشفى الأهلي العربي (المعمداني) في حي الزيتون جنوب مدينة غزة في يوم 17 أكتوبر 2023.

وأصابت الغارة الجوية العنيفة ساحة المستشفى التي كان فيها العشرات من الجرحى فضلاً عن مئات النازحين المدنيين أغلبهم من النساء والأطفال، وتسببت الغارة بكارثة حقيقية حيث تحول المستشفى إلى بركة من الدماء، وأعلنت وزارة الصحة في غزة في مؤتمر صحفي من بين جثامين الشهداء عن استشهاد أكثر من 500 فلسطيني جراء قصف الاحتلال للمستشفى.

-مجزرة جباليا:

هي مجزرة ارتكبها سلاح الجو الصهيوني في مخيم جباليا للاجئين في غزة يوم 31 أكتوبر 2023، مستخدماً في قصفه لهذا المربع السكني ستة قنابل تزن الواحدة منها 1000 كغ، مما أحدث قوة تدميرية واسعة في المنطقة ظهرت على شكل حفر ضخمة.

وأسفرت هذه المجزرة عن سقوط المئات من الشهداء والجرحى، وقدرت نسبتهم بحوالي 400 بين شهيد وجريح كلهم من المدنيين، وكان الجيش الصهيوني يعلم بأن هذه الخسائر سوف تقع نظراً لأن الحي السكني الذي تم استهدافه مكتظاً بالسكان، وقرر عدم إصدار تحذير لأهالي المنطقة المستهدفة.

-مجزرة مجمع الشفاء الطبي:

هو قصف استهدف مجمع الشفاء الطبي في يوم 3 نوفمبر 2023، وذلك في ظل الاجتياح البري لقطاع غزة، حيث أصابت الغارة الصهيونية قافلة إسعافية تغادر المجمع على متنها ما بين 15 إلى 20 مصاباً بجروح خطيرة.

وكانت القافلة متجهة إلى معبر رفح بهدف نقل الحالات الحرجة للعلاج في مشافي وضعت في مدينة العريش، إذ تم استهداف سيارات الإسعاف المغادرة من مجمع الشفاء في مواقع متعددة، وتسببت الغارة في استشهاد 15 فلسطيني وإصابة 60 آخرين، ووصفت منظمات دولية هذه المجزرة بأنها «جريمة حرب».

-مجزرة مخيم المغازي:

هي مجزرة ارتكبها سلاح الجو الصهيوني حينما قام بشن سلسلة غارات مكثفة على مخيم المغازي للاجئين في وسط قطاع غزة في يوم 24 ديسمبر 2023.

واستهدفت هذه الغارات منازل سكنية من بينها منزل عائلة سمعان ومنزل عائلة العالول ومنازل أخرى، وخلفت أضرار جسيمة في البنية التحتية، وراح ضحيتها أكثر من 45 شهيداً معظمهم من الأطفال والنساء.

-مجزرة دوار النابلسي:

أو كما تم وصفها ب»مجزرة الطحين»، حيث قامت قوات الاحتلال بفتح النار على المدنيين أثناء محاولتهم الحصول على المواد الغذائية من شاحنات المساعدات الإنسانية قرب شارع الرشيد عند دوار النابلسي غرب قطاع غزة في يوم 29 فبراير 2024.

وأعلنت وزارة الصحة في غزة عن استشهاد 112 شخصاً برصاص الاحتلال وإصابة 760 بجروح، وأعربت الأمم المتحدة عن صدمتها وقلقها وطالبت بتحقيق دولي مستقل إثر سقوط عشرات الضحايا الفلسطينيين وإصابة مئات آخرين، بينما زعم جيش الاحتلال أن الدبابات الإسرائيلية أطلقت النار باتجاه من هددوا حياة الجنود، في محاولة منه للتنصل من جريمته الشنيعة.

-مجزرة دوار الكويت:

في 14 مارس 2024، أقدمت قوات الاحتلال على قصف طوابير فلسطينيين ينتظرون المساعدات الإغاثية قرب دوار الكويت شرق مدينة غزة، وهذه ليست المرة الأولى التي يرتكب فيها الاحتلال مجازر بحق الفلسطينيين الذين ينتظرون المساعدات في غزة وعند دوار الكويت تحديداً.

وأسفر القصف العشوائي عن استشهاد أكثر من 100 شخص وإصابة أكثر من 200 آخرين، حيث تم ترك بعض الجرحى ينزفون في الشوارع لساعات، وتم نقل آخرين إلى مستشفى الشفاء، فيما لم يتلق بعض الضحايا العلاج بسبب نقص الكوادر والمستلزمات في المستشفى.

-محرقة الخيام برفح:

هي مجزرة ارتكبها سلاح الجو الصهيوني بحق الفلسطينيين يوم 26 مايو 2024، حيث شن جيش الاحتلال سلسلة من الغارات الجوية العنيفة طالت الشمال الغربي لرفح.

إذ ألقت المقاتلات الحربية الإسرائيلية صواريخها على مجموعة من الأماكن القريبة من بعضها البعض بما في ذلك خيام النازحين الواقعة على مقربة من مخازن الأونروا، وكان واضحاً من حجم الضربة والمكان المستهدف أن ما حصل يشي بوقوع مجزرة دموية فعلاً وهو ما كان، وراح ضحية هذه المجزرة 40 شهيداً بينهم أطفال ونساء، وأصيب العشرات.

وأظهرت مقاطع فيديو التقطت بعد دقائق من الغارة ضحايا التهمت النيران أجسادهم خاصة أنهم كانوا في خيام يستحيل أن تقيهم من مثل هذه الهجمات أو أن تخفف من حدتها على الأقل.

-مجزرة مخيم النصيرات:

هي مجزرة ارتكبها الكيان الصهيوني عبر سلاحه الجوي بالدرجة الأولى وبالشراكة مع سلاح المدفعية والسلاح البحري، حيث بدأ جيش الاحتلال قبيل انتصاف نهار 8 يونيو 2024، سلسلة غارات جوية تركزت حول المنطقة المحيطة بمستشفى شهداء الأقصى في دير البلح، وهي المنطقة التي كانت تعج بعشرات الفلسطينيين من النازحين والمتسوقين وغيرهم.

وصعد الاحتلال من نطاق استهدافه على مدار عشرات الدقائق، فكثف القصف الجوي على عشرات المنازل والمناطق في كامل المنطقة الوسطى، ولم يقتصر هذا القصف على المقاتلات الحربية بل شاركت زوارق حربية قصفت من بحر غزة.

وأعلنت وزارة الصحة في غزة بعد الواحدة مساءً وبشكل رسمي عجز منظومة الإسعاف والطوارئ عن الاستجابة لنداءات الاستغاثة لنقل الجرحى بالمحافظة الوسطى، وبلغ عدد ضحايا هذه المجزرة المروعة 274 شهيداً و698 مصاباً.

-مجزرة مواصي خان يونس:

هي مجزرة إسرائيلية في حي المواصي غرب خان يونس في قطاع غزة، والتي سبق وأن قال الاحتلال الصهيوني أنها منطقة آمنة للمدنيين، ولكن هذا لم يمنع الاحتلال من قصف تلك المنطقة المكتظة بالنازحين في يوم 13 يوليو 2024، لتعصف بالقانون الدولي القائم على حقوق الإنسان.

حيث قام سلاح الجو الصهيوني بتنفيذ غارات عنيفة بخمس صواريخ ثقيلة على خيام النازحين وبعض الأبنية، وبلغ عدد الضحايا بحسب وزارة الصحة 79 شهيداً و289 مصاباً، في حين زعمت إسرائيل عبر وسائل إعلامها وبشكل رسمي في وقت لاحق أن الهدف كان «محمد الضيف» القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة حماس.

-مجزرة مدرسة التابعين:

وتعرف أيضاً ب»مجزرة الفجر»، وهي مجزرة ارتكبها جيش الاحتلال صباح يوم 10 أغسطس 2024، عندما شن سلسلة من الغارات الجوية العنيفة على مدرسة التابعين الشرعية الواقعة في حي الدرج شرق مدينة غزة، والتي تأوي آلاف النازحين من مناطق أخرى هرباً من أهوال الحرب.

وكان من الواضح من حجم الضربة وموقعها حصول مجزرة حقيقية،

حيث تم قصف المدرسة بثلاثة صواريخ يزن كل واحد منها 2000 رطل من المتفجرات، كما أن الاحتلال عمد إلى قصف النازحين أثناء تأديتهم صلاة الفجر وهو ما رفع عدد الضحايا بشكل متسارع.

وتسببت هذه المجزرة باستشهاد أكثر من 100 فلسطيني معظمهم من الأطفال والنساء، وإصابة عشرات آخرين، وقد برر الاحتلال الصهيوني قصفه المدرسة متهماً المقاومة بأنها دست أعضاءها وسط النازحين، فيما نفت حركة حماس وجود مسلحين في المدرسة، وشددت على أن السياسة الصارمة المعمول بها لدى مقاتلي كل فصائل المقاومة هي «عدم الوجود بين المدنيين لتجنيبهم الاستهداف الصهيوني»، ولم يجد التحقيق الأولي الذي أجراه المرصد الأورومتوسطي أي دليل على وجود مسلحين أو معدات عسكرية في المدرسة.

وأدان مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان»التكرار المتزايد للهجمات الإسرائيلية على المدارس التي تؤوي الفلسطينيين النازحين»، وأشار إلى أن «هذا كان على الأقل الهجوم الحادي والعشرين على مدرسة سجله مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان منذ 4 يوليو».

وبالرغم من ارتكاب الكيان الصهيوني لمئات المجازر بحق الفلسطينيين على مدار أكثر من 70 عاماً، ما زال هذا الشعب المقاوم يصر على الحياة، ويقف صامداً في مواجهة الاحتلال، فيبعث في نفوسنا أملاً بحياة أفضل، وتحمل تضحياته بشائر النصر.

غالانت يعتبر تصريحات نتنياهو عن النصر المطلق هراء والأخير يتهمه بمعاداة إسرائيل

نبال عمر - كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

وجد المحللون الإسرائيليون أن المستوى الذي وصل إليه الخلاف ما بين الجسم العسكري والسياسي صورة كاملة الأركان عن مصطلح _سنئات أحيم_ ومعناه كراهية الأخوة التي ستؤدي إلى خراب الهيكل وسقوط مملكة اليهود.
حيث تصاعدت حدة التوتر بين رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع يوآف غالانت بسبب خلافات عميقة حول استراتيجية إدارة الصراع على مختلف الجبهات بالإضافة إلى ملف المفاوضات لاستعادة الأسرى الإسرائيليين من غزة.

- وانتقد يوآف غالانت بشدة خطاب نتنياهو حول النصر المطلق في غزة محملاً الحكومة الإسرائيلية مسؤولية عدم إتمام صفقة تبادل الأسرى مع حركة حماس، وفي غرفة مغلقة في مكتبه لتقديم استعراض أمني لأعضاء لجنة الخارجية والأمن البرلمانية سخر يوآف غالانت من حديث نتنياهو عن النصر المطلق معتبراً إياه محض هراء وثرثرة وأشار إلى أن هذا الشعار لا يعكس الشجاعة المطلوبة في الغرف المغلقة، وذلك بحسب تسريبات نقلتها وسائل إعلام إسرائيلية

- وجاءت هذه الانتقادات في وقت حساس للغاية إذ تتأهب دولة الاحتلال الإسرائيلي لهجمات محتملة من إيران وحزب الله على خلفية اغتيال القياديين البارزين اسماعيل هنية وفؤاد شكر في طهران وبيروت وأضاف غالانت أنه كان يريد توجيه ضربة استباقية لحزب الله منذ تشرين الأول (أكتوبر) وهو ما عارضه نتنياهو في حينه كما اتهم غالانت نتنياهو وإئتلافه بتعمد عرقلة صفقة تبادل الأسرى مشيراً وبوضوح إلى أن إسرائيل تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية عن عدم إتمام الصفقة وهو ما يعتبر اتهام غير مسبوق يعبر بصورة جلية عن عمق الخلافات والشرخ والتي توصف بأنها آخذة في الاتساع ما بين الجسمين العسكري والسياسي، وفي ذات السياق نقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية قول غالانت» نحن على مفترق طرق إما صفقة تقودنا إلى تسوية في الشمال والجنوب أو تصعيد يقودنا إلى الحرب الإقليمية، أنا والمؤسسة الأمنية (الجيش وأجهزة الاستخبارات، الشاباك والموساد) مع الخيار الأول وأضاف أن معظم الأسلحة التي وصلت إلى قطاع غزة قد دخلت إما عبر الأنفاق التي دُمرت مؤخراً أو خلال فترة حكم الرئيس المصري السابق محمد مرسي بينما لم يحدث هذا على زمن الرئيس عبد الفتاح السيسي « انتهى الاقتباس

- أما نتنياهو فرد على هذه الاتهامات عن طريق بيان شديد اللهجة صدر عن مكتبه اتهم فيه غالانت بتبني الخطاب المناهض لإسرائيل مشيراً إلى أن تصريحاته تضر بفرص التوصل إلى صفقة لإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين المحتجزين في غزة وشدد مكتب نتنياهو أيضاً على أن النصر المطلق الذي يسعى لتحقيقه يشمل القضاء على قدرات حماس العسكرية والحكومية وإطلاق سراح الأسرى معتبراً أن هذه التوجهات ملزمة لجميع أعضاء الحكومة بمن فيهم غالانت

- ومن المعروف أن التوترات بين الرجلين منذ فترة طويلة وذلك على خلفية إقدام نتنياهو على إقالة غالانت ومن ثم الإحجام عن الإقالة في مارس /آذار 2023

- وعادت وسائل إعلام إسرائيلية للحديث منذ أسابيع عن رغبة نتنياهو في إقالته من جديد وربما استبداله بجدعون ساعر وهذه الأزمة تزداد توتراً وتتعمق مع استمرار التوترات على الجبهة اللبنانية حيث قال أحد المراسلون العسكريون مؤخراً أن الحرب مع حزب الله (الحرب الكبرى) ربما قد بدأت دون الإعلان عنها وذلك تماما ما حدث عند بدء العملية العسكرية في رفح وكانت التصريحات أنها عمليات محدودة وما هي إلا أيام حتى اشتدت وتوسعت وكأنه يشير إلى أن التجربة تم استنساخها على الجنوب اللبناني

- وفي سياق تبادل التهم كتب أوري مسغاف في هآرتس وهو كاتب صحفي إسرائيلي محذراً وهنا أقتبس: «الدولة أهم من نتنياهو ويجب إزاحته من منصبه وإلا الخراب قادم، نتنياهو نفسه حسم أمره أنه هو من سيهدم البيت الثالث وعبارة النصر المطلق التي يكررها هي تعبيره اللفظي لتدمير إسرائيل وأنه أقدم على هذه النية منذ أن وجهت نحوه أصابع الاتهام (ولا يقصد أوري مسغاف لوائح الاتهام المتعلقة بجرائم الحرب في غزة طبعا بل يقصد لوائح الاتهام بالفساد التي بدأت قبل عدة سنوات) ويقول ما الذي ينتظر إسرائيل قريباً بين يدي نتنياهو، ينتظرنا حرب أبدية في الجنوب والشمال وربما أهلية بدون أية تجهيزات للمناطق الحدودية وبدون عودة سكان الشمال والجنوب إلى منازلهم ودخول الإيرانيين للحرب وجهود إيتمار بن غفير بإيعاز من نتنياهو لإضرام النار في الضفة الغربية وأزمة مالية ضخمة ومستمرة في إسرائيل وهروب الأدمغة والاستثمارات والقوة الليبرالية إلى الخارج وحالة مقاطعة وعزلة من دول العالم لإسرائيل والتخلي عن المختطفين ومن بقي منهم على قيد الحياة ومن مات وأن نتنياهو يعرف أن صفقة تبادل الأسرى يعني انتهاء حكمه ولكن ليس نتيجة لانسحاب بعض الأطراف من الحكومة ويقصد تهديدات بن غفير وسموتريتش في حال تمت الصفقة إنما لما سيتبين عند

خروج الأسرى من غزة وسندهل بالكم القليل الذي بقي على قيد الحياة والويل الذي رأوه بينما نتنياهو يؤجل في الصفقة وأضاف مسغاف أن رد نتنياهو على غالانت بأن رسائله معادية لإسرائيل يكاد المرء أن يختنق من الضحك المرير فغالانت وزير الأمن والجيش الإسرائيلي كيف يتهمه نتنياهو بمعاداة إسرائيل، كذلك جو بايدن والحكومات الغربية فالجميع وقفوا إلى جانبنا لكنهم لن ينقذونا من بين فكي نتنياهو فذلك يعتمد علينا وحدنا وأن البكاء والندب لا يفيد والمظاهرات والاحتجاجات أثرها محدود ودعا جميع ذوي المناصب والتأثير إلى الخروج ضد نتنياهو وفي ذات السياق قال الجنرال يتسحاك بريك في الآونة الأخيرة فقط بدأ يصحو غالانت وأعلن في لجنة الخارجية والأمن أن النصر المطلق «هراء» حيث نفقد مقاتلين بين قتيل وجريح، دون أن تكون هناك فرصة لتحقيق هدفنا الرئيسي: «القضاء على حماس» - إذا استمرت حرب الاستنزاف ضد حماس وحزب الله فإن إسرائيل سوف تنهار خلال عام واحد فقط - كل الطرق على المستويين السياسي والعسكري تقود إسرائيل نحو الهاوية، لقد دخلت إسرائيل في دوامة وجودية، وقريبا قد تصل إلى نقطة اللاعودة

- وللتذكير هذا الجنرال هو من أنذر الأجهزة الأمنية قبل السابع من أكتوبر بدقة عالية حتى شملت أعداد الأسرى الذين ستأسرهم المقاومة في غزة وأن لتصريحاته صدىً كبير فهو ذو عقلية متمكنة من استقراء الواقع والأحداث، وهذه النتيجة التي وصل إليها الجنرال يتسحاك بريك هي التي وصل إليها العديد من الصهاينة وإن اختلفت الدوافع والأسباب والرؤية فمنهم من يقف في صف نتنياهو ويتهم غالانت وغيره بمعاداة إسرائيل ويدعون للوحدة تحت راية اليمين ومنهم من يقف في الصف المعاكس تماما ويرون أن وجود اليمين سيكون السبب لخراب الهيكل الثالث ويدعو لإخراج اليمين من المشهد السياسي قبل أن تصل دولة الاحتلال إلى النقطة التي لا تستطيع بعدها الاتزان ثانيةً.

- هذا الصراع ينذر بحربٍ أهلية قريبة بين المستوطنين المحتلين وعلى ما يبدو لا مفر منها ويمشون إليها بخطوات متسارعة.

الكيان الصهيوني بين الدولة والعصابة

موسى جرادات ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

منذ نشأة الكيان الصهيوني قبل سبعة عقود، كان الاعتقاد السائد أن هذا الكيان قادر على صهر التشكيلات الاجتماعية في بوتقة واحدة، وإنتاج مفهوم المواطن والمواطنة وفق محددات العقد الاجتماعي التي تأسس عليها الكيان.

ومع دخول العقد الثامن من عمر هذا الكيان، تبين زيف هذا الادعاء ، بعد أن ظهرت على السطح الكثير من الأزمات البنيوية داخل أروقة الدولة والمجتمع، وأحد أهم تعبيرات هذه الأزمات المستعصية، ما نراه اليوم في النظام السياسي الذي يعيش مأزقاً واضح المعالم، فالنظام السياسي الذي يحتكم إلى الديمقراطية والانتخابات في عملية تجدده، أفرز ظواهر معتلة، تتبنى الديمقراطية شكلاً للوصول إلى تنفيذ أهداف أيديولوجية فئوية ولصالح جماعات محددة، بعد أن تشكلت أحزاب دينية صهيونية، دمجت محتواها الديني في أطر سياسية علمانية، فكان نتاج ذلك بروز تيارات يتزعمها، بن غفير وسموترش ودرعي، والملاحظ أن تلك الأسماء جاءت من عالم الإجرام والفساد وفق التصنيف المؤسساتي للكيان.

وفي هذا السياق ظهرت سياسات هذه الجماعات بوصفها تهديداً وجودياً للاجتماع السياسي الصهيوني، بعد تحالفها مع اليمين الصهيوني التقليدي بزعامة بنيامين نتنياهو، هذا التهديد الذي أصبح محط نقاش في أوساط النخب الثقافية، والذي ترى فيه خطراً سيقود حتماً إلى تفتت أجهزة الكيان، عبر السلوك العصابي الذي تلجأ إليه تلك القوى في إدارة الدولة والمجتمع، صحيح أن هذا النقاش محصور في أروقة النخبة الثقافية، إلا أن تعبيراته بدأت تأخذ صداها عبر ممارسات فعلية، تجلت في ثنائية التهديد المتبعة لتلك القوى العصابية، وبين محاولاتها فرض أجندتها الفئوية، وبين الاعتراض على أي قرار تتخذه مؤسسات الكيان لا ترضى عنه ، فاقتحام قاعات المحاكم والمعسكرات، دليل واضح أن العصابة تمضي في برنامجها، عبر تسخير أجهزة الدولة وتفعيل قواها المجتمعية لاستكمال هذا المسار.

السؤال الذي يهم في هذه القراءة، يتعلق بأثر تلك السياسات على القضية الفلسطينية من جهة، ومن جهة أخرى أثرها على استقرار دولة الكيان واستمرار بقائها، فمن الواضح أن منجزاتها على صعيد القضية الفلسطينية واضحة المعالم، عبر تفعيل وتيرة الاستيطان في الضفة الغربية وممارسة الإرهاب المنظم بحق الفلسطينيين، هذا الإنجاز يعد انتصاراً تكتيكياً آنياً، نتيجة الظروف والعوامل الإقليمية والدولية التي تواطأت معها، وهي مرتبطة بالفعل بآليات المقاومة التي سينتهجها الشعب الفلسطيني لمواجهتها، أما على صعيد الداخل الصهيوني، فإن المعادلة تقول إن أي منجز لتلك العصابات، لن يتحقق دون خسائر عميقة في بنية الكيان الصهيوني، وأن زحفها دون عوائق وكوابيس حتى هذا الوقت، لا يعني أن هناك قوى أخرى تتحفز لمواجهتها، وأن هذه المواجهة لن تكون داخل أروقة المؤسسات، بل في الشارع، والحرب الأهلية منتهى هذه المواجهة، في ظل غياب شبه كلي لأجهزة الدولة العميقة التي تقف على مفترق طرق خطير، خاصة أن القوى السياسية الأخرى ضعيفة وتفتك بها أزمة النظام السياسي، فهذه الظاهرة العصابية هي نتاج فعلي لأزمة النظام السياسي المعيشة اليوم.

في ظل ما ذكر فإن عصابات بن غفير وسموترش وتحالفاتها المصلحية مع نتنياهو، ستمضي قدماً في دفع أجندتها الخاصة للتحول إلى سياسات عامة لهذا الكيان، عبر فرضها بالأطراف المؤسساتية أو بالعنف ، لننتظر ونرى كيف سيصبح هذا الكيان عصابة في قناع دولة.

سدي تيمان: ما هو مخفي عن العالم الخارجي

ترجمة: نور نوارة ـ مترجم وكاتب فلسطيني ـ سورية

في قاعدة عسكرية تستخدم الآن كمركز احتجاز في صحراء النقب الإسرائيلية، التقط إسرائيلي يعمل في المنشأة صورتين لمشهد يقول إنه لا يزال يطارده.

يمكن رؤية صفوف من الرجال يرتدون ملابس رياضية رمادية وهم يجلسون على مراتب رقيقة، محاطين بسياج من الأسلاك الشائكة. ويبدو الجميع معصوبي الأعين، ورؤوسهم معلقة بثقل تحت وهج الأضواء الكاشفة.

قال الإسرائيلي الذي كان في المنشأة لشبكة :CNN إن رائحة كريهة ملأت الهواء وكانت الغرفة تطن بغمغمات الرجال. تم منع المعتقلين من التحدث مع بعضهم، وتمتموا لأنفسهم. «أُبلغنا أنه لا يُسمح لهم بالحركة. يجب أن يجلسوا في وضع مستقيم. لا يُسمح لهم بالتحدث. لا يُسمح لهم بالتجسس من تحت عصابة أعينهم». وأضاف المصدر إن الحراس تلقوا تعليمات «بالصراخ أو سكوت» - أي الصمت باللغة العربية - وأُمروا «باختيار الأشخاص الذين يشكلون مشكلة ومعاقبتهم».

وقد حصلت CNN على صورة مسربة لمنشأة الاحتجاز تظهر رجلاً معصوب العينين وذراعاه فوق رأسه.

تحدثت شبكة CNN مع ثلاثة إسرائيليين شهود عيان كانوا قد عملوا في معسكر سدي تيمان الصحراوي، الذي يُحتجز فيه فلسطينيون معتقلون أثناء غزو إسرائيل لغزة. تحدثوا جميعًا في ظل خطر العواقب القانونية والانتقام من الجماعات المؤيدة للسياسات الإسرائيلية المتشددة في غزة يرسمون صورة لمنشأة حيث يقوم الأطباء أحيانًا ببتر أطراف السجناء بسبب الإصابات الناجمة عن التكبيل المستمر؛ والإجراءات الطبية التي يقوم بها أحيانًا أطباء غير مؤهلين مما أكسبها سمعة بأنها «جنة للمتدربين»؛ وحيث يمتلئ الهواء برائحة الجروح المهملة التي تُركت لتتعفن.

وفقًا للروايات، فإن المنشأة التي تبعد حوالي 18 ميلاً عن حدود غزة مقسمة إلى قسمين: سجون مغلقة حيث يتم وضع حوالي 70 معتقلاً فلسطينيًا من غزة تحت قيود بدنية شديدة، ومستشفى ميداني.

قال أحد شهود العيان، الذي عمل كطبيب في المستشفى الميداني للمنشأة: «لقد جردوا من أي شيء يشبه البشر».

وقال شاهد عيان آخر: «لم يتم الضرب لجمع المعلومات. لقد تم ذلك بدافع الانتقام. كان عقابًا لما فعلوه (الفلسطينيون) في السابع من أكتوبر وعقابًا للسلوك في المخيم».

ولم ينكر جيش الدفاع الإسرائيلي بشكل مباشر الروايات التي تتحدث عن تجريد الأشخاص من ملابسهم، أو وضعهم في حفاضات. وبدلاً من ذلك، قال الجيش الإسرائيلي إن المعتقلين تُعاد إليهم ملابسهم بمجرد أن يقرر جيش الدفاع الإسرائيلي أنهم لا يشكلون أي خطر أمني. وقد ظهرت بالفعل تقارير عن سوء المعاملة في سدي تيمان في وسائل الإعلام الإسرائيلية والعربية بعد احتجاجات من جانب جماعات حقوق الإنسان الإسرائيلية والفلسطينية بشأن الظروف هناك. ولكن هذه الشهادة النادرة من الإسرائيليين العاملين في المنشأة تلقي المزيد من الضوء على سلوك إسرائيل وهي تشن حربًا في غزة، مع مزاعم جديدة بسوء المعاملة. كما يلقي المزيد من الشكوك على تأكيدات الحكومة الإسرائيلية المتكررة بأنها تتصرف وفقًا للممارسات والقوانين الدولية المقبولة.

أجرت شبكة CNN مقابلات مع أكثر من اثني عشر معتقلاً سابقًا من غزة يبدو أنهم أطلق سراحهم من تلك المعسكرات. قالوا إنهم لا يستطيعون تحديد مكان احتجازهم لأنهم كانوا معصوبي الأعين معظم فترة احتجازهم ومفصولين عن العالم الخارجي. لكن تفاصيل حساباتهم تتطابق مع تلك التي ذكرها شهود العيان عن المخالفات.

وقال الدكتور محمد الران، وهو يتذكر احتجازه في منشأة عسكرية: إنه تحمل درجات حرارة الصحراء، متأرجحاً بين حرارة النهار وبرودة الليل: «كنا نتطلع إلى الليل حتى نتمكن من النوم. ثم كنا نتطلع إلى الصباح على أمل أن يتغير وضعنا». وأجرت معه شبكة سي إن إن مقابلة خارج غزة الشهر الماضي.

الران، فلسطيني يحمل الجنسية البوسنية، كان يرأس وحدة الجراحة في مستشفى إندونيسيا في شمال غزة، وهو أحد أول المستشفيات التي أغلقت ودُهمت أثناء تنفيذ إسرائيل لهجومها الجوي والبري والبحري. وقال إنه اعتقل في 18 ديسمبر/كانون الأول، خارج مستشفى المعمدان الأهلي في مدينة غزة، حيث كان يعمل لمدة ثلاثة أيام بعد فراره من مستشفاه في الشمال الذي تعرض لقصف كثيف.

«تم تجريده إلا من ملابسه الداخلية، معصوب العينين ومقيد المعصمين، ثم ألقي في مؤخرة شاحنة حيث، كما قال، تم تكديس المعتقلين شبه العراة فوق بعضهم البعض أثناء نقلهم إلى معسكر اعتقال في وسط الصحراء.

التفاصيل في روايته تتفق مع تلك التي جمعتها شبكة سي إن إن والتي روت ظروف الاعتقال في غزة. كما تدعم روايته العديد من الصور التي تصور الاعتقالات الجماعية المنشورة على ملفات تعريف وسائل التواصل الاجتماعي التي تنتمي إلى جنود إسرائيليين. تُظهر العديد من هذه الصور أسرى غزة، ومعصميهم أو كاحليهم مقيدين بالكابلات، في ملابسهم الداخلية ومعصوبي العينين.

أنكر الجيش الإسرائيلي احتجاز المعتقلين دون داعٍ، أو استخدامهم لأغراض الترجمة. وقالوا في بيان: «إذا لم يكن هناك سبب لاستمرار الاحتجاز، يتم إطلاق سراح المعتقلين وإعادتهم إلى غزة».

وقد تم تأكيد رواية الران لأشكال العقوبة والمخالفات التي شاهدها من شهود العيان الذين تحدثوا مع شبكة CNN كان السجين الذي يرتكب مخالفة مثل التحدث إلى شخص آخر يُؤمر برفع ذراعيه فوق رأسه لمدة تصل إلى ساعة. وكانت يدا السجين تُربطان أحيانًا بسياج لضمان عدم خروجه من وضع الإجهاد.

وبالنسبة لأولئك الذين ينتهكون الحظر المفروض على التحدث والحركة بشكل متكرر، كانت العقوبة أشد. كان الحراس الإسرائيليون يأخذون السجين أحيانًا إلى منطقة خارج السياج ويضربونه بعنف.

وصفت روايات المتحدثين عن المخالفات نوعًا مختلفًا من الرعب في مستشفى سدي تيمان الميداني.

وقال أحد المتحدثين عن المخالفات إنه أُمر بإجراء عمليات طبية على المعتقلين الفلسطينيين لم يكن مؤهلاً لها.

وقال المتحدث نفسه عن المخالفات أيضًا إنه شهد عملية بتر أجريت على رجل أصيب بجروح ناجمة عن ربط معصميه باستمرار. وقد تطابقت الرواية مع تفاصيل رسالة كتبها طبيب يعمل في سدي تيمان ونشرتها صحيفة هآرتس في إبريل/نيسان.

ووفقاً لصحيفة هآرتس، فقد جاء في الرسالة الموجهة إلى النائب العام الإسرائيلي ووزارتي الصحة والدفاع: «منذ الأيام الأولى لتشغيل المنشأة الطبية حتى اليوم، واجهت معضلات أخلاقية خطيرة. وأكثر من ذلك، أكتب (هذه الرسالة) لتحذيركم من أن عمليات المنشأة لا تتوافق مع أي بند من البنود المتعلقة بالصحة في قانون حبس المقاتلين غير الشرعيين».

أزمة النقد الأدبي:
بين الانطباعية والتجريد العلمي

تغريد بو مرعي ـ شاعرة ومترجمة لبنانية ـ البرازيل

منذ خمسينيات القرن الماضي، ظهرت أزمة النقد الأدبي كقضية محورية في الأدب العربي، متزامنة مع زمن جيل الكبار من الأدباء والنقاد. ورغم التحولات الكبيرة التي شهدتها الساحة الأدبية والنقدية على مدى العقود الماضية، فإن هذه الأزمة لا تزال تطرح نفسها بقوة في الزمن الحالي. يتراوح النقد الأدبي اليوم بين النقد الانطباعي المجامل الذي لا يقدم إضافة حقيقية للعمل الأدبي، وبين النقد العلمي البارد الذي قد يجرّد النص من روحه الأدبية. في هذا السياق، يطرح السؤال: ما الذي يرجوه الأديب من الناقد؟ وما هو هدف الناقد من عمله النقدي؟ وهل هناك ضرورة فعلية للنقد في مواكبة الإنتاج الأدبي؟

الأديب، بطبيعته، يبحث عن الاعتراف بعمله وتقديره على مستويات متعددة. لذلك، فإن الأديب يرجو من الناقد عدة أمور أساسية كأن يتفهم أبعاد عمله الأدبي، ويغوص في أعماقه ليكشف عن طبقات المعنى المختلفة التي قد لا تكون واضحة للوهلة الأولى. فالنقد العميق يمنح النص بعدًا إضافيًا، ويزيد من قيمته الأدبية، كما يتوقع الأديب من الناقد أن يكون موضوعيًا وغير متحيز، بعيدًا عن المجاملات والانطباعات الشخصية السطحية. فالناقد يجب أن يقيم العمل بناءً على معايير أدبية موضوعية، دون أن يتأثر بالعلاقات الشخصية أو السياقات الخارجية.

إن النقد البناء الذي يشير إلى نقاط القوة والضعف في العمل الأدبي يسهم في تطوير الكاتب وتحسين إنتاجه. الناقد الجيد يوجه الأديب إلى كيفية تحسين أسلوبه وتقنياته، مما يساهم في نموه الأدبي، ويسهم النقد الإيجابي والمنصف في تسليط الضوء على الأعمال الأدبية المميزة، مما يساعد في انتشارها وتقديرها بين القراء والنقاد الآخرين. الناقد يلعب دورًا مهمًا في ترويج الأدب الجيد وتقديره في الأوساط الأدبية والثقافية.

أما بالنسبة للناقد، فإن هدفه من العمل النقدي يتعدى مجرد تقييم النصوص، ساعيًا إلى تقديم قراءة عميقة ومفصلة للنصوص الأدبية، تكشف عن بنيتها، ودلالاتها، وأبعادها المختلفة. النقد ليس مجرد تقييم سطحي، بل هو عملية تحليلية تهدف إلى فهم النص بأبعاده الكاملة.

إن النقد الأدبي يهدف إلى توجيه الأدب نفسه، من خلال إبراز الأعمال الجيدة وانتقاد الأعمال الضعيفة ويمثل تفاعلًا ثقافيًا بين النصوص والقراء والمجتمع. الناقد يسعى إلى التأثير في مسار الأدب وتوجيهه نحو معايير أعلى من الجودة والإبداع، إلى جانب أنه يلعب دور الوسيط الذي ينقل القيم والأفكار الموجودة في النصوص إلى القراء، ويساهم في الحوار الثقافي حول هذه النصوص، ومن خلال عمله، يسهم الناقد في تطوير النظرية الأدبية والنقدية، ويضيف إلى المعرفة الأدبية الموجودة.

النقد الأدبي ليس مجرد تطبيق لنظريات سابقة، بل هو أيضًا مجال لإبداع نظري جديد.

النقد الأدبي ليس رفاهية، بل هو عنصر ضروري يرافق الإنتاج الأدبي لأنه يسهم في تطوير الأدب من خلال تقديم ملاحظات بناءة تساعد الكتاب على تحسين أعمالهم. كما يساعد النقد في تحديد المعايير الأدبية وتطويرها، مما يرفع مستوى الإنتاج الأدبي بشكل عام، كما يعمل على تثقيف القراء وتوعيتهم بأبعاد النصوص المختلفة.

من خلال النقد، يتعلم القراء كيفية قراءة النصوص بعمق وفهمها بشكل أفضل، مما يزيد من تقديرهم للأدب، ومن خلال تمييز الأعمال الجيدة عن الأعمال الضعيفة، يسهم النقد في الحفاظ على جودة الأدب. النقد يساعد في توجيه الأدباء والقراء نحو الإنتاجات الأدبية الراقية، إلى جانب أنه يسهم في تعزيز الحوار الثقافي حول النصوص الأدبية. من خلال النقد، يتفاعل الأدباء والنقاد والقراء معًا، مما يثري الثقافة الأدبية ويسهم في تطويرها.

النقد الأدبي اليوم يعاني من مشكلة تذبذب بين النقد الانطباعي المجامل والنقد العلمي البارد. النقد الانطباعي قد يكون سطحيًا وغير موضوعي، مما يفقده قيمته الحقيقية. من جهة أخرى، النقد العلمي قد يتسم بالبرودة والتجريد، مما يجعله بعيدًا عن الروح الأدبية للنص.

النقد الانطباعي يعتمد على الانطباعات الشخصية والأذواق الخاصة، وقد يكون مجاملًا وغير موضوعي. هذا النوع من النقد قد يفقد العمل الأدبي قيمته الحقيقية، حيث يعتمد على المجاملة والآراء الشخصية بدلاً من التحليل الموضوعي، بينما النقد العلمي يعتمد على مناهج تحليلية وتجريدية، قد تكون مفيدة في بعض الأحيان، لكنها قد تجرد النص من روحانيته الأدبية. النقد العلمي البارد قد يحول العمل الأدبي إلى موضوع دراسة علمية بحتة، مما يفقده جاذبيته الأدبية.

للتغلب على هذه الأزمة، يجب أن يسعى النقاد إلى إيجاد توازن بين النقد الانطباعي والنقد العلمي. النقد الأدبي الجيد يجب أن يجمع بين التحليل العميق والموضوعية من جهة، والقدرة على الحفاظ على الروح الأدبية للنص من جهة أخرى. يمكن للنقاد أن يستفيدوا من مناهج التحليل العلمي، ولكن عليهم أيضًا أن يحتفظوا بالجانب الإبداعي والأدبي في نقدهم.

إن أزمة النقد الأدبي هي قضية مستمرة تعكس تعقيد العلاقة بين الأدب والنقد. الأديب يتوقع من الناقد تفهمًا عميقًا وموضوعية في التقييم، بينما يسعى الناقد إلى تقديم رؤية نقدية وتوجيه الأدب نحو معايير أعلى. النقد الأدبي ضرورة تواكب الإنتاج الأدبي، ويسهم في تطويره وتوجيهه. لتحقيق توازن بين النقد الانطباعي والنقد العلمي، يجب أن يسعى النقاد إلى الجمع بين التحليل العميق والموضوعية، مع الحفاظ على الروح الأدبية للنص. بهذا الشكل، يمكن للنقد الأدبي أن يسهم بشكل فعّال في تطور الأدب وتقدمه.

أثر غسان
كان جسراً إلى الأبد

تغريد عبد العال ـ شاعرة ومترجمة ـ لبنان

لم يعبر غسان ذلك الجسر إلا عندما اطمأن أنه شيده لنا. جسراً ممتداً من القلب حتى سماء سابعة تطل على عالم ليس لنا. فجعلنا نسأل في السر: هل كان هذا العالم لنا؟ إنه عالم يجرد كل شيء من المعنى، وعندما ألهمنا للبحث عن المعنى، صرنا نفتش عنك، لنجد أن اقتباساتنا لأقواله وعباراته، كانت تلامس سطح الماء، نمد أيدينا لإخراج الجوهرة من قلب الروايات لنجدها هناك في القصص ثم تتدحرج من لغتك التي لم تكن تبحث عن الكلمات لتمشي تلك الخطوات في القلب فتقول: لا

ربما سنفكر ألف مرة كيف سنخرج من الكلمات صدق الفكرة، وكيف يتكون دم الحياة من أوكسجين الروح، فعندما ينزف، تختار الروح أن تصعد إلى شجرة زيتون أو شجرة سدرة أو يسافر كما فعلت إلى سدرة المنتهى. سنعود إليك ربما لنتذكر أن الكتابة والفن والفكر والسياسة والنقد والصحافة هي خفقات قلب ينظر إلى أفق بعيد، وكأنه يرسل تلك الخفقات إلى كل من يعبر الجسر إلى هويته وإلى روحه وإلى قلبه وإلى وطنه، سواء إن كان من يعبر طفلاً أم شاباً امرأة أم رجلاً، هكذا أمسكت أم سعد يد رجال في الشمس لتقودهم، فيستمعون إلى نصائحها، أم سعد التي رفعت الخيمة عالياً بروحها، وجعلتها تتفتح. والخزان الذي حبس أرواحنا لم يكن فقط سجناً. إننا نستحضره لكي نتأمل معاً كيف ندق جدران الخزان؟ وهل فعلاً دقيناه ولم يسمع أحد؟

في رواية أخرى سنصعد هذا الخزان، لقد تحولت خزاناتنا إلى فضاءات تجرح أيضاً، ربما من الغريب أن تصبح الفضاءات جارحة، لكن لأنه عالم ليس لنا، ربما سنذهب إلى الخزان، سنرسم عليه حكاياتنا جميعاً، سنحاورك بصمت، لنعثر على الفكرة.

فكيف امتد ذلك الجسر؟ وكيف أصبح كما في مسرحيته الفلسفية «جسر إلى الأبد»؟ هل كان فكرة استطاع غسان أن يهزمها قبل أن يسكنه ذلك الشبح؟ نعم ذلك كان شبح الذنب الذي استطاع أن يغزو عقل فارس وروحه وقلبه، بأنه ترك والدته في اليوم الذي غادر المنزل وتوفيت، فاعتقد أنه سيموت في ذلك اليوم الذي توفيت فيه، وصار ذلك الشبح يظهر ويسيطر عليه، حتى خرج من عقدة ذنبه. فمن هو هذا الشبح الذي ابتدعه غسان؟ إنه شبح الخذلان وربما هو ذلك الموت الحقيقي الذي يقع فيه وما ينقذه هو الحب، وبين الخوف والحب، تنقذه رجاء لأنها في الحقيقة تلخص فكرة الحرية والكرامة والنضال والشغف والحب والحياة وكل ما يعطي الأشياء معنى ورؤية وقيمة وإحساساً تماماً كما قال غسان: إن الفكرة النبيلة لا تحتاج إلى الفهم بل تحتاج إلى الإحساس.

لم يستطع غسان أن ينشر هذه المسرحية في الإذاعة على فقرات. لكنها كانت هي طريقه إلى العالم، وصار غسان ليس فقط معروفاً، بل قدم هويته الفكرية والثقافية والإنسانية إلى العالم. رجاء اكتشفت الحقيقة التي أنقذته، وهذه الحقيقة لم تتضح إلا بالحب. والحقيقة هو أن أمه قد توفيت قبل أن يغادر البلد. وفي هذا التفصيل الإنساني تكمن حرية الفرد المتعلقة بالكرامة، وهكذا يستطيع أن يواجه الوهم والموت.

هكذا امتدت أفكار غسان الفلسفية والإنسانية لتمسك بجوهر القضية، وهو هنا ربما لم يذكرها لكنه أشار إليها بقلبه، واضعاً نصب عينيه أن يعطي لكل المفاهيم من حوله دلالة تعود إلى علم النفس وتنطلق من جوهر الوجود الذي يجعلنا نرى أي قضية أخلاقية وإنسانية هي قضية وطن وجذور ووجود.

وهكذا أيضاً امتد وجوده، وكانت كلماته ذلك الجسر البعيد الذي جعلنا نمشي عليه أيضاً، نحن، أحباءه، أولاده ورفاقه، ومن قرأنا وصية لا يجف دمعها، منذ أن كنا أطفالاً نحاول أن نمسك الشمس لندخلها إلى غرفة البيت، وحتى أصبحنا نحاول في كل خطوة أن نعبر نحو البلاد بجسر غسان الذي ينطلق من سلم القلب.

حنظلة

منهال الغضبان
كاتب وشاعر سوري

إلى حنظلة طفل الانتفاضة الذي ما احتاج يوماً لمن يبعث الهمّة فيه لأنه يفيض همّة لكن من واجبنا أن نطمئنه عنّا إذا ما التفتَ إلى الخلف!! أعوام من خير ومن بيدَر أعوام والأملُ بكَ يكبُر أعوامُ حنظلةُ ولم تفتر لأنّنا من خلفِكَ الظّهير لأنّنا في حبّكَ نطير

لأنّنا شجعان
لأنّنا ألحان
لأنّنا الدُّفوف
والتطبيل
حنظلةُ احتدمْ
حنظلةُ اقتحِمْ
لا تلهُ في التفكير
بُرُداتنا
تيجانُنا
وكُلُّ مَنْ نوديَ يا أميرْ مِنْ خلفِكَ الظّهير
**
حنظلةُ يا شُعلةَ الحريّةْ
يا وردةً في فيهِ بُندُقيّة
منْ أجلكَ نُفَجّرُ الآبار
من أجلِكَ نُتاجرُ بالنفطِ
وبالدولار..
ونُنشِئُ الفنادقْ
ونردِمُ الخنادقْ
ونتلفُ البيارقْ
ونَرفعُ المشانقْ
كي لا تنامَ ليلكَ الطويلَ في الطريق
أو تختبئ
أو أنْ ترى شيئاً يُطاولُ قدّكَ الأنيق
لكي تُقاومَ رغبةً تقودُ للشهيق !
حنظلة احتدمْ
حنظلة اقتحِمْ
لا تلهُ في التفكير
بُرُداتنا
تيجانُنا
وكلُّ مَنْ نوديَ يا أمير
مِنْ خلفِكَ الظّهير
حنظلةُ

لا ترنُ للأهوالْ
لا ترتجفْ
لا تخشَ
فالقتالْ
دَيْدَنُنا.. في الروم
في الجفر.. وفي القنالْ في مكّةَ...
نغتالُ أعتى ثوْرةٍ
ونرفدُ الحجّاجَ في بيروت
نطيّرُ الحمامَ في المغربْ
حتى يُجَدِّدَ عشَّهُ في نخلةٍ يثرب
ونركبُ الخيولَ في بغداد
كي يثأرَ الأجدادْ
نحنُ خُلِقْنا عُدَّةَ القتالْ
نحنُ رضعنا حلْمةَ النضال
في مَحفَلِ التشريقْ
عرَفْنا كيف نُشعلُ الحريقْ
ونخذلُ الغريقْ
ونُقفِلُ الأقفال
عرَفنا كيفَ نُعرَفُ بأنّنا أبطال!
حنظلةُ
لا تَرنُ للأهوالْ
لا ترتجفْ
لا تخشَ
فالقتالْ..
أن تحتدم
أنْ تَقتحِمْ

موت على شاشة التلفاز

فراس عبده النادر

في غرفهم الضيقة، المُكدّسة بالأجساد والأحلام المُحطّمة، جلسوا. عيونهم مسمّرة على شاشات التلفاز، تشرب صور الموت المتراقصة على إيقاع الانفجارات في غزة. حربٌ تدور رحاها على بعد أميال،
حربٌ لا تعنيهم سوى كمشهد سينمائي مُثير، كمسرحية عبثية تُعرض على خشب المسرح، كأنّ الموتى ليسوا بشرًا حقيقيين، كأنّ الدمار ليس حقيقيًا.

كانوا يموتون. في كلّ ثانية، تُزهق روحٌ بريئة، يُهدم منزل، تُمحى عائلة. لكنّهم لم يهتمّوا. لم يهتزّ لهم جفنٌ، لم تُسقط دموعهم، لم ترتجف مشاعرهم. كانت الحرب بالنسبة لهم مجرّد فرجة، متعة غريبة تُسليهم عن عذاباتهم، تُنسّيهم وجعهم، تُخفي فشلهم وبؤسهم.

كانوا يموتون، بينما هم يشاهدون الموت على شاشات التلفاز. يموتون من الجوع، من المرض، من اليأس، من قلة الحيلة. يموتون من قهرٍ مُهين، من ذلٍّ مُحطّم، من شعورٍ باللاجدوى يملأ صدورهم. لكنّهم لم يقاوموا. لم يثورا. لم يُطالبوا بحقّهم في الحياة.

كانوا يموتون، صامتين، مستسلمين، مُتواطئين مع موتهم. موتٌ بطيء، موتٌ مُذلّ، موتٌ لا يُرى ولا يُسمع. موتٌ لا يُثير التعاطف، لا يُحرّك الضمائر، لا يُغيّر شيئًا.

أكانوا يُصدقون حقًا أنّ الموت مجرّد فرجة؟ أكانوا يُدركون أنّهم كانوا يموتون أيضًا، بينما هم يشاهدون الموت على شاشات التلفاز؟

لا أدري. ربّما كانوا يُدركون. وربّما كانوا لا يُدركون. وربّما كانوا يُدركون، لكنّهم لم يهتمّوا.

ففي عالمٍ فقدَ إنسانيته، وفقدَ قيمه، وفقدَ معنى الحياة، أصبح الموتُ مُجرّد لعبة، والدموعُ مُجرّد ماء، والصراخُ مُجرّد ضجيج.

أكانوا يُصدقون حقًا أنّهم كانوا يموتون هناك، بينما كانوا يشاهدون هذه الحرب على شاشات التلفاز؟

لا أدري. لكنّني أعلم أنّهم كانوا يموتون. يموتون في غرفهم الضيقة، يموتون في شوارعهم المُهجورة، يموتون في قلوبهم المُحطّمة.

كانوا يموتون، ببطءٍ وصمتٍ، دون أن يُلاحظهم أحد.

كانوا يموتون، بينما كان العالمُ يُشاهد حربًا على شاشات التلفاز.

شعراء يكتبون قصائدهم بلغة الضحك

عبد النور الهنداوي ـ شاعر من سورية

الخيال العربي، كما الشاعر العربي، كما المجهول العربي، لا يستطيع أن ينام.

مع أنّ محنة الشاعر عندنا، قد وضعت حدّاً لارتباكه الكبير، الذي هو انبهاره الكبير، في كيفية استثمار بعض المناطق في دماغه التي لا تزال عبارة عن أدغال لم يطأها الخيال.

كل ما يفعله الشاعر العربي اليوم، أنه يستخدم إمكاناته الدفينة، للسيطرة الكاملة على ما تمّ كتابته فيما يتعلّق بتقنية الموت.

والهاجس المروّع والرائع أيضاً، حين يتحدّث عن الصورة الشعرية الضعيفة، وإن التكيّف في مفاتيح قصائده، أنه يريد إنتاج الحماية الدافئة لكلّ كلمة قويّة إلى جانب ذلك الرهان الذي يريد الارتطام بالأبواب المغلقة.

قد يكون الشعر العربي، ممتلئاً بالعزلة وتخثّر المفردات، وإن جاذبية الصورة الشعرية لدى الشاعر لم تتمكّن من صياغة نفسها بالشكل التي هي عليه، لذلك، تخرج بارتباكٍ صريحٍ إلى حدّ ما، مع عزلتها الوحشية المدمّرة.

بالتأكيد لا أحد يستطيع أن يتسلّق الشعر إلى ما لا نهاية، ولكن قد تجد في كلّ شاعر، ذلك السيزيف الذي يتهاوى هو والهدف الذي لا يحتاج طبعاً إلى مهرجين.

الشاعر العربي، يقف أمام المرآة فلا يعثر على وجهه، هذا دون تدخّل فلسفيّ من أجدادنا، امرئ القيس، أو طرفة بن العبد، أو المتنبي أو أو .

لأن تصنيع الشعراء، والمواقف، بل والأزمات، هي أصلاً أمام المرايا، ولا يحتاج الأمر إلى اكتشاف أين يقع موطئ الشاعر العربي ككائنٍ في الشعر العالمي.

قد لا نتصوّر أن الشاعر عندنا، لا يملك حقّ الصراخ في قصيدته، ولا حقّ الإشارة عن مكان الوقوف على قدميه؛ فقط له حقّ التسوّل والانتظار وما تقوله آلية أزمته الشعرية، من عدم القدرة على تشكيل جملة شعرية تؤدّي بقصيدته لجلوس القرفصاء أمام كنه الشعر.. ولا أدري هنا، لماذا يُفترض بالشاعر العربي أن يقلّد الببغاء!.

لدينا نقّاد للشعر، يتمتعون بكمية هائلة من البلاهة، التي تجعلهم يصفقون لأولئك الذين يكتبون قصائدهم، كما لو» أنك» تلتقط الخرق البالية، أو الأسمال البالية .

إن قلوب الشعراء موجودة في كل مكان، فيما القصائد التي نكتبها، تلفّ نفسها بعباءة شفافة، وتنتظر في العراء. والآخرون يمسكون بالزمن الآخر، والقصائد العربية التي نكتبها مثل جثث تملأ الأفق.

أين نقف، وأين نصرخ لا جدوى أبداً، لأننا نصنع الخنادق المتشابهة بكل تلك الضبابية الرثّة، ولأن زمننا الإبداعي هو الذي يسقط، لنقول: إنه لا يزال في قعر الشعرية العربية شيء ما من المستقبل، لعلّنا نتعرّف على الطريق السويّ، بعدما تمّ تسويقنا وسوقنا زرافات ووحداناً إلى الارتهان، وسقوط مبدعينا في اللاجدوى الهائلة، وإنّ الجاهلية هي الشيء الوحيد الذي حفظناه في اللاوعي، وفي التاريخ؛ وعلينا أن نتذكّر هذه اللحظة العربية القاتلة، في إنهاء مسار الشاعر العربي، وأن لا يكون البند الوحيد هو المجهول.

لا بدّ إذن من خطة طارئة، وإن تكن شّاقة في انتهاج آراء، أو الوصول إلى آراء ديناميكية وإن كانت بعيدة المدى، في بلورة مشروع يمكن للشاعر العربي أن لا يقف عند الكتل الإبداعية الكبرى مثلاً بحجّة قلّة الإمكانات أو عدم وجود برامج من قبل المؤسسات المعنية، ومقايضة هذا التكريس بخلخلة هذه النمطية التي ستقلّنا في يوم ما إلى البحر الميت!

لم يبق على خشبة الإبداع إلّا الذهاب بعيداً إلى بدايات العصور البدائية كي لا نشعر أننا نمشي على غير هدى، وكيف لهذه الأوثان، وهي تترعرع في داخلنا .

هذا الكلام يأخذنا جديّاً بتفاهة النصوص التي يكتبها شعراء اليوم.. فأتمنّى لو أنني أمتلك صلاحية الملائكة لكي أقودهم بيدي إلى الجحيم، لأتلذّذ قليلاً، قليلاً فقط، بما يحدث لهم هناك .

الكتابة كما نعرف جميعاً، من الأفعال المقدسة، بل إنها مهنة الهواء الطلق، وآمل أن يكون الحديث على مستوى الفهم، لأن الكتابة أصلها مهنة الحرية !

قد يكون لدى المبدع العربي تخوم نهاية ما، يكتشف أنه وكتاباته من دون جدوى حين ينظر إلى الوراء قليلاً وإلى الأمام قليلاً أكثر، وقد تتوهّج فيه إلى حدّ تحطيم نفسه في نهاية المطاف .

كل عمل إبداعي حقيقي نصنعه، هو أثر لمعركة رائعة، لكن كيف يمكن ألّا نجعل من لحظة الحقيقة، لحظة الكارثة؟

هذا ليس وقتاً للصراخ، ولا لموقف الشاعر العربي الملتبس، أو المائع إذا جاز لنا، أن نتسلّق المفردة العربية الفضفاضة، لنشعر باغتباطها، أو بلحظة الاحتضار التي صدمتنا تماماً، وكلّ إبداعنا يتمحور رومانسياً حول ما ينتجه القلب الذي اكتظّ بأحاسيسه الغريبة المشوّشة الحارقة .

يقول ديفيد هانز: «لقد قرّرت منذ فترة طويلة أنه كلّما قلّ ما أقوم به من عمل إبداعي، كلّما أصبحت مبدعاً أكثر .»

فالإبداع بكليته هو أقل أهمية من الحياة، لكن يا لها من حياة فقيرة من دونه .

نحن إذن نعيش في أزمة خالية من المعوقات، وخالية من الأحاسيس، ولا تعنينا الأشياء، لا البسيطة، ولا المركبة، كي نعيش حالة الاحتجاج التي تبدو، كما لو أنها من دون أفق .

فأزمة الشعراء العرب/هي أنهم بلا أزمة .

ثمّة كلام مؤلم يمشي فوق أجسادنا، وكأننا نعيش داخل أسطورة ما، أخذت جسدها من تقنية الزمن، وإننا نحمل الماضي الذي ارتبط بحيواتنا بشكل سحريّ كي نمارس مهنة السعادة الشّاقة، وصرنا نضحك تلقائياً كما تضحك الآلهة !

هذه القاعدة اللامتناهية في عدم القراءة، حوّلت الشاعر العربي إلى كائن محطّم يصوغ إستراتيجية قد تكون على مستوى من التعقيد.. إلى الحدّ الذي أصبح فيه أقلّ من ظِلال مسافرة .

أعتقد جازماً، أن الكتابة ليست ما نكتبه، أو ما نفكّر بكتابته، إنما ما يجري ما بداخلنا، لأننا صرنا مثل الأشياء الضائعة التي تبحث عن نفسها عبر الأزمنة .

وما دام الشاعر العربي «حصراً» لا يستطيع الحدّ من يأسه ومن يأس الأشياء المحيطة به، ومهما كان حجم هذا اليأس؛ لا بدّ مع مرور الزمن أن يزداد هولاً، كلّما راقبنا العصر الذي يقطعنا كما يقطع السيف الفراغ، وبذلك تكون لغتنا العظيمة قد فقدت أصابعها، ولم يعد بإمكاننا صياغة القليل من النقد لذواتنا ما لم نلامس ذلك العماء الذي يساوي في حدود أكثر من ألف عام من التأمّل الضبابي الذي ما زال مستقرّاً تحت جلودنا .

كل كائن عربي يتألم، ويتلمّس ألمه بأصابعه ليكشف ويكتشف أن لديه بعداً مسرحياً يرافقه، وإن لديه علاقة مرتبكة وخلّاقة معاً. لذلك فإن الشاعر العربي، في هذا الوطن العربي، لا يشعر ولو للحظة، أو

هنيهة بالملل، لأن كل الأشياء من حوله تهتزّ، ومن الصعب في هذه الأحوال مواجهتها، دون الوقوف قليلاً، كي يرى الكلمات التي يكتبها، بعينين مغلقتين على اتساعهما كما تقول: نادين غودمير .

يبدو أن مهمة حواسنا، هي آنية وقابلة للعطب في أي وقت، ومن الأفضل أن نعيش كما يعيش المجانين، لذلك سنظلّ حتى لحظاتنا الأخيرة نعاني من آلامنا العميقة، ونحتضر أمامها بشكل جارح !

هل نحن مدنّسون إلى هذا الحدّ؟ ولا أحد يدرك أننا وصلنا إلى تلك اللوثة المسيّجة بالسخرية، ولا انتباه مطلقاً إلى ما يحدث في أشكالنا، وأشكال ما أنتجناه من رهانات لإبقاء الكرة الأرضية في مكانها .

أمّا وكيف نكتب، ولمن نكتب، فهذا السؤال بحاجة إلى النظر إلى الزاوية المحطّمة من التاريخ، التي صارت أمامنا تشبه الراقصة، وبإمكاننا أن نلاحظ عياناً ذلك المبدع الذي بقي على قيد الحياة، داخل مقالب القمامة !

هناك من يقول بسخرية: إن الأيديولوجيا قد ماتت وهي ميتة فعلاً، ووصلت اللوثة بها إلى قيام انقلابات بنيوية في مجتمع لا يوجد لديه كلمات مقدّسة؛ أو غرف مقدّسة، يمكن عقد الرهان بداخلها، واستبدال كَهَنة اللغة وحرّاسها، بأي شيء ما، كي لا تضحك علينا الأرصفة !

أسوق هذا الكلام، كي أشدّ على هذا الواقع الذي التصق بنا، دون أن تطاردنا المسافات، ربما لكي ننتج خيالاً نظيفاً من أجل هذه الكآبة التي التصقت بكل ما نكتبه.. ونتبادل الشعر فيما بيننا بواسطة الضحك !

كل هذا الأنين الذي يرافقنا، يكفينا من محاولة الفرار إلى السراب، لأن الشاعر العربي معنيّ، بل يؤكّد تماماً على ما يقوله القلب .

أدرك تماماً أن بلاد العرب، أصبحت مزرعة لعلامات الاستفهام، وها هو الزمن العربي وقع في مأزق الانحياز إلى أشيائه الضرورية، ممّا جعل حريته، قطعة خشبية لها شكل معجزة.

يقول دوستويفسكي بما معناه: أصبح المرء لا يستطيع أن يتشبّث بأي شيء، وهذه حال مبدعنا الآن؛ وكأنه جاء أو ولِدَ من سلالة السخرية .

ولأننا نعيش في ضرورة الاختيار، ولهذا السبب بالذات نحن أقرب إلى الفانتازيا في كل ما نبدعه، ممّا جعلنا نقف بذهول ممّا نكتب، ونسمع النصوص المنتشرة، وهذا يعني أننا لسنا في مصالحة ممّا نراه في الأشياء.

نحن إذن نمزج بين الإبداع العشوائي، والإبداع الذي يشبه الجزء الأدنى من حياتنا، وهذا يذكرنا بالرؤيا الفضفاضة لما يمكن أن يختزنه الوعي .

ألا تعتقدون معي أنّ بين أيدينا يترعرع الدمار، والانهيار؟ حتى الأيديولوجيا الرثّة، يمكن أن تعيد تشكيلها وتقف لنا وراء الباب.. وهي حقيقة نهايتنا التي تحاول أن تقضم الخبز اليابس أمام أي مبدع عربيّ سويّ، إن كان ذلك بمثابة الحلم، أو بمثابة أن يكون لديه بعض حلمٍ لتفكيك أزمته الذاتية، وتفجير لا وعيه، للحصول على مسافة غامضة، كي لا تأكله القطط الداشرة !

هل اقترب المبدع العربي من نهاية اضمحلالهِ، وأن ثقافته أكلت نفسها مع تكريس إستراتيجية اللهاث ، وتصدّع إيقاعه الهشّ، وهو يلامس ما يلامس من الأفواه المفتوحة لابتلاعه، وتحوّله إلى مضغّة للكلام الفارغ الذي يسّاقط فوق أرواحنا.

كل شيء في المبدع العربي يمضي وفق ديالكتيك ما، حتى إذا ما أخذنا النصوص الإبداعية (وقلّبناها) كيفما شئنا، فإنها لا تحتاج إلّا لبعض الدقائق لتحطّ في وسط المحرقة؛ لأن ما يكتبه العربي، يقول الآخرون: ما زال فوق ذلك المقعد الخشبيّ العتيق، ينتظر شيئاً ما، وهذا لا يحتاج إلى نظرية يصعب تفكيكها تعيد تشكيلنا فلسفياً، لنواجه الجنون العصري بشيء يجعلنا في رتابة، وفي استلاب أيضاً يسير جنباً إلى جنب الرهان الذي يلازمنا، سواء كان هذا الرهان فيما نكتبه، أم في الوجوه التي تحتفي بهذا الانفجار العبثيّ الذي نراه؛ يبدو أن هذا الانفجار أيضاً، يتشكّل فقط في عقل الشاعر العربي، سواء كان حياً أو ميتاً .

إنه المشهد والشاهد، على أنّ انفجاراً يتشكّل بشكل حيوي في هذا العقل، وعندها يتحوّل هذا العقل إلى شظايا، أو أنه الآن عبارة عن شظايا تحاول التسلّل عشوائياً، حيناً إلى إحدى زوايا القرن، وحيناً آخر إلى عدمية لغوية، وتعبيرية أيضاً، هي في الواقع نوع من الموت الثقافي سريرياً .

أجل..

إن بإمكان الحطام أن يتقيّأ المعجزة، وأن نتداول الشعر فيما بيننا بواسطة الضحك!

فلسطين

في الفكر السياسي لحركة القوميين العرب

صدر حديثاً عن دار الفارابي في بيروت، كتاباً فكرياً للمناضل الفلسطيني صلاح صلاح تحت عنوان: «فلسطين في الفكر السياسي لحركة القوميين العرب».

ارتبط تأسيس حركة القوميين العرب بفلسطين؛ فقد كانت الحركة باعتبارها أحد الإفرازات العملية للنكبة، المحفِّز الأكبر لمؤسسي الحركة الذين رفضوا الاكتفاء بالتذمر والشكوى من القرارات الظالمة للمؤسسات الدولية، مثل قرار

تقسيم فلسطين الذي ولّد موجة عارمة من الغضب في أوساط الشعب العربي وصلت إلى طلاب الجامعة الأميركية في بيروت، كما رفضوا الشعور بالرضا والارتياح لمجرد فضح نيات الدول الاستعمارية وأطماعها في منطقتنا العربية، وإدانة الأنظمة العربية الموالية لها؛ بل كان الشعور والإيمان لديهم بأن لا بد من العمل والمواجهة.

وقد أدرك المؤسسون منذ البداية الترابط بين قضية فلسطين وبعدها القومي؛ فهي عنصر فاعل في التغيرات والتطورات التي تجري على امتداد الساحة العربية؛ لذا لا بد من وضع رؤية قومية شاملة للصراع مع أعداء الأمة العربية، وقراءة المتغيرات التي تفرضها وانعكاساتها على قضية فلسطين.

«تجربتي»

الأسير المحرر أحمد أبو السعود

صدر عن دار كنعان للدراسات والنشر كتاب للاسير المحرر أحمد أبوالسعود بعنوان تجربتي يسلط فيها الضوء على معاناة الأسرى في سجون الاحتلال ويروي أبرز محطات التجربة.

يقع الكتاب في 208 صفحات من القطع المتوسط.

ولوحة الغلاف للفنان التشكيلي محمد الركوعي

التراث في حماية الهوية
التراث حماية وحصانة ومقاومة

د. نجلاء الخضراء ـ كاتب وباحثة في التراث ـ سورية

تشكّلت الهوية الوطنية الفلسطينية نتيجة للظروف التاريخية، التي مرت بها القضية الفلسطينية، منذ أن بدأ الوعي والنضال الوطني الفلسطيني يأخذ دوره في الحياة السياسية، والاجتماعية للفلسطينيين، وكان ذلك منذ أخذ المثقفون الفلسطينيون بالتنبه إلى الخطر الصهيوني، في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين منذ الحكم العثماني، وأرسلوا رسالة احتجاج إلى الباب العالي سنة 1881 م.

ومع ظهور الاستعمار الأوروبي، عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وضعت حدود جغرافية سياسية لبلاد الشام من خلال اتفاقية سايكس بيكو، وقُسّمت سوريا الكبرى على دول الحلفاء، ووقعت كلٌّ من فلسطين والأردن تحت حكم الانتداب البريطاني، أما سوريا ولبنان فوقعتا تحت حكم الانتداب الفرنسي، في ذلك الوقت نشأت حركات وطنية عربية في منطقة سوريا الكبرى، وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية أحد روافدها ، إذ عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في العام 1919م واعتبر أنّ فلسطين هي سوريا الجنوبية، وجزء لا يتجزأ من سوريا، ورفض المؤتمر وعد بلفور، ورفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين، أما في المؤتمر الفلسطيني الثالث الذي عقد في العام 1921م فقد طالب القادة الوطنيون المشاركون بإقامة حكومة وطنية مستقلة، وأسقطوا من مطالبهم الوطنية اعتبار فلسطين سوريا الجنوبية , تعد هذه الفترة التاريخية بداية تشكل معالم الهوية الوطنية الفلسطينية، كحركة قطرية ذات أهداف خاصة، ولكنها غير منسلخة عن جذورها القومية ، وأصبحت الهوية أكثر وضوحاً مع مرور الزمن، فكان الوعي الوطني يزداد كلما زادت المخاطر الخارجية التي تهدد فلسطين .

فالهوية الوطنية هي مجموعة السّمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمعاً أو وطنًا معينًا عن غيره، يعتز بها وتشكّل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة.

الثقافة الشعبية هي السمات العامة التي يمتاز بها مجتمع وتميز حضارته عن غيرها من الحضارات. كما تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه من عادات وأنماط سلوك، ونظرة إلى الكون والحياة.

تعد الثقافة الشعبية العنصر الأهم في تكوين الهوية الجماعية للشعب أو للأمة، كذلك هي الأقدر على الحفاظ على هذه الهوية وفي ضمان استمراريتها وتعزيزها، وذلك لأن الثقافة والتراث الشعبي ينتشران بين عامة الشعب بشكل أوسع، وهما أقدر على استثارة الهمم، والتأثير في الواقع الذي تعيشه الجماعات.

ويعبّر التراث عن هوية الأمة وخصوصيتها،

> يوجد بين أفراد كل مجموعة إنسانية صفات مشتركة تميزهم عن غيرهم من المجتمعات وتشكل لديهم هويتهم وشخصيتهم الخاصّة، وبالنسبة لأفراد الشعب الفلسطيني؛ فإنهم ينتمون إلى الأمة العربية ويشتركون معها بالدين واللغة، والتاريخ، والعادات، والتقاليد، وأنّ الصفة الوحيدة التي جمعت بينهم وميزتهم عن غيرهم من العرب كانت جغرافية جاءت من كونهم سكنوا المنطقة الجغرافية التي وضعت حدودها من قبل الحلفاء عند نهاية الحرب العالمية الأولى، كما وضعت حدود الأقطار العربية الأخرى، وتعتبر هذه الصفة الجغرافية المشتركة هي أول الحدود التي أنشأت داخل بلاد الشام وفصلت المدن السورية عن بعضها إلا أنها لم تستطع فصل التراث وتفريقه ليكون الشاهد على وحدة سوريا الكبرى ويساهم في تكوين الهوية الفلسطينية.

و يساعد في بلورة الهويّة والأهداف الوطنية من خلال تجميع أبناء الشعب الواحد حول تلك الأهداف وحول القيادة الوطنية.

إنّ التراث الشعبي هو المكون الأساسي لهوية الشعوب، والمعبر عن همومهم ومعاناتهم وطموحاتهم، ويمثل عامل ترابط اجتماعي بين أبناء الوطن الواحد من مختلف الطبقات، ويزداد التمسك بهذا التراث عند الشعور بالخطر على الكيان وعلى الهوية الوطنية ،ويشكل التراث بما يحتويه من عناصر ثقافية وحضارية مثل: الحكايات، والفنون، والأشغال، الحرفية، والحكايات، والقصص الشعبية الكثير من الرموز التي قد يستخدمها السياسيون لتعبئة الجماهير لأغراض سياسية من أجل تعزيز الوعي الوطني أو مقاومة الخطر الأجنبي.

إنّ للتراث الشعبي الفلسطيني دوراً هاماً وفعالاً في بلورة الهويّة الوطنية الفلسطينية، ولقد أخذ الاهتمام بالحفاظ على التراث لكي يظهر بصورة واضحة ومنظمة بعد حرب 1967م، بعد سيطرة الكيان الإسرائيلي على ما تبقى من فلسطين، وشعور الفلسطينيين بأهمية المحافظة على الهوية المهددة بالنفي والضياع، فقام الفلسطينيون ومن خلال المؤسسات التي أنشأتها منظمة التحرير الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها، بدور فعّال في رعاية التراث وحمايته من خطر الطمس والتزوير على يد «الاحتلال الإسرائيلي»، فكانت النشاطات الجماهيرية الواسعة على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي لرعاية التراث، وإقامة الفرق والمعارض والمتاحف والمهرجانات داخل فلسطين وخارجها، وفي مختلف دول العالم، وذلك من أجل نشر التراث والتعريف بالهوية الفلسطينية.

ظهر دور التراث الشعبي في حياة الفلسطينيين الاجتماعية والسياسية، بصورة متوازية مع ظهور الحركة النضالية، وكان للتراث دور مميّز، في كل مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني، بما يتناسب مع الوضع السياسي.

ففي زمن النكبة عام 1948م، مثلاً كان التراث الشعبي يعكس الحالة النضالية للشعب الفلسطيني مقاومة، وظهر ذلك من خلال الأغاني، التي تشكّل أحد أبرز عناصر التراث في الكلمات والألحان التي تعبر عن الحنين للوطن والحزن والاشتياق للأرض وللأهل، وكانت مخيمات اللجوء تعكس العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الوطن قبل الشتات.

أمّا في العام 1967م فكان الحراك الشعبي والمؤسساتي وحتى كلمات الأغاني ثورية تتضمن تعبئة الجماهير ضد الاحتلال الإسرائيلي، وفيها تعبير عن آمال الشعب الفلسطيني وطموحاته في تقرير المصير والحرية والاستقلال.

اتخذ الفلسطينيون من التراث الشّعبي رموزاً لهم للدلالة على هويتهم، ومصادر الرموز الفلسطينية كثيرة ومتنوعة، تكونت بفعل تعاقب الحضارات والأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، ومن أبرز هذه الرموز :

المعالم الدينية والأثرية التي حباها الله لفلسطين فكانت رمزاً مقدساً للعرب وللمسلمين وللمسيحيين، وعلى رأسها المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة في مدينة القدس وكنيسة المهد في مدينة بيت لحم، وكنيسة البشارة في مدينة الناصرة، والمسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، بالإضافة إلى مقامات الأنبياء والأولياء والصالحين , كما شكّل القادة والشهداء الفلسطينيون والعرب الأبطال رموزاً نضالية، في وجه الاحتلال من عز الدين القسام، إلى ياسر عرفات اللذين خلفا فكراً ثورياً ونضالياً وطنياً باقياً، وصنعا تنظيمهما السياسي بأيديهم؛ فعز الدّين القسام لم يكن ينتمي لأي تنظم سياسي، إذ قام بتشكيل الخلايا واللجان وتعاون مع الأطر القائمة، ورغم أنّه توفي منذ بداية الثورة أو قبل الإعلان عنها إلا أنّه أسقط فكرة التنظيم الثوري في نهج المقاتلين من بعده وكانت له انتصارات عديدة، كما فعل ياسر عرفات الذي حصد عدداً من انتصاراته في حياته، ولكنه لم ير قيام دولة فلسطين، غير أنّه خاض نضالاً شرساً تنقل بين الكفاح المسلح والعمل السياسي والدبلوماسي وساهم مع رفاقه في تحويل قضية فلسطين من قضيّة لاجئين إلى قضيّة شعب صاحب حق في الاستقلال وتقرير المصير، فاعتبره الفلسطينيون رمزاً نضالياً لهم، كما اعتبر الفرنسيون شارل ديغول رمزهم، ومواطنو جنوب إفريقيا اعتبروا مانديلا رمزاً لهم، وكما اعتبر الهنود المهاتما غاندي رمزاً لتحريرهم .

ومن الرموز الوطنية أيضاً المدن والقرى الفلسطينية التي دمرها المحتل الإسرائيلي، والتي غيّر بعض أسمائها من العربية إلى العبرية، مثل قرية الجورة التي تقع شمال مدينة غزة، وقرية جمزو التي تقع إلى الغرب من مدينة اللد.

كما تعدّ الملابس الفلسطينية، وخصوصاً الأثواب المطرزة رمزاً فلسطينياً يستدل به على الهوية الوطنية، ويستطيع الناظر إلى الثوب معرفة المنطقة أو القرية التي تنتمي لها المرأة التي ترتديه، وكذلك الكوفية الفلسطينية البيضاء مع النقط السوداء فيها، والتي اشترك فيها الفلسطينيون مع غيرهم من العرب تعد رمزاً نضالياً، ظهرت بكثافة في الانتفاضتين الأولى والثانية، حيث ارتداها أطفال الحجارة وشبان المظاهرات والمتضامنون الأجانب.

ويضاف إلى الرموز السابقة المأكولات الشعبيّة، واللهجة الفلسطينية، والأغاني الشعبيّة، التي تشكّل رموزاً وطنية تدل على الهوية الوطنية الفلسطينية.

في النهاية لقد شكّل التراث عنصراً أساسياً في هوية الشعب الفلسطيني، فكان تراثهم مصدرقوة وصمود في وجه الاحتلال الإسرائيلي.

في النهاية إن من يعيش في وطنه بشكل طبيعي لا يعي عادة مدى حبه لوطنه وتمسكه به وولائه له، وإنما أولئك الذين يقتلعون من وطنهم، كما حدث للفلسطينيين، هم الذين يعرفون قيمة الوطن الأم، الوطن الحقيقي ويزداد تمسكهم به وولاؤهم له وحنينهم إليه وتوجههم نحوه، وإصرارهم على العودة إليه، ويزداد ذلك الإصرار والولاء والحنين كلما ازداد التشرد والعذاب والغربة والمعاناة. ويكون الإصرار على العودة للوطن هو الحلقة الأقوى والأمتن من شخصية كل فلسطيني وهو الرابط الذي يجمع بين الفلسطينيين ويميزهم عن غيرهم. وعندما حرم الفلسطيني من حمل هويته الوطنية قام بحمل هويته الثقافية التاريخية والجغرافية لكل فلسطين بأرضها وشجرها وسهولها ووديانها وتاريخها وتراثها في قلبه وضميره وعواطفه وفكره وروحه لأنه يكن لها الحب والحنين ويسعى إلى استعادتها واستعادة حقوقه فيها .

الشهيد ناجي العلي
الريشة التي لن تنكسر..

هند يوسف خضر ـ عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في سورية

ولد ناجي سليم حسين العلي في قرية الشجرة بين طبريا والناصرة في فلسطين عام 1937، وفي سن العاشرة هاجر مع عائلته إلى لبنان واستقروا في مخيم عين الحلوة بعد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين عام 1948. تزوج ناجي العلي من الفلسطينية وداد صالح نصر من بلدة صفورية، ولهما أربعة أولاد هم: خالد وأسامة وليال وجودي.

لم يستطع العلي إكمال تعليمه بسبب ظروفه الصعبة، حيث انتقل إلى طرابلس وحاز على شهادة ميكانيك السيارات، إلا أنه عام 1960 التحق بالأكاديمية اللبنانية وتعلم فيها الرسم، وكان للأديب غسان الكنفاني دور كبير في انطلاقة ناجي العلي نحو الشهرة، حيث قصد مخيم عين الحلوة وشاهد أعماله على جدران المخيم، ونشر أحدها في مجلة الحرية العدد 88 في 25 – سبتمبر – 1961.

عرف الرسام ناجي العلي بثوريته من خلال رسوماته التي تناولت قضايا سياسية تتعلق بفلسطين والمقاومة وبقية البلاد العربية عامةً، عمل في عددٍ من الصحف العربية في الكويت ولندن ولبنان. اشتهرت رسوماته بشخصية حنظلة وعدد من الشخصيات الأخرى.

أنجز ناجي العلي حوالي أربعين ألف كاريكاتيرٍ خلال مسيرته الفنية؛ حصل من خلالها على جائزة القلم الذهبي لحرية الصحافة من الرابطة العالمية للصحافة عام 1978.

في عام 1963 انتقل إلى الكويت ليعمل رسامًا في مجلة الطليعة الكويتية، وبقي فيها حتى عام 1968، ثم عمل في جريدة السياسة الكويتية. وفي عام 1975 عاد إلى لبنان ليعمل في جريدة السفير اللبنانية والتي استمر فيها حتى عام 1973.

اعتقلته القوات الإسرائيلية بسبب نشاطه ضد الاحتلال، إضافةً لاعتقال الجيش اللبناني له مرات عدة، وكان يقضي وقته في السجن بالرسم على الجدران.

تعرض ناجي العلي للاغتيال في لندن عام1987، حيث قام مجهول بإطلاق الرصاص عليه، فأصابه تحت عينه اليمنى، بقي في غيبوبة حتى تُوفي في 29 آب – أغسطس – 1987، عن عمر يناهز الخمسين.

أبرز إنجازاته:

في عام 1979، أصبح ناجي العلي رئيسًا لرابطة الكاريكاتير العربي، وفي عام 1983 عاد إلى دولة الكويت ليعمل في جريدة القبس، ثم انتقل بعد عامين إلى لندن ليعمل في جريدة القبس الدولية.

اشتهرت كاريكاتيرات ناجي العلي برسم شخصية حنظلة التي ولدت في الخامس من حزيران عام 1967 تاريخ النكسة، حيث يعبر فيها عن صبي فلسطيني بعمر العاشرة يدير ظهره في كل الرسومات ويعقد يديه للخلف. حنظلة رمزٌ للعذاب الفلسطيني كما أنه شاهدٌ على كل الأحداث التي مرت وعلى خزي الأنظمة العربية، أول ما ظهر حنظلة في رسومات ناجي في جريدة السياسة الكويتية عام 1969.

تكرر عددٌ من الشخصيات الأخرى في كاريكاتير ناجي العلي منها شخصية الفلسطينية فاطمة، والتي تعبر عن الإرادة التي لا تقهر وتتمسك بالقضية؛ أما شخصية زوجها ذو اليدين والقدمين الكبيرتين كتعبير عن صعوبة عمله، فقد كان شخصيةً تنكسر أحيانًا؛ إضافةً لشخصية السمين التي عبر بها عن القيادات الفلسطينية والعربية، وشخصية الجندي الإسرائيلي ذو الأنف الطويل المنهزم أمام حجارة الأطفال، والخبيث مع القيادات الفلسطينية.

أصدر ثلاثة كتبٍ تضم أهم رسوماته، كما جمع ابنه خالد رسوماته من مصادر عدة، وترجمها لعددٍ من اللغات كالإنجليزية والفرنسية.

حاز العلي على عددٍ من الجوائز منها الجائزة الأولى في معرضي الكاريكاتير للفنانين العرب في دمشق في عامي 1979 و 1980.

أبرز أعماله:

عملَ ناجي العلي رسامًا كاريكاتيريًا في كل من مجلة الطليعة وجريدة السياسة الكويتيتين وجريدة السفير اللبنانية من منتصف ستينات القرن العشرين وحتّى عام 1975.

رسمَ شخصية حنظلة ونشرها لأول مرّة في جريدة السياسة الكويتية عام 1969؛ ولا تزال هذه الشخصية ترمز إلى المقاومة الفلسطينية حتّى يومنا هذا.

عُيّنَ رئيسًا لرابطة الكاريكاتير العربي عام 1979.

عمِلَ في جريدة القبس في الكويت عام 1983.

عمِلَ في جريدة القبس الدولية في لندن عام 1985.

أصدرَ ثلاثة كتب ضمّت مُختارات من رسومه العديدة كان منها كتاب "طفل في فلسطين: الكاريكاتير ناجي العلي».

أبرز جوائزه: الجائزة الأولى في معرض الكاريكاتير للفنانين العرب في مدينة دمشق.

أفلامٍ ومسلسلات تناولت سيرته: فيلم "ناجي العلي" أُنتِجَ عام 1991.

- علاقة ناجي العلي بغسان كنفاني

ثمة علاقة لافتة بين الشهيدين غسان كنفاني وناجي العلي. كل منهما مبدع في مجاله فعندما تتعانق الريشة مع القلم يصبح للوطن طعم آخر، كان للشهيدين موقف نضالي صريح، يرفض منطق الحوار بأي صورة مع الاحتلال الإسرائيلي، يغامر بحياته ويعلم أنه شهيد محتمل، دون أن يتراجع أو يحيد عن نضاله خطوةً صغيرةً، ثم

يستشهد، ويبقى حياً في وجدان الشعب الفلسطيني وكل أحرار العالم.

اللافت في تلك العلاقة أيضاً أن كنفاني كان أول من قدّم ناجي العلي باعتباره رسام كاريكاتير شاباً. التقيا حين زار كنفاني مخيم عين الحلوة حيث يعيش ناجي، فنشر له ثلاث رسمات سنة 1961، في مجلة «الحرية» التي كان يرأسها، كأنه كان يرحب في ظله.

في الشهر ذاته (شهر يوليو)، يسقط الشهيدان على ثرى المنفى، حالمَين بأرض الوطن. فقد فجّر الموساد سيارة كنفاني يوم 8 يوليو 1978، بينما تتبّع قاتل مجهولٌ ناجي في لندن بعد أن ترجّل من سيارته، وصوّب عليه رصاصة واحدة أسفل عينه، أرقدتْه في غيبوبة بالمستشفى يوم 22 يوليو، وانتهت باستشهاده يوم 29 أغسطس 1987.

من مأثورات ناجي العلي: «لا أفهم هذه المناورات، ولا أفهم هذه السياسة، طريق فلسطين واحدٌ وحيدٌ هو البندقية».

هذه هي البندقية التي تحدث عنها ناجي العلي تقتحم حصون العدو الصهيوني في السابع من أكتوبر، وها هو شعب فلسطين يسطر صموداً ومقاومة قل نظيرهما في التاريخ،

الآن الشعب الفلسطيني يفجر الخزان يا غسان، ويقول لا خيار أمامنا سوى المقاومة لهزيمة هذا الاحتلال الصهيوني الفاشي.

الرؤية العميقة عند الشهيد ناجي العلي تتجلى بشكل واضح من خلال حواره مع الشهيد غسان كنفاني:

غسان : شو إللي خلاك ترسم الخيمة على شكل هرم.. يعني شو علاقة الخيمة بالهرم؟

فردّ العلي وهو يشير بيديه مستعيناً بهما على شرح ما سيقول :

فيه علاقات مش بس علاقة واحدة. شوف يا سيدي.. أولاً إحنا الفلسطينيين منتميّز بالخيمة زي ما المصريين بيتميزوا بالهرم. يعني لما تقول خيمة بتقول فلسطين، ولما بتقول هرم بتقول مصر.. يعني هما خِتْمهم الهرم وإحنا خِتْمنا الخيمة.. مزبوط هيك؟

وهزّ كنفاني رأسه علامة القبول, وتابع العلي يقول :

ثانياً، الهرم والخيمة مكان للسكن إلهم وإلنا.. بس هُمه بيسكنوها في موت الحياة يعني علامة للخلود، وإحنا بنسكنها في حياة الموت يعني علامة الإصرار على العودة, وللخلود كمان، وحتى تظل قضيتنا حمرة متل الجمرة. ويوم ما إنضُبْ هالخيمة ونلفها، منضُبْ فلسطين وبنلفها كمان.. صح هيك، ولا لأ؟

غسان: هاي فلسفة كبيرة يا ناجي، منين جبتها؟

فردّ العلي وهو يهتز ابتهاجاً :

والله من هالدنيا.. هالدنيا علّمتنا أشياء كثيرة. هو قليل اللي شفناه واللي خبرناه؟ عليم الله يا زلمة اللي شفناه بيعلّم العالم كله، مش بس إحنا !

وكان كنفاني يضع ذقنه الدقيقة في راحته اليمنى، ويغطي فمه بباقي يده, وينصت بانتباه، وقد وقف وقفة نخلة مائلة، ووقف أمامه العلي مقوّس الظهر، والتفّ حولهما رجال وبنات وأطفال من المخيم ومجموعة من المشاركين برسوماتهم ذوي سحنات محفورة بعذاب الشتات.

وتابع العلي كلامه بثقة:

ثالثاً: العلاقة بين الهرم والمخيم، يعني ختمنا وختمهم، جاية من إنو مفيش تحرير لفلسطين من دون مصر، يعني بصراحة.. لا نصر من دون مصر !

فرد عليه كنفاني بابتهاج شديد وفرح غامر، وقد مال بجسمه أكثر ناحية العلي، وكأنه يود أن يهمس في أذنه :

وبشوفك سياسي كمان؟

العلي: ما قلنالك يا زلمة، هالدنيا علمتنا كل إشي. عليم الله هذا المخيم لحاله فيه عِلْم أكثر من الجامعة الأمريكية اللي بيحكوا عنها ببيروت !

وضحكوا جميعاً، ثم تابع العلي يقول مبتهجاً وبحماس بالغ :

بعدين يا أستاذ، العلاقة بين الخيمة والهرم إنهم مش ممكن يكونوا إلا في الخلا.. وواضحين تحت السما مباشرة، متل الشجر. هلاّ قول لي، في حدا بيبني خيمة جوّه بيت، ولا هرم جوه بيت، ولا بيزرع شجرة تحت سقيفة؟

ردّ كنفاني بحبور غامر :

وبعدين معاك إنت ما خليت إلنا إشي نقوله، على مهلك يا زلمة، خلينا نحكي شوي !

وردّ العلي باسماً وعيناه تلتمعان بوهج الحقيقة :

واحدة وبس.. ما إنت إللي سألت يا عمي، وبدنا نجاوبك ع المزبوط !

وصمت برهة، وأخذ نفساً وقال بحزم :

العلاقة الأخيرة، هي العلاقة بين حجر الهرم وقماش الخيمة !

ولم يفهم كنفاني قصد العلي، فسأله باستحياء وبصوت خافت :

شو يعني.. مش فاهم؟

فرد العلي بثقة، وكأنه يختم على وثيقة أمامه :

ما بيرجّع فلسطين غير هالحجر !

وصَفَق قبضة يده اليمنى ببطن راحته اليسرى علامة الختم، وانحنى، والتقط حجراً من أرض الخيمة، وقال بجدّ وهو يشدّ عضلات وجهه، ويقطب جبينه :

وما بيطلع هالحجر إلا من هالخيمة.. لا من قصور ولا من علالي، وسلامة تسلمك !

وصفّق له كل من سمعه وكان حوله، وهتفوا بحياة فلسطين والحجر .

وتعانق كنفاني والعلي، وتبادلا الأنفاس، وبديا من الخلف وكأنهما ظهر واحد وكتف واحد.

- الكاريكاتير الذي دفع حياته ثمناً له.

لم يكتفِ الشهيد ناجي العلي بنقد الواقع الفلسطيني والعربي في رسوماته بل ذهب أبعد من ذلك في نقد القيادات الفلسطينية والفصائل الفلسطينية وحتى وصل الأمر به إلى نقد الشخصيات الثقافية الفلسطينية والعربية.

كان يشير في رسوماته إلى جميع الأخطاء بكل جرأة وشفافية حتى أزعج الصديق قبل العدو.

كان ناجي العلي لا يكتفي بنقد الواقع الفلسطيني والعربي بل كان يضع حلولاً ورؤية للمستقبل، وهذا أهم ما تميز به الشهيد ناجي العلي قراءة المستقبل.

كل ما رسمه ناجي العلي وتوقعه حدث ويحدث كأنه يعيش في زمننا هذا، فالنظام العربي في غالبيته يعيش في مستنقع التطبيع مع العدو الصهيوني الذي حذر منه العلي، والشارع العربي يتخبط في أزمته بين غياب القيادة وغياب المبادرة من قبل هذا الشارع، والوضع الفلسطيني الرسمي ليس بأفضل حال، لذلك عندما اغتيل ناجي العلي جرت عدة أقاويل عن الجهة التي نفذت عملية الاغتيال لأن العلي كان صوتاً مدوياً ضد الظلم والاستبداد والفساد والتطبيع مع العدو الصهيوني، لذلك جميع من رسم ضدهم وأولهم العدو الصهيوني له مصلحة باغتياله:

ناجي العلي ثقافة شعب وأمة لن تنكسر ولن تنهزم.

محمود درويش فلسطينياً حتى الموت حتى الوطن والحرية..

محمد نذير جبر - كاتب سوري

«الحالم الكبير أمام الكتاب الصعب وقنديله الأبيض» هذا ما عرف به غاستون باشلار الحالة الشعرية الأولى عند الحالم أي صاحبها، وهذا ما عده محمود درويش «ميم المغامر والمعد المستعد لموته الموعود منفياً مريض المشتهى».

البداية

كأي شاعر في البدايات كانت له تجاربه الأولى البسيطة وأنجز أول أعماله، ثم فجأة جاءت قصيدة محمود درويش كصاعقة ضربت الوجدان العربي وقلب العدو، انتبه له الكاتب الشهيد غسان كنفاني فكتب عنه في العدد الثالث من مجلة الآداب 1 آذار 1969: «محمود درويش قفزتان في عشر سنوات» كتب كنفاني: «ما يلفت النظر في محمود درويش، بالإضافة إلى موهبته الطاغية والتزامه الذي رد الاعتبار لقيمة الالتزام كقيمة تغني العمل الفني ولا تفسده، سرعة تطوره التي تشبه ضربة عصا سحرية، ندر أن حدث مثلها لدى أي شاعر معروف.

ويكمل:

كان درويش ينتقل من عامه العشرين إلى الثاني والعشرين، حدث شيء هام وغريب في مستوى العمل الفني للشاعر، فقد انتقل دفعة واحدة نحو الأمام ونحو العمق شوطاً كبيراً لا يصدق، لأنه قرر أن يكون وأن يقطع هذا الطريق الطويل إلى آخره لأنه: «وقال لي الغيب اكتب قلتُ على السرابِ كتابة أخرى، قال اكتب ليخضر السراب» وقرر ألا يتخلى عن حلمه ودربه ويتابع حتى آخر قطرة دم: «سأتابع مجرى هذا النهر ولو أن وردي أقل».

ظلت تظهر موهبته ويتسع صوته إلى أن صار أباً شعرياً مؤثراً في الأدب العربي والعالمي، إذ صار من أكثر الشعراء مبيعاً في فرنسا وترجم شعره إلى أكثر من ثلاثين لغة، وصار كل شاعر شاب وكل مقاوم حول العالم يعتبره رمزاً له، حتى هو مندهش مما وصل إليه: «كيف يشع زهر اللوز في لغتي أنا وأنا الصدى؟!» «من أنا لأخيب ظن العدم».

طلع محمود درويش بملاحم شعرية كملحمة مديح الظل العالي التي يوثق فيها مرحلة بيروت:

«ألف قذيفة أخرى ولم يتقدم الأعداء شبراً واحداً» «بيروت لا، ظهري أمام البحر أسوارٌ ولا، قد أخسر الدنيا نعم، قد أخسر الكلمات والذكرى لكني أقول الآن لا، هي آخر الطلقات لا، هي ما تبقى من هواء الأرض لا، هي ما تبقى من نشيد الروح لا، بيروت لا». إلى الآن ما زالت مديح الظل العالي طور الدراسة وحاضرة في الساحة الفنية والنقد الفني وفي الوجدان العربي والشعر المقاوم: «لا شيء يكسرنا وتنكسر البلاد على أصابعنا كفخارٍ وينكسر المسدس من تلهفك انتصر». وعن التخاذل العربي: « لا بر إلاّ ساعداك لا بحر إلا الغامض الكحلي فيك فتقمص الأشياء كي تتقمص الأشياء خطوتك الحراما واسحب ظلالك من بلاط الحاكم العربي حتى لا يعلقها وساما» «قصبٌ هياكلنا وعروشنا قصبٌ في كل مئذنة حاوٍ ومغتصبٌ يدعو لأندلسٍ إن حوصرت حلبٌ». وعن حياة اللجوء قال: «القمح مرٌ في حقول الآخرين والماء مالح والغيم فولاذٌ وهذا النجم جارح وعليك أن تحيا وأن تحيا وأن تعطي مقابل حبة الزيتون جلدك كم كنت وحدك». في رمزية عالية القمح أي الجوع والحياة المرة في المخيمات، الماء المالح أي الماء الذي يضاعف العطش، والغيم فولاذٌ أي السماء المغطاة بالطائرات، وعن الأزمة الوجودية والإيمانية تحت القصف: «يا خالقي في هذه الساعات من عدمٍ تجلى، لعلَ لي رباً لأعبدهُ لعلَ». وعن المقاوم الفلسطيني الذي لا يخشى إلا وقف إطلاق النار، والذي نراه اليوم في غزة يفخخ الدبابات من مسافة الصفر: « باسم الفدائي الذي خلقا من جزمةٍ أفقا».

وفي ديوان حالة حصار أثناء الغارات الإسرائيلية عام 2002

«الشهيد يوضّح لي: لم أفتش وراء المدى
عن عذارى الخلود، فإني أحب الحياة
على الأرض، بين الصنوبر والتين، لكنني
ما استطعت إليها سبيلا،
ففتشت عنها بآخر ما أملك
الدم في جسد اللازورد».

إننا شعب يحب الحياة والحرية لكننا لم نجدها فحملنا السلاح لخلقها:

«نحب الحياة غداً عندما يصل الغد سوف
نحب الحياة كما هي عادية ماكرة رمادية أو
ملونة لا قيامة فيها ولا آخرة».

وفي كتاب أثر الفراشة نثر محمود درويش تحدث في نص البنت/الصرخة عما حدث على الشاطئ في بيت لاهيا شمال غزة عام 2006:

”على شاطئ البحر بنتٌ. وللبنت أَهل
وللأهل بيتٌ. وللبيت نافذتان وبابْ...
وفي البحر بارجةٌ تتسلّى
بصيد المُشاة على شاطئ البحر:
أربعةٌ، خمسةٌ، سبعةٌ
يسقطون على الرمل».

وعن اغتيال الشهيد محمد الدرة في شارع صلاح الدين جنوب غزة:

«محمّد،
يواجه جيشاً، بلا حجرٍ أو شظايا
كواكب، لم ينتبه للجدار ليكتب:
«حريتي لن تموت
فليست له، بعد، حريّة
ليدافع عنها. ولا أفقٌ لحمامة بابلو بيكاسو.
وما زال يولد، ما زال يولد».

وفي مكان آخر في القصيدة قال:

«يسوع صغير ينام ويحلم في
قلب أيقونةٍ
صنعت من نحاس
ومن غصن زيتونة
ومن روح شعب تجدّد
محمّد،
دمٌ زاد عن حاجة الأنبياء
إلى ما يريدون، فاصعد
إلى سدرة المنتهى
يا محمد».

إن محمد الدرة ما زال يولد في روح شعب يتجدد في كل محاولة لاغتياله لأن القيم في غزة تختلف تختلف.. القيمة الوحيدة للإنسان المحتل هي مدى مقاومته للاحتلال هذه هي المنافسة هناك، التي لا هي موت ولا هي انتحار إنها أسلوب غزة في إعلان جدارتها بالحياة، كما وصفها في سرده الدرامي صمت من أجل غزة إذا يقول:

«تحيط خاصرتها بالألغام.. وتنفجر.. لا هو موت.. ولا هو انتحار

إنه أسلوب غـزة في إعلان جدارتها بالحياة

منذ أربع سنوات ولحم غـزة يتطاير شظايا قذائف

لا هو سحر ولا هو أعجوبة، إنه سلاح غـزة في الدفاع عن بقائها وفي استنزاف العدو».

وعن العدو الذي يصول ويجول في كل مكان ولا يستطيع الاقتراب منها:

«ومنذ أربع سنوات والعدو مبتهج بأحلامه.. مفتون بمغازلة الزمن.. إلا في غـزة

لأن غـزة بعيدة عن أقاربها ولصيقة بالأعداء.. لأن غـزة جزيرة كلما انفجرت، وهي لا تكف عن الانفجار،

خدشت وجه العدو وكسرت أحلامه وصدته عن الرضا بالزمن

لأن الزمن في غـزة شيء آخر ..

لأن الزمن في غـزة ليس عنصراً محايداً

انه لا يدفع الناس إلى برودة التأمل... ولكنه يدفعهم إلى الانفجار والارتطام بالحقيقة.

الزمن هناك لا يأخذ الأطفال من الطفولة إلى الشيخوخة ولكنه يجعلهم رجالاً في أول لقاء مع العدو

ليس الزمن في غـزة استرخاء ولكنه اقتحام الظهيرة المشتعلة».

ويكمل أن القيم في غزة هي المقاومة ودرجة الاشتباك مع العدو:

«لأن القيم في غـزة تختلف.. تختلف.. تختلف

القيمة الوحيدة للإنسان المحتل هي مدى مقاومته للاحتلال... هذه هي المنافسة الوحيدة هناك.

وغـزة أدمنت معرفة هذه القيمة النبيلة القاسية.. لم تتعلمها من الكتب ولا من الدورات الدراسية العاجلة

ولا من أبواق الدعاية العالية الصوت ولا من الأناشيد. لقد تعلمتها بالتجربة وحدها وبالعمل».

وهنا يخبرنا أن جمالها وعظمتها وقوتها ليس بشاطئها ولا بغناها أو ببرتقالها بل بشعبها الذي يولد معداً ومستعداً للمقاومة ولا حلم لديه سوى المقاومة ولا عمل لديه إلا المقاومة:

«ليست غزة أجمل المدن ..

ليس شاطئها أشد زرقة من شواطئ المدن العربية

وليس برتقالها أجمل برتقال على حوض البحر الأبيض .

وليست غزة أغنى المدن ..

وليست أرقى المدن وليست أكبر المدن. ولكنها تعادل تاريخ أمة. لأنها أشد قبحاً في عيون الأعداء، وفقراً وبؤساً وشراسة. لأنها أشدنا قدرة على تعكير مزاج العدو وراحته، لأنها كابوسه، لأنها برتقال ملغوم، وأطفال بلا طفولة وشيوخ بلا شيخوخة، ونساء بلا رغبات، لأنها كذلك فهي أجملنا وأصفانا وأغنانا وأكثرنا جدارة بالحب».

وفي ختام هذا السرد يخشى على غزة أن ينتصر الأعداء عليها وعن مدى وحشية العدو في التعامل معها لكنه على ايمان مطلق بأنه مهما حدث لها لن تتخلى عن حقها وإرادتها ومطالبها وطرد العدو من ثيابها :

«إنها منكبة على الرفض.. الجوع والرفض والعطش والرفض التشرد والرفض التعذيب والرفض الحصار والرفض والموت والرفض.

قد ينتصر الأعداء على غزة (وقد ينتصر البحر الهائج على جزيرة قد يقطعون كل أشجارها)

قد يكسرون عظامها

قد يزرعون الدبابات في أحشاء أطفالها ونسائها وقد يرمونها في البحر أو الرمل أو الدم

ولكنها لن تكرر الأكاذيب ولن تقول للغزاة: نعم

وستستمر في الانفجار

لا هو موت ولا هو انتحار ولكنه أسلوب غزة في اعلان جدارتها بالحياة».

لأن الإنسان الفلسطيني مع كل حبه للحياة لا خيار لديه سوى أن يكون مقاوماً ومقاتلاً حتى تحرير فلسطين كل فلسطين.

في مقال لمحمود درويش نشر في صحيفة ليبراسيون الفرنسية في 28 أيار 1985 بعنوان «جنون أن تكون فلسطينياً» قال:

«ظهره إلى الحائط وعيناه إلى الوطن

ولا يستطيع الصراخ أكثر، ولا يستطيع التساؤل عن صمت العرب وعن لا مبالاة الغرب

لا يستطيع أن يفعل غير شيء واحد: أن يكون فلسطينياً أكثر، فلسطينياً حتى الوطن والحرية، فلسطينياً حتى الموت، لأنه لا يملك خياراً آخر

هل هذا هو الجنون؟

فليكن..».

هكذا عَاش فِلسطِينيَتهُ حَتى الموت

مروان عبد العال

روائيٌ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين

هكذا تحدث الفدائي أبو علي مصطفى، وبلغة تشبهه، ببساطة وعمق وعفوية وصرامة وبلا دبلوماسية، تكلم عن نشأته الفدائية، عن المقاتل الأول والمُصمِّم الذي صنع نفسه وصقل شخصيته القيادية والفكرية ودربها على مسرح المعركة بواسطة الفعل المباشر.

هكذا ولد وعاش وكابد وعاند وقاتل حتى صارت الساحة الثوريّة مساحة ليومياته وسجلاته المعروفة والغير معروفة، منذ طفولته التي لم تعرف لعبة، حتى وجد نفسه في لعبة جدّية، حتّى الشهادة.

ومع ذلك، لم يجعل هذه المساحة السياسية لنضال الفدائيين أقل واقعيّة، بل تكشف هذه المساحة النمط التأسيسي للولادة العسيرة للمقاومة ، وأبو علي فارسها، برومانسية تفيض في الحلم والمحاكاة والخيال، وترجمها في صورة الواقع الثوري.

يتحدث عن بدايات الانتماء العفوي والتنظيم والوعي وتشكيل العمل الخاص العسكري، في مقابلة تلفزيونية قبل استشهاده، وظروف العمل وشروطه وقوانينه القاسية وغير المباحة، قائلاً: دخلت السجن وعمري ١٩ عاما، لأني انتسبت لحركة القوميين العرب في عام ١٩٥٥، ودخلت السجن عام ١٩٥٧، دخولي السجن كان نتيجة الانتماء بقناعة إلى خط ما، حيث كانت قناعتنا آنذاك تتكون على اعتبار أن طريق فلسطين طريق الوحدة العربية.

هكذا حدد الطريق والبداية، فلسطين، وبعد خروجه من المعتقل، ترفع الى عضو شعبة، لاستلام مسؤولية موقع ما، ولم يكن هناك تنظيم جيد لمنطقة شمال الضفة، كان فيها فراغ، تولي المسؤولية الأصعب، وأن تدمج بين شخصيتك المعروفة، وبين أن تعمل تشكيلات غير معروفة، وبتكوين المنظمة السرية أو العمل الخاص، وهو العمل الفدائي، هذا الأمر لم يكن معروفًا إلا لبعض الأفراد، وبدأ بتكليف أفراد معينين ليشكلوا وحدات كنواة عمل فدائي، وتتدرب وتتسلح وذلك خارج البلد بطريقة ما.

أما النقطة الأخطر فكانت المرتبطة بالعمل الخاص، ينبش ذاكرته إلى شعار الحركة «فوق الصفر وتحت التوريط»، حين كانت تريد مراعاة العلاقة مع عبد الناصر، ويستأنف: "قائد الجيوش العربية آنذاك، يعتبر أن أي عمل فدائي على الجبهة المواجهة للعدو يمكن أن يلحق الضرر بالجيوش العربية، ويفتح المعركة في غير أوانها، لذلك كانوا يسمونه توريطا، فكانت الحركة بحكم التحالف مع عبد الناصر تعتبر أنه من الممكن أن يكون لديها مساحة للتحرك، لكن تحت سقف التوريط".

طبعا هذا الأمر بقي مستمراً حتى عام ١٩٦٦، حيث كنا نقوم بتوزيع الأفراد على دورات بشكل لا يلفت الانتباه، وقبلها ذهب لدورة ضباط فدائيين عام ١٩٦٥ على مدرسة أنشاص الحربية، وكانت الانطلاقة.
وعندما أخذت صورة الفدائي بالتلاشي، يحدد أسباب ذلك وكيف ضاعت، وتمّ محوها، بلغة نقدية يدخل في عمق أزمة العمل الفدائي، وظلت المراجعة الدائمة لمعضلات المقاومة كيفية حماية العمل الخاص.

هكذا أبو علي المؤسس للعمل الفدائي، عاش فلسطينيته حتى الموت، عاد إلى ترابها لتبقى الهوية راية تقاوم ولا تساوم في أجيال جديدة من جنين وعرابة وباب العامود والخليل والمخيمات، وتولد وتتجدد في ملحمة غزة الأسطورية، وفلسطينيته العالية فوق الشمس صارت تشمل كل العالم.

AL-HADAF الهدف